

القرآن الكريم
وروايات المدرستين

الجزء الأول

تأليف
السيد رضی العسکری

المجمع العالمي للأئمة الهدى

القرآن الكريم
وروايات المدينتين

القرآن الكريم

وروايات المدينتين



الجزء الأول

مجموع تمهيدية

تأليف

السيد مرضي العسكري

المجمع العالمي للأئمة الأربعة

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

الجمعية العالمية للإسلام والتربية



العنوان: بيروت - حارة حريك - شارع دكاش - بناية الحسين

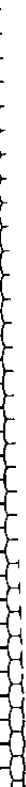
ت: ٠٠٩٦١١٢٧١٩٠٧ - ٠٠٩٦١٣٨٢٣٦٢٠

المستودع: حارة حريك - خلف كنيسة مار يوسف - بناية دار الزهراء

الأهداء

سيدي يا خاتم الأنبياء وسيد المرسلين صلى الله عليك وعلى أهل بيتك
الطاهرين وزوجاتك الطيبات أمهات المؤمنين وصحابتك البررة الميامين.
سيدي منذ نيف وخمسين عاما بعثني التشرف بك حسباً ونسباً وولاءً
على القيام بتمحيص سنتك سيرةً وحديثاً، ووقفي - الله تعالى - لنشر بحوث
منها بين أمتك أمتنا الاسلامية تباعاً.
وها انذا أتشرف بنشر أهمها أثراً وأعظمها خطراً في تمحيص ما رووا
عنك في شأن القرآن الكريم الذي أنفقت عصر رسالتك في حمله إلى العالمين،
وأرفعها هدية متواضعة إلى مقامك المحمود - وإن كنت كالتملة قدراً فانت
أعظم من سليمان كراماً - فتقبلها برأفتك بنا معاشر أمتك، واشفع لنا عند الله
ليكشف ما بنا من غمة.

المؤلف



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾

(الرحمن / ١ - ٤)

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾

(الحجر / ٩)

﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي
بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ
قُلْ فَاتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

(يونس / ٣٧ - ٣٨)

﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهَا * إِنَّ الَّذِينَ أَرْتَدُوا
عَلَى أذُنِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ *
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ...﴾

(محمد / ٢٤ - ٢٦)

﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ
لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً * وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي
هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُوراً * وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ
لَكَ حَتَّى تَنْجِرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ
فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجيراً * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفاً أَوْ

تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلاً * أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرِبٍ أَوْ تَرْفَىٰ فِي
السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ نُنزِّلَ عَلَيْكَ كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ
كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا * وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ
قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا * قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَّمشُونَ
مُطْمَئِنِّينَ لَنزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿

(الاسراء / ٨٨ - ٩٥)

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ
تَعْلَمُونَ﴾

(فصلت / ٢٦)

مقدمة الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء محمد وآله الطاهرين، والسلام على أصحابه الميامين وأزواجه المنتجبات أمهات المؤمنين. وبعد كنت لا أرى في ما مضى أية ضرورة لهذا النوع من البحث القرآني، لما كنت أعلم أن المسلمين عامة متفقون اليوم على أن القرآن الذي يتداولونه هو كلام الله الذي أوحاه إلى خاتم أنبيائه محمد صلى الله عليه وآله، وأنهم توارثوه عن نبيهم جيلاً بعد جيل حتى اليوم، وأن الخلاف بينهم ناشئ عن تأويله وتفسيره، وأنه إن شذ منهم شاذ يوماً ما بقول ما، فهو من شأن الطبيعة البشرية ومجتمعاتها التي لم تخل ولن تخلو من شذوذ الشواذ في يوم من الأيام.

وبناءً على هذه الرؤية لم أكن أرى حاجة للخوض في هذا النوع من البحث. هكذا كنت أرى.

ولما قامت الجمهورية الإسلامية في إيران اقتضت الدوافع السياسية لدى بعض الدول، التحرش عليها، فانتشرت في طول البلاد الإسلامية وعرضها كتب ورسائل ومقالات ضدها وضد أهل البيت (ع) الساند فيها. وكان أهم ما رفعوه في هذه الحرب السياسية القرآن الكريم، فأجأني

الضرورة إلى أن أُبين الواقع التاريخي في هذا الشأن. وكتبته موجزاً من البحث في أول المجلد الثاني من معالم المدرستين، ظنّاً مني أنه كافٍ لرفع الشبهات التي أُثيرت في هذا الصدد.

غير أن ما تلقيت من الأسئلة حولها من شتى البلاد وما أُنبئت أن بعض الدول الإسلامية دفعت و ساعدت على نشر ما يقارب مائتي كتاب ورسالة بهذا الصدد في بلاد الهند وحدها، أثبتت لي أن الشبهات التي أُثيرت حول مدرسة أهل البيت (ع) في شأن القرآن خاصة، أهم وأوسع مما كنت أرى، أضف إليه ما كنت أراه منذ عشرات السنين من ضرورة القيام بردّ شبهات المستشرقين في ثبوت النص القرآني؛ لهذا وذاك أتسعت بحوث الكتاب وتسلسلت حتى بلغت ثلاثة مجلدات.

وقد اخترت لهذه الدراسة كتابي (فصل الخطاب) و (الشيعه والقرآن) ليكونا محورَي هذه الدراسة، لأنّ كلاً من مؤلّفي الكتابين أراد أن ينتقد المدرسة الأخرى في كتابه. وحاول أن يستوعب كل شاردة واردة في بحثه. واقتصر في دراستها على ما أوردها حول كتاب الله المجيد، وتركته منها ما لا يتصل بالبحوث القرآنية.

وراجعت في دراسة ما استدلّ به الشيخ النوري من مصادر دراسات مدرسة الخلفاء إلى تلك المصادر مباشرة وخرّجت الروايات منها بلا واسطة.

وكان لا بدّ لي في دراسة الروايات أن أمهد لها دراسة خصائص المجتمع الذي نزل فيه القرآن وانتشر منه لا قارن بين تلك الروايات والواقع التاريخي الذي يناقض تلك الروايات. والروايات التي ناقشتها هي:

أ- روايات جمع القرآن:

فقد جاء فيها^(١):

أنه لما استحرّ القتل بالقراء في واقعة اليمامة خشى عمر أن يذهب كثير من القرآن بقتل القراء في الحروب، فاقترح على الخليفة أبي بكر أن يجمعه فقال: كيف نفعل ما لم يفعله رسول الله (ص)؟!؛

فلما اقتنع بالرأي أمر زيد بن ثابت أن يجمعه، فقال: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله (ص) ولما اقتنعه بالأمر أخذ يجمع القرآن مما كتب عليه ومن صدور الرجال ووجد آخر سورة براءة عند خزيمة بن ثابت.

وفي رواية ان ذلك كان على عهد عثمان.

وجاء في غيرها ان زيدا اقترح جمع القرآن على عمر، وعمر على أبي بكر فاستشار المسلمين، فوافقوا عليه، فأمر عمر وزيد بن ثابت أن يكتبوا آية شهد عليها شاهدان، وان أبي بن كعب أخبرهم بأخر آية من القرآن، وأودع ما نسخه عند أم المؤمنين حفصة.

وفي غيرها ان الخليفة عمر سأل عن آية، فقيل كانت مع فلان فقتل يوم اليمامة، فأمر بجمع القرآن، فكتبوا أربعة مصاحف وأنفذها الى الكوفة والبصرة والشام والحجاز.

وفي غيرها: أن جمعه تم على عهد عثمان.

وفي غيرها أن عمر قتل ولم يبدأ بجمع القرآن، وعلى عهد الخليفة عثمان جعل المعلم يعلم قراءة ومعلم آخر يعلم قراءة اخرى فاختلف من اخذ منهم في

(١) نوجز في هذه المقدمة بحوث الكتاب الآتية لتساعد القاريء على استيعاب البحوث اللاتي جاءت في اول الكتاب وصلة بعضها ببعض ومن ثم نذكر مصادر ما اشرنا إليه فيها.

القراءات وبلغ ذلك المعلمين فكفر بعضهم بعضاً على قراءته ما يخالف قراءته فبلغ ذلك عثمان، فامر بكتابة المصحف فربما اختلفوا في قراءة آية فيذكرون الرجل الذي تلقاها من رسول الله وهو غائب في بعض البوادي فيكتبون ما قبلها وما بعدها، ويدعون موضعها، فيرسلون اليه حتى يحضر ويأخذون الآية منه، ويكتبونها في موقعها وأنه لما أتموا كتابة المصحف وراه عثمان قال: أرى شيئاً من لحن ستقيمه العرب بالسنتها!!!

وانه كتب الى أهل الأمصار: أني محوت كذا من القرآن، وصنعت كذا، فامحوا ما عندكم واصنعوا كما صنعت!!!

وفي غيرها ان الاختلاف في القراءات وقع في بلاد أخرى غير المدينة فطلب الخليفة من أم المؤمنين حفصة الصحف التي عندها، فنسخها في مصاحف وأرسلها إلى البلاد، وأحرق بعد ذلك غيرها من المصاحف.

ب - روايات الزيادة والنقصان في القرآن!! - معاذ الله -

جاء في روايات منها:

ان أبا موسى الأشعري قال لقراء البصرة: كُنَّا نقرأ سورة نظير براءة أنسيتهما وحفظت منها (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا مالا تفعلون...).

وجاء في غيرها: انه كان في مصحف بعض الصحابة سورتي الحفد والخلع^(٢).

وفي غيرها ان ابن مسعود لم يكن يكتب في مصحفه الحمد والمعوذتين

(٢) سورتان مختلفتان مفترتان على القرآن الكريم يأتي نصهما في بحث اختلاف المصاحف ان شاء الله تعالى من المجلد الثاني.

وانه كان يحك المعوذتين من المصحف^(٣)
وأن سورة الأحزاب كانت توازي سورة البقرة، وأنه نسي منها ثلاثة
أرباعها.
وجاء في غيرها: انه مما فقد من آي القرآن آية الرجم و(رضاع الكبير
عشرا)، وسموا بعض ذلك بالنسخ وبعضها بالإنساء.

ج - روايات اختلاف المصاحف:

جاء في روايات منها:
ان أمهات المؤمنين عائشة وحفصة وأم سلمة أمرن بكتابة المصحف،
ولما بلغ الى قوله تعالى ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ أمرن
الكاتب أن يكتب بعدها (وصلاة العصر).
ونظائرها كثيرة نشير الى بعضها وندرسها في أماكنها من البحوث الآتية
ان شاء الله تعالى.

د - روايات النسخ والإنساء:

جاء في روايات منها:
ان رسول الله (ص) سمع رجلاً يقرأ القرآن في مسجده، فقال: رحمه الله
لقد أذكرني كذا وكذا آية أسقطتها من سورة كذا وكذا. وان صحابييين أرادوا
أن يقرأوا في ليلة سورة نزلت على رسول الله (ص)، فلم يقدر، ونسيها، فأصبحت
غاديين الى رسول الله (ص) وأخبراه بذلك، فقال: إنها مما نسخ أو نسي، فاهوا
عنها.
وانه كان مما ينزل به الوحي عليه ليلاً وينسأه نهراً .

(٣) المعوذتان هما سورتا قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس.

هـ - روايات اختلاف القراءات أو القراءات المختلفة:

جاء في روايات منها ان بعض الصحابة قرأ:

١ - (إن هذان إلا ساحران) بدل: ﴿ إِنْ هَذَا لَسَاحِرَانِ ﴾ .

٢ - إن ذان إلا ساحران.

٣ - (سنقرئك فلا تنساها) بدل: ﴿ سَنَقْرُوكَ فَلَا تَنْسَى ﴾

٤ - (صراط من أنعمت عليهم) بدل: ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾

وهناك مئات أخرى من قراءات مختلفة نسبت إلى الصحابة زوراً وبهتاناً

ولعلها تبلغ الالوف ولا ينبغي لنا أن نضيع الوقت في عدّها.

و - روايات انزل القرآن على سبعة أوجه:

رووا عن الخليفة عمر بن الخطاب انه قال سمعت هشام بن حكيم يقرأ

سورة الفرقان على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله (ص) فليبتة بردائه،

وقدته الى رسول الله (ص).

فقال: اقرأ يا هشام فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ.

فقال الرسول (ص): كذلك أنزلت.

وقرأت القراءة التي أقرأنيها الرسول (ص). فقال الرسول (ص):

كذلك أنزلت ثم قال: ان القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقروا ما تيسر منه!

وفي رواية أخرى كان ذلك مع رجل، فوقع في صدر عمر شيء، فضرب

الرسول (ص) صدره وقال ثلاثاً: ابعده شيطاناً، ثم قال: يا عمر ان القرآن كله

صواب، ما لم تجعل رحمة عذاباً او عذاباً رحمة!

وفي رواية أخرى عن عمرو بن العاص نظير ما تقدّم وان رسول

الله (ص) قال لهم: ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فأبى ذلك قرأتم فقد

أصبتم، أحسنتم ولا تماروا فيه فإن المراء كفراً!

وعن أبي بن كعب انه اختلف في القراءة مع اثنين آخرين فذهبوا الى رسول الله (ص) فقرأ الاثنان على الرسول الله (ص) خلاف القراءة التي كان أبي أخذها من النبي.

قال أبي: وصوب النبي جميعها فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية، فضرب النبي في صدري، وقال: أرسل اليّ أن اقرأ القرآن على حرف، فقلت: هوّن على أمّتي فردّ إليّ الثانية: اقرأه على حرفين فرددت إليه أن هوّن على أمّتي، فردّ إليّ الثالثة: اقرأه على سبعة أحرف!

وفي رواية اخرى: ان النبي (ص) قال: ان جبرائيل وميكائيل أتياني فقعده جبرائيل عن يميني وميكائيل عن يساري، فقال جبرائيل: اقرأ القرآن على حرف، فقال: اسرافيل: استزده، استزده، حتى بلغ سبعة أحرف، فكل حرف شاف وكاف.

وفي رواية اخرى: ليس منها إلا شاف كاف، إن قلت سمياً عليماً، عزيزاً حكياً، ما لم تختتم آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب!
وفي رواية أخرى نظيرها الى قوله:

حتى بلغ سبعة أحرف ليس منها إلا شاف كاف إن قلت: غفوراً رحياً، أو قلت: سمياً عليماً، أو عليماً سمياً فالله كذلك ما لم تختتم آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب.

إلى عشرات الروايات الاخرى نظائر ما تقدم ذكرها.

ز - تقويم الروايات السابقة :

أولاً - في تلكم الروايات روايات إسرائيلية وروايات الغلاة والزنادقة ومن جملتها روايات موضوعة ومفتراة على الله ورسوله وكتابه، وفيها ما افتري بها على الصحابة وأئمة أهل البيت.

ثانياً - في تلكم الروايات روايات صحيحة غير أنّ فيها مصطلحات قرآنية

تغيّرت معانيها، وتبدّلت بعد عصر الصحابة متدرّجاً حتى أصبح لها اليوم معانٍ غير التي قصد منها في القرآن و حديث الرسول (ص) وأحاديث الصحابة.
 واستعمل ذلك المصطلح في كتب علوم القرآن في المعنى الجديد له خلافاً للمعنى الذي استعمل فيه في عصر الرسول حتى عصر الصحابة.
 وأنتج كل ذلك ما يأتي بيانه باذنه تعالى .

ح - نتائج الروايات و آثارها:

أولاً - أنهم اعتقدوا بان في القرآن الكريم آيات منسوخة التلاوة مع بقاء حكمها وأخرى منسوخ الحكم مع بقاء قراءتها وآيات أخرى منسوخة التلاوة والحكم جميعاً وعلى أثر ذلك تسابقوا في استخراج الآيات الناسخة والمنسوخة لفظاً أو حكماً أو هما جميعاً في تلك الروايات وسجّلوا نتائج ما توصلوا إليه في عشرات المؤلفات بعنوان علم الناسخ والمنسوخ من علوم القرآن في حين أن الله ما نسخ آية مسأً أنزل على رسوله في القرآن الكريم لا لفظاً ولا معنى ولا كليهما معاً ونعوذ بالله من هذا الافتراء الشنيع على الله الحكيم وكتابه الكريم.

ثانياً - ان جملة مسنّ سمّوا بالقراء الكبار اجازوا لأنفسهم أن يبدّلوا كلمات القرآن التي نزلت بلغة قريش وهوازن وقضاة و قميم و طيبي وغيرهم من قبائل العرب. وبلغ بهم الأمر أن يتسابقوا في البحث والتقصي عن شواذ اللهجات في قبائل العرب وإن كان جرى ذلك على لسان بدوي جاهل غير فصيح، ويجعلوا ذلك التلفظ الشاذ الغلط قراءة لتلك الكلمة في القرآن الكريم حتى بلغ عدد القراءات في كلمة واحدة من كلمات القرآن الكريم عشر قراءات احداها لغة قريش مثل ما جرى لكلمة (عليهم) في قوله تعالى في سورة الحمد ﴿غَيْرِ الْمَفْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾.

وبعملهم هذا أجروا من التحريف على القرآن بما لم يجر نظيره على كتاب على وجه الأرض قطً وهذا ما عناه الإمام الباقر في قوله: (أما القرآن فقد

حرفوا).

ثالثاً - إنَّ تلکم الروایات المفتری بها علی الله ورسوله وکتابه وأصحاب رسوله أدت إلى:

أ - عدم فهم معانی المصطلحات القرآنیة فی أحادیث أخرى صحیحة.
ب - اعتقاد العلماء بوجود الناسخ والمنسوخ فی آیات القرآن الکریم.
ج - تجوّز القراء فی تحریف کلمات القرآن واختلافهم تلك القراءات الباطلة لها.

د - شوشت علی بعض المحدثین أمثال الشیخ النوری الرؤیة الصحیحة لأمر القرآن الکریم وکتبوا فی شأن القرآن الکریم وقالوا مالا یصحّ قوله وکتابته.

هـ - وجد أمثال احسان الهی ظهیر ونظرانه فی نشر تلکم الأقوال وإذاعتها بأوسع ما یمکن من نشره وإذاعته، خیر وسیلة لنقد مدرسة أهل البيت (ع) وقدها، فلم یألوا جهداً فی ذلك. وأعانهم علی نشرها فی جمیع بلاد العالم بعض أصحاب الطول والنفوذ والسیطرة بکلّ ما أوتوا من حول وقوة.
رابعاً - استند المستشرقون وخصوم الإسلام إليها ورووا وکتبوا أن مصاحف الصحابة كانت تختلف بعضها مع بعض مثل مصاحف عمر وعلی وأبی وابن مسعود وابن عباس وابن الزبیر وأمہات المؤمنین عائشة وحفصة وأم سلمة وكذلك عدّوا أحد عشر مصحفاً من مصاحف التابعین كانت تختلف بعضها مع بعض وان الحجاج غیر من مصحف عثمان عشرة أماكن مثل ﴿یسیرکم فی البر والبحر﴾ فی سورة یونس/ ۲۲ والتي كانت (هو الذي ینشرکم فی البر والبحر) فنسبت ما كان فی مصحف عثمان وبقي یقرأ فی القرآن ما غیره الحجاج.

وقام المستشرقون بالبحث عن المؤلفات التي جاء فیها تغییر النصّ القرآنی مثل:

ج. برجستر الذي استخرج من كتاب البديع لابن خالويه (شواذ القرآن) خاصة وطبعته جمعية المستشرقين الالمانية بمصر سنة ١٩٣٤م سابع سبعة مما راقهم طبعها. ومثل: د. آرثر جفري الذي طبع كتاب المصاحف لابن أبي داود السجستاني (ت ٣١٦) بمصر سنة ١٩٣٦م لما فيها من روايات من اختلاف المصاحف والقراءات.

ط - بداية الوضع و الدسّ و الافتراء:

في بحث (دواعي وضع الحديث) من باب (مع معاوية) من المجلد الأول من كتاب أحاديث أم المؤمنين عائشة وفي ما يأتي من أبواب هذا الكتاب نرى ان بداية انتشار الروايات المختلفة والأخبار الموضوعية كان بعد استخلاف معاوية وامتد ذلك على طول عهد الخلافة الأموية.

وفي سنة ثلاث وأربعين بعد المائة عندما أمر الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور بتدوين كتب العلم دون كلاً المحنا إليه في ما دون من كتب العلم وبقي العلماء يتداولونها ويتدارسونها جيلاً بعد جيل، ويستنبطون منها ما يستنبطون حتى عصرنا الحاضر.

ونحن اليوم إذا أردنا أن ندرس تلكم الروايات وتلكم الاخبار لنمحص الحق من الباطل منها يلزمنا أن ندرس بتوسع ظروف كل خبر منها، مثلاً إذا أردنا أن ندرس ما نسب الى الحجاج انه غير النصّ القرآني الذي كان مكتوباً في مصحف عثمان الذي أرسله الى البلاد وأن النصّ القرآني الذي بأيدينا في زهاء عشرة موارد يختلف عما كتبه عثمان في مصحفه لا بد لنا أن ندرس أخبار عصر ولاية الحجاج وأخبار ما جرى بعده بتوسع لنذكر أن ما افتروا على القرآن بان الحجاج غيره مستحيل عادة.

وإذا أردنا أن ندرس خبر ما نسب الى الصحابي ابن مسعود من انه كان يحك من المصحف سورة الحمد والمعوذتين ونحن نعلم ان الخليفة عمر بعثه الى

الكوفة ليقرئهم القرآن لن يتيسر لنا معرفة الحقيقة والافتراء الذي افترى به على ابن مسعود دون أن ندرس أسباب اختلاف ابن مسعود مع الوليد والي الكوفة، والخليفة عثمان وكذلك الشأن في دراسة ما عدا دينكم الخبرين ومن ثم رأينا انه لن يتيسر لنا دراسة كل تلكم الأخبار دون أن ندرس المجتمع الذي نزل فيه القرآن في العصر الجاهلي ثم في العصر الإسلامي في مكة مع قريش والمدينة في ما يخص سيرة الرسول ومع من كان يعاشره وهذا ما سميناه بالمجتمع الذي انتشر منه القرآن وتمتد دراسة المجتمع الذي انتشر منه القرآن بعد الرسول وتستوعب حكم الخلفاء أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ومعاوية حتى عصر الحجاج.

وبعد ذلك ندرس على قدر الاستطاعة تاريخ القرآن: نزوله وإقراءه وتدوينه في مكة والمدينة ونختم المجلد الأول بدراسة المصطلحات القرآنية. وفي ضوء هذه الدراسات ندرس بإذنه تعالى روايات مدرسة الخلفاء حول القرآن الكريم في المجلد الثاني وروايات مدرسة أهل البيت في المجلد الثالث. وبناءً على ما ذكرنا سيثبت في بحوث الكتاب إن شاء الله تعالى أن النص القرآني كما هو بأيدينا أوحى الله به إلى رسوله (ص) وأقرأه الرسول (ص) كذلك أصحابه.

وكَلَّمَا أَوْحَى إِلَى رَسُولِهِ (ص) مِنَ الْقُرْآنِ وَبَيَّنَّ الْقُرْآنَ أَمْرًا مِّنْ حَضْرَتِهِ مِّنْ كِتَابِهِ بِتَدْوِينِهِ عَلَى مَا حَضَرَهُ مِنْ جِلْدٍ وَخَشَبٍ وَعَظْمٍ كَتَفَ وَمَا شَابَهَا، وَأَوْصَى عَلِيًّا أَنْ يَجْمَعَهُ مِنْ بَعْدِهِ ففعل.

وكذلك فعل كل من كان تعلم الكتابة من أصحابه، وكذلك فعل التابعون في عصر الصحابة.

واقترضت سياسة الخلفاء من بعده أن يجردوا القرآن من حديث الرسول (ص) المبين لمعاني القرآن وبدؤوا بذلك في عصر أبي بكر وانتهى الأمر في عصر عمر، ونسخ عليه سبع نسخ وزعها بين أمهات البلاد الإسلامية وأمر

بأحراق ما عند الصحابة من نسخ كتب فيها القرآن مع بيان الرسول (ص).
فكتب المسلمون بعد ذلك القرآن مجرداً عن حديث الرسول (ص) جيلاً
بعد جيل حتى عصرنا الحاضر.

ولم تنس كلمة مسماً أوحى الى الرسول من القرآن ولم تزد عليها
ولم تنقص منها كلمة ولم تبدل منها كلمة في عصر من العصور.
ووضع على عهد مدوية فما بعد من عصور الخلافة الاموية روايات
لتبرير عمل الخليفة عثمان في شأن القرآن وسائر شؤون سياسة الحكم على
عهده بالاضافة إلى ذلك نسبت بعض معاني المصطلحات القرآنية مثل الاقراء
والمقرئ الذي كان في عصر الرسول (ص) والصحابة بمعنى: تعليم تلاوة
لفظ القرآن مع تعليم معنى اللفظ، وبسبب عدم معرفة معنى هذا المصطلح
بالاضافة الى تلكم الاحاديث اختلفت قراءات مختلفة وأصبحت علماً يتدارسونه
جيلاً بعد جيل.

ولعدم معرفة معنى مصطلح النسخ والآية اختلف علم الناسخ والمنسوخ
وألف في أمثال هذه المختلقات مئات المؤلفات.

ولا يتيسر درك حقيقة الروايات و الاخبار التي المحنا اليها آنفاً واللاقي
سوف ندرسها في المجلدين الثاني والثالث من هذا الكتاب باذنه - تعالى - دون
استيعاب كل البحوث التي أوردناها في المجلد الأول باتقان ومع ان في بسط
بعض تلكم الاخبار ما يؤلم القلب غير ان فهم ما افترى على الله ورسوله (ص)
وكتابه واصحاب رسوله وفهم المصطلحات القرآنية لن يتيسر دون دراسة جميع
مانقلنا من أخبار وياليت تلك الحوادث لم تقع ولم نكن نضطر الى دراستها
في سبيل الدفاع عن كرامة كتاب الله الكريم.

منهج البحث :

لما كان الاستدلال على بعض العلوم النظرية يتوقف على تذكّار بعض

البديهيات، وكنا في هذه البحوث نخاطب عامة الناس المتخصص منهم بهذه العلوم وغير المتخصص والمسلم منهم وغير المسلم، اضطررنا أحياناً إلى شرح بعض المصطلحات التي يبحث عنها في بدايات العلوم هي من البديهيات عند المشاركين في العلوم الإسلامية، وأحياناً عند عامة المسلمين، كما إننا اضطررنا أحياناً إلى تكرار بعض المفاهيم التي سبق شرحها، لما كان الاستدلال عليها في البحث الجديد يتوقف على التذكير بتلك المفاهيم وخاصة الجديدة منها على المجتمع وادرنا البحوث المذكورة وفق المخطط الآتي:

مخطط البحوث القرآنية

المجلد الأول: بحوث تمهيدية

البحث الأول: ملامح المجتمع العربي الجاهلي الذي نزل فيه القرآن وخصائصه
١ - النظام القبلي.

٢ - الوضع الإقتصادي في الجزيرة العربية.

٣ - النظم الإجتماعية.

٤ - أديان العرب في العصر الجاهلي.

البحث الثاني: من تاريخ القرآن.

أخبار القرآن على عهد الرسول (ص).

أ - في العصر المكي .

ب - في العصر المدني .

البحث الثالث: مصطلحات إسلامية قرآنية

المجلد الثاني

دراسات مقارنة لروايات مدرسة الخلفاء حول القرآن الكريم

أ - الدليل المشترك بين المدرستين .

ب - روايات البسمة وتناقضها ومنشؤه .

- ج - روايات جمع القرآن و تناقضها .
د - روايات اختلاف المصاحف وروايات الزيادة والنقصان.
هـ - روايات نزول القرآن على سبعة أحرف وأربعون اجتهاداً خاطئاً في تأويلها.
و - القراءات و القراء .
ز - بحوث النسخ و الإنشاء .
ح - استناد المستشرقين بالروايات المختلفة والاجتهادات الخاطئة في التشكيك بثبوت النصّ القرآني.
ط - دراسة الروايات السابقة و اجتهاداتهم الخاطئة .

المجلد الثالث

دراسة مقارنة لروايات مدرسة أهل البيت (ع) وما نسب
إلى مدرستهم من روايات

بحوث تمهيدية

«١»

ملامح المجتمع العربي الجاهلي الذي نزل
فيه القرآن وخصائصه

- أ - النظام القبلي.
- ب - الوضع الإقتصادي في الجزيرة العربية.
- ج - النظم الإجتماعية.
- د - أديان العرب في العصر الجاهلي.

أولاً - النظام القبيلي:

كان أكثر سكان الجزيرة العربية في العصر الجاهلي قبائل رُحلاً يسكنون البادية. ونذكر في ما يأتي شيئاً من عاداتهم نقلًا من كتاب تاريخ العرب قبل الإسلام بتصرف وإيجاز^(١):

أما البدو، فهم القبائل الرّحل المتنقلون من جهة إلى أخرى طلباً للمرعى أو للماء، والطبيعة هي التي تجبر البدويّ على المحافظة على هذه الحياة. وحياة البدوي حياة شاقّة مضنية، ولكنه - وهو متمتع بأكبر قسط من الحرية - يفضّلها على أي حياة مدنية أخرى.

هذه الحياة الخشنة هي التي جعلت القبائل يتقاتلون في سبيل المرعى والماء، وهي التي جعلت سوء الظنّ يغلب على طباعهم، فالبدويّ ينظر إلى غيره نظرة العدو الذي يحاول أخذ ما بيده أو حرمانه من المرعى.

إنّ البدويّ في الصحراء لا يهتم إلاّ المطر والمرعى، فأزمته الحقيقية انحباس المطر وقلة المرعى، ولا يبالي بما يصيب العالم في الخارج مادامت أرضه مخضرة، وبعيره سميناً، وغنمه قد اكتنزت لحماً وقد طبقت شحماً.

أما إذا نجا السكان وضاعت بهم الأرض، أو لم تجد أراضيهم بالمرعى،

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام تأليف الدكتور جواد علي ط. بيروت سنة

١٩٧٦م / ١ - ٢٧٤ - ٢٧٩.

فليس هناك سبيل إلا الزحف والقتال، أو الهجرة إن كان هناك سبيل إليها، وكذلك القبيلة التي غلبت على أمرها وحرمت من مراعيها وأراضيها ليس أمامها سبيل آخر سوى الهجرة.

والمرأة البدوية ترفض الزواج من غني، إذا كان ابن صانع، أو أنه من سلالة العبيد، أو كان نسبه القبيلي يحيط به شيء من الشك، فسلطان المال لا قيمة له عند العرب ومع وجود هذه الروح الارستقراطية التي تتجلى فقط في الزواج ورياسة القبيلة والحكم، فإنه لا يكاد يوجد فارق في طرق المعيشة الأخرى.

ومن عادة القسم الأكبر من سكان الجزيرة - ولا سيما البدو - مخاطبة رؤسائهم بأسمائهم أو بألقابهم، لأنهم لا يعرفون الألقاب وألفاظ التعظيم والتفخيم، فيقولون يا فلان يا فلان ويا طويل العمر.

والبدوي لا ينسى المعروف، ولا ينسى الإساءة كذلك، فإذا أسيء إليه، ولم يتمكن من رد الإساءة في الحال، كظم حقه في نفسه، وتربص بالمسيء، حتى يجد فرصته فينتقم منه، فذاكرة البدوي ذاكرة قوية حافظة لا تنسى الأشياء.

وللبدو مهارة فائقة في اقتفاء الأثر، وكثيراً ما كانت هذه المعرفة سبباً في اكتشاف كثير من الجرائم ولا تكاد تخلو قبيلة من طائفة منهم.

والقبائل العريقة المشهورة من حضر وبادية تحافظ على أنسابها تام المحافظة وتحرص عليها كل الحرص، فلا تصاهر إلا من يساويها في النسب. والقبائل المشكوك في نسبها لا يصاهرها أحد من القبائل المعروفة.

وإن من الصعب عليه نبذ ما كان عليه آباؤه وأجداده من عادات وتقاليد فالتقاليد والعرف وما تعارفت عليه القبيلة هي عنده قانون البداوة، وقانون البداوة دستور لا يمكن تحطيه ولا مخالفته، ومن هنا يخطئ من يظن أن البداوة حرية لا حد لها، وفوضى لا يردعها رادع، وأن الأعراب فرديون لا يخضعون

لنظام ولا لقانون على نحو ما يترأى ذلك للحضري أو للغريب.
إنهم في الواقع خاضعون لعرفهم القبيلي خضوعاً صارماً شديداً، وكلّ من
يخرج عن ذلك العرف يطرد من أهله ويتبرأ قومه منه، ويضطر أن يعيش طريداً
أو صلوكاً مع بقية الصعاليك.

والعربي رجل جاد صارم، لا يميل إلى هزل ولا دعاية، فليس من طبع
الرجل أن يكون صاحب هزل ودعاية، لأنهما من مظاهر الخفة والحمق، ولا يليق
بالرجل أن يكون خفيفاً، لهذا حذر في كلامه وتشدد في مجلسه، وقلّ في مجتمعه
الإسفاف، وإذا كان مجلس عام، أو مجلس سيد قبيلة، روعي فيه الاحتشام
والابتعاد عن قول السخف، والاستهزاء بالآخرين، وإلقاء النكات
والمضحكات، حرمة لآداب المجالس ومكانة الرجال.

وإذا وجدوا في رجل دعاية أو ميلاً إلى الضحك أو إضحاك عابوه عليه
وأنقصوا من شأنه كأنثاً من كان.

وعبارة مثل «لا عيب فيه غير أن فيه دعاية» أو «لا عيب فيه إلا أن فيه
دعاية» هي من العبارات التي تعبر عن الانتقاص والهمز واللمز.
والبدوي محافظ متمسك بحياته وبما قدر له، معتزّ بما كتب له وإن كانت
في حياته خشونة وصعوبة ومشقة.

ولهذا كان للقبيلة قيمتها في بلاد العرب، فالإنسان يقوى بأبنائه وأبناء
عمومته الأقربين والأبعدين، وإذا كانت القبيلة ضعيفة استقوت بالتحالف مع
سواها حتى يقوى الفريقان ويأمنوا شر غيرهما من القبائل القويّة.
وقد جرى العرف أن القبائل تعتبر الأرض التي أعتادت رعيها، والمياه
التي أعتادت أن تردها ملكاً لها، لا تسمح لغيرها من القبائل الأخرى بالدنو
منها إلا بإذنها ورضاها، وكثيراً ما تأنس إحدى القبائل من نفسها القوة فتتهجم
بلا سابق إنذار على قبيلة أخرى، وتنتزع منها مراعيها ومياهها.
إن قبائل العرب ليسوا كلهم سواء في الشرّ والتعدّي على السابلية

والقوافل، فبعضها قد أشتهر أمره بالكرم والساحة والترفع عن الدنيا، كما أشتهر بعضها بالتعدي وسفك الدماء بلا سبب سوى الطمع فيما في أيدي الناس.

ليس للبدوي قيمة حربية تذكر، ولذا كان اعتماد الأمراء على الحضري، فهم الذين يصمدون للقتال ويصبرون على بلائه وبلوانه.

و البدوي إذا لم يجد سلطة تردعه أو تضرب على يده يرى من حقه نهب الغادي والرائح، فالحقّ عنده هو القوة يخضع لها، ويخضع غيره بها. على أن لهؤلاء قواعد للبادية معتبرة عندهم. كقوانين يجب احترامها، فالقوافل التي تمر بأرض قبيلة وليس معها من يحميها من أفراد هذه القبيلة معرضة للنهب، ولذا اعتادت القوافل قديماً أن يصحبها عدد غير قليل من القبائل التي ستمر بأرضها ويسمّون هذا رقيقاً.

و البدوي يحتقر الحضري مهما أكرمه، كما ان الحضري يحقر البدوي. فإذا وصف البدوي الحضري، فانه في الغالب يقول حضيري تصغيراً لشأنه.

ومن عادة البدوي الاستفهام عن كل شيء، وانتقاد ما يراه مخالفاً لذوقه أو لعاداته بكل صراحة، فإذا مررت بالبدوي في الصحراء استوقفك وسألك من أين أنت قادم؟ وعمن وراءك من المشايخ والحكام؟ وعن المياه التي مررت بها؟ وعن أخبار الأمطار والمراعي، وعن أسعار الأغذية والقهوة؟ وعمن في البلد من القبائل؟ وعن العلاقات السياسية بين الحكام بعضهم مع بعض^(٢).

* * *

أوردنا ما جاء في كتاب المفصل في وصف عرب البادية في العصر الحاضر لأننا رأيناه كذلك يصدق على عرب البادية في العصر الجاهلي حيث كان النظام القبلي أساس النظم الإجتماعية في الجزيرة العربية قبل مبعث الرسول (ص)

(٢) كان ذلكم قبل ان ينتشر الراديو والتلفاز عندهم.

فقد كان المقاتل العربي يجاهد في سبيل أجداد قبيلته ومصالحها، وشاعر القبيلة ينظم القصائد في سبيل إعلاء كلمة القبيلة ومولى القبيلة وحليف القبيلة واللصيق بالقبيلة والمتبني كذلك يفعلون.

ونذكر في ما يأتي بإذنه - تعالى - الوضع الاقتصادي في المجتمع العربي الجاهلي.

والوضع الاقتصادي في المجتمع العربي الجاهلي كان قائماً على أساس القبيلة، حيث كان الفرد مرتبطاً بقبيلته، وكان القبيلة هي التي توفر له الحماية والدعم في حالته. وكان القبيلة هي التي تتولى الدفاع عن أفرادها، وكان القبيلة هي التي تتولى توزيع الثروة بين أفرادها. وكان القبيلة هي التي تتولى تنظيم العلاقات بين القبائل المختلفة، وكان القبيلة هي التي تتولى تنظيم العلاقات بين القبائل المختلفة.

والوضع الاقتصادي في المجتمع العربي الجاهلي كان قائماً على أساس القبيلة، حيث كان الفرد مرتبطاً بقبيلته، وكان القبيلة هي التي توفر له الحماية والدعم في حالته. وكان القبيلة هي التي تتولى الدفاع عن أفرادها، وكان القبيلة هي التي تتولى توزيع الثروة بين أفرادها. وكان القبيلة هي التي تتولى تنظيم العلاقات بين القبائل المختلفة، وكان القبيلة هي التي تتولى تنظيم العلاقات بين القبائل المختلفة.

ثانياً - الوضع الاقتصادي ومصادر الثروة في الجزيرة العربية:

كانت قريش خاصة وسكان مكة عامة يمتنون التجارة. واهل المدينة والقرى التي حوالها وأهل الطائف والمدن اليمانية والقرى العربية في العراق وحوالي الشام يمتنون الغرس والزرع وتربية الماشية. وكان من مصادر الثروة لأهل مكة والطائف والمدينة خاصة ونادراً ماغيرهم من العرب، الربا والقبار - الميسر - والاكتساب من الجوارى في البغاء. وكان ماعدا سكان المدن من العشائر، قبائل رحل يتبدون ويتنقلون طلباً للماء والكلأ لأنفسهم ولجباهم وكان جلهم يغير البعض منهم على البعض الآخر في غزوات يقاتلون فيها الرجال ويسبون النساء والاطفال وينهبون الأموال ولهم أسواق لتبادل السلع فيها وللمفاخرة ومايتصل بها من انشاد شعرائهم ماأحدثوا من شعر وفي مايتي بيان ذلك بحوله تعالى.

أ و ب - التجارة و الايلاف

اتسعت تجارة قريش منذ عصر هاشم واخوته، كما رواه القرطبي وغيره واللفظ للقرطبي في تفسير سورة قريش، قال:
كان أصحاب الايلاف أربعة أخوة: هاشم، وعبد شمس، والمطلب ونوفل، بنو عبد مناف.

فأما هاشم، فانه كان يؤلف ملك الشام، أي أخذ منه حبلاً وعهداً يأمن به في تجارته إلى الشام.

وأخوه عبد شمس كان يؤلف إلى الحبشة.

والمطلب إلى اليمن.

ونوفل إلى فارس.

ومعنى يؤلف يجير.

فكان هؤلاء الاخوة يسمون المجيرين. وكان تجار قريش يختلفون إلى الأمصار بحبل هؤلاء الاخوة، فلا يتعرض لهم.

والإيلاف: شبه الاجارة بالخفارة يقال: آلف يؤلف: إذا أجاز الحائل بالخفارة.

والحائل: جمع حمولة.

قال: والتأويل: ان قريشاً كانوا سكان الحرم، ولم يكن لهم زرع ولا ضرع، وكانوا يمiron في الشتاء والصيف آمنين، والناس يتخطفون من حولهم، فكانوا إذا عرض لهم عارض قالوا: نحن أهل حرم الله، فلا يتعرض الناس لهم^(١)

وأخبر الله عن ذلك بقوله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِلَافٍ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا
الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾

وسياتي في بحث شتظف العيش في الجاهلية ان هاشبا هو الذي سن لقريش الرحلتين للتجارة مع بيان سبب قيامه بذلك إن شاء الله تعالى:

(١) تفسير القرطبي ط. بيروت سنة ١٣٨٧هـ اقتص على الطبعة المصرية الثالثة

٢٠٤/٢٠

شرح الفاظ الخبر: الاجارة: الإغاثة والحماية والخفارة: الامان والحمولة: الابل التي

تحمل.

ج و د - الضرع و الزرع:

ولا حاجة لاطالة الكلام في بيانها.

هـ - الربا

١ - في سورة البقرة:

﴿ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلَ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * يَسْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَرَبِّي الْأَصْدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يَحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ * وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

٢ - في سورة آل عمران:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ * وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (الآيات/ ١٣٠ - ١٣٢)

تفسير الكلمات:

١ - الربا:

ربا الشيء يربو رباء وربوياً زاد ونما والربا: الزيادة على رأس المال، والربا المنهي عنه في الاسلام نوعان:

أ - أن يدفع انسان لآخر مبلغاً من الذهب أو الفضة إلى أجل معين على أن يأخذ في الاجل زيادة على رأس ماله.

ب - أن يدفع جنساً ويأخذ نفس الجنس مع زيادة في الوزن مثل أن يبيع اناء مصنوعاً من ذهب وزنه خمسون مثقالاً ويأخذ بدله خمساً وخمسين مثقالاً من الذهب النقد غير المصنوع.

٢ - يمحق:

محق الشيء: نقصه، محق الله المال أذهب بركته.

٣ - فاذنوا:

فاسمعوا باعلان حرب من الله.

٤ - النظرة:

الامهال والتأخير.

٥ - ذو عسرة:

ضيق ذات اليد والعجز عن الوفاء بالدين.

خبر الربا في العصر الجاهلي:

كان الربا في الجاهلية من مصادر الثراء لأهل مكة والطائف واليهود في المدينة وحواليها.

وذكر المفسرون مثل السيوطي في تفسير ﴿ وَذُرُّوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا ﴾ أنواعاً من الربا في الجاهلية منها:

أن يكون للرجل على الرجل الحق إلى أجل فإذا حلّ الأجل قال: أتقضي أم تربي؟ فإن قضاؤه أخذ وإلا زاده في حقه وزاده الآخر في الأجل.

وكان العباس عمّ النبي ورجل من بني المغيرة شريكين في الجاهلية يسلفان في الربا فجاه الاسلام ولهما أموال عظيمة في الربا، وقال رسول الله (ص) في خطبته في حجة الوداع: ألا إن كل ربا في الجاهلية موضوع ﴿ فَلَكُمْ

رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢﴾ وأول ربا موضوع ربا العباس (٢).

و- الاكتساب ببغى الجواري

قال ابن حبيب في المعبر:

ومن سنتهم انهم كانوا يكسبون بفروج امانهم وكان لبعضهن راية منصوبة في أسواق العرب، فيأتيها الناس فيفجرون بها، فأذهب الاسلام ذلك وأسقطه (٣).

روى الطبري والسيوطي في تفسير ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ ﴾ واللفظ للأول: انهم كانوا في الجاهلية يأمرون إماءهم ولائدهم بياغين يفعلن ذلك فيصين فيأتينهم بكسبهن (٤).

وفي العقد الفريد:

وكان لبعضهن رايات على أبواب بيوتهن (٥).

ومن جملتهن سمية جارية الحارث بن كلدة امرأة عمّيه عبيد وأم زياد بن أبيه.

وقد ذكرنا خبرها مع أبي سفيان واستلحاق معاوية اياه بنسبه في بحث استلحاق نسب زياد في المجلد الأول من كتاب عبد الله بن سبأ. وكان في المدينة جارتان لعبد الله بن أبي يكتسب من أجر بغائهما، إحداها معاذة وأرادها على نفسها قرشي من أسرى بدر وكانت قد أسلمت فأبت ذلك لإسلامها وكان أبي يضربها ليكرها على ذلك رجاء أن تحمل للقرشي

(٢) تفسير السيوطي ١/ ٣٦٦ - ٣٧٧.

(٣) المعبر لابن حبيب ص ٣٤.

(٤) الطبري ١٨/ ١٠٣، والدر المنثور ٥/ ٤٧.

(٥) راجع العقد الفريد ط. القاهرة سنة ١٣٧٥هـ - ٤/٥.

فيطلب فداء ولده، فأنزل الله تعالى:

﴿ وَلَا تُكْرَهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبَغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَفُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٦) (النور/٣٣).

* * *

شظف العيش في الجاهلية:

إن الكثرة الكاثرة من العرب في الجاهلية كانوا يعيشون في فقر مدقع،
يأكلون القد والعلهز والفضيد والهييد من فرط الجوع، ويشربون الطرق
وأحياناً الفظ من العطش .

قالت فاطمة ابنة رسول الله (ص) في خطبتها للمهاجرين والأنصار:
«وكنتم.. تشربون الطرق وتقتاتون القد»^(٧)

أ و ب - القد و الطرق:

قال ابن الأثير: الطرق: الماء الذي خاضته الإبل وبالت فيه وبعرت.
وقال في مادة القد:

ومنه حديث عمر: كانوا يأكلون القد يريد جلد السخلة في الجذب.
قال المؤلف: يقصد الجلد غير المدبوغ.

ج - العلهز:

قال ابن الأثير وابن منظور في مادة العلهز:

في دعائه (ع) على مضر: «اللهم اجعل عليهم سنين كسني يوسف».

فابتلوا بالجوع حتى أكلوا العلهز، هو شيء يتخذونه في سنين المجاعة

(٦) تفسير الآية بتفسير الطبري ط. بيروت سنة ١٣٩٢هـ - ١٠٣/١٨ - ١٠٤، والدر

النشور ٤٦/٥ - ٤٧.

(٧) شرح النهج ٢٥٠/١٦.

يخلطون الدم بأوبار الابل ثم يشوونه بالنار ويأكلونه.

وقيل: كانوا يخلطون فيه القردان ويقال للقراد الضخم العلهز، ومنه حديث عكرمة كان طعام أهل الجاهلية العلهز.
د - الهبيد

قال ابن الأثير وابن منظور ما موجزه:

الهبيد: الحنظل يكسر ويستخرج حبه وينقع لتذهب مرارته ويتخذ منه طبيخ يؤكل عند الضرورة وفي حديث عمر وأمه فزودتنا من الهبيد.
هـ - الفصيد والبجة:

قال ابن الأثير وابن منظور في مادة الفصيد ما موجزه:

وكانوا يفصدون عرق الناقة ليخرج الدم منه فيشرب، يفعلونه أيام الجوع. كما كانوا يأخذون ذلك الدم ويسخنونه إلى أن يجمد ويقوى فيطعم به الضيف في شدة الزمان، إذا نزل بهم ضيف فلا يكون عندهم ما يقريه، ويشع أن ينحر المضيف راحلته فيفصدها.

و(الفصيد) دم كان يوضع في الجاهلية في معى من فصد عرق البعير ويشوى وكان أهل الجاهلية يأكلونه ويطعمونه الضيف في الأزمة.

وقال ابن الأثير - أيضاً - في تفسيرها:

وفي حديث أبي رجاء لما بلغنا أن النبي (ص) قد أخذ في القتل هربنا فاستثرنا شلو أرنب دفيناً وفصدنا عليها فلا أنسى تلك الاكلة أي فصدنا على شلو الارنب بعيراً وأسلنا عليه دمه وطبخناه وأكلناه.

وقالا في مادة البجة ما موجزه:

ويقال للفصيد (البجة) كذلك. و(البجة) دم الفصيد، يأكلونها في الأزمة.

والبج الطعن غير النافذ، فقد كانوا يفصدون عرق البعير ويأخذون الدم يتبلفون به في السنة المجذبة. جاء في الحديث: (إن الله قد أراحكم من الشجة والبجة).

و - الفظ:

ماء كرش البعير .

و افتظَّ البعير: شقَّ كرشه، وأعتصر ماءه ليشربه، وكان المسافر في الصحراء يسقي الإبل، ثم يشدُّ أفواهها، لئلا تجترَّ، فإذا عطش افتظها^(٨).
وفي تاريخ العرب قبل الإسلام لم يكن في وسع كثير من الجاهليين الحصول على اللحم لفقرهم. فكانوا يأتمدون (الصليب) وهو الودك - ودك العظام - يجمعون العظام ويكسرونها ويطبخونها، ثم يجمعون الودك الذي يخرج منها ليأتمدوا به.

وقد عرفوا بـ (أصحاب الصلب).

ولما قدم الرسول مكة (أتاه أصحاب الصلب الذين يجمعون العظام إذا لحب عنها لحانها فيطبخونها بالماء ويستخرجون ودكها ويأتمدون به).
ولم يكن في استطاعة الفقراء أكل الخبز لغلائه بالنسبة لهم. لذلك عدَّ أكله من علائم الغنى والمال، وكان الذي يطعم الخبز والتمر يعد من السادة الكرام. وكان أحدهم يفتخر بقوله (خبزت القوم وتمرهم)، بمعنى أطعمتهم الخبز والتمر.

وقد افتخر (بنو العنبر) بسيدهم (عبد الله بن حبيب العنبري)، لأنه كان لا يأكل التمر ولا يرغب في اللبن، بل كان يأكل الخبز، فكانوا إذا افتخروا، قالوا: منّا آكل الخبز.

وكانوا يقولون (أقرى من آكل الخبز) لأنه كان جواداً.
وكان منهم من رضي وقنع بالدون من المعيشة، فعاش في فقر مدقع،

(٨) أخذنا موزج ماقاله ابن الأثير في نهاية اللغة وابن منظور في لسان العرب بترجمة القد والمهز والمهيد والفضيد والبجة والفظ وأوردناه سياقاً واحداً وأخذنا ترجمة الفظ من مادته في المعجم الوسيط.

والدقع الرضا بالدون من المعيشة وسوء احتمال الفقر واللصوق بالأرض من الفقر والجوع، فهم ينامون على التراب ويلتحفون السماء، والدقعة الفقر والذل، وجوع أدقع وديقوع شديد، وهم مثل (بنو غبراء) في الفقر والحاجة، أولئك الذين توسدوا الغبراء واتخذوا التربة فراشاً لهم، لعدم وجود ملجأ لهم يأوون إليه، ولا مكان يحتمون به^(٩).

* * *

كانت تلكم بعض انواع طعامهم في ايام الخمسة واحياناً كانوا لا يجدون ما يقتاتون به، فيؤذي ذلك بهم الى الانتحار الذي كانوا يسمونه الاعتفاد كالأتي بيانه:

وكان بين الجاهليين فقراء معدمون مدقعون لم يملكوا من حطام هذه الدنيا شيئاً، وكانت حالتهم مزرية مؤلمة، منهم من سأل الموسرين نوال إحسانهم، ومنهم من تحامل على نفسه تكراً وتعقفاً، فلم يسأل غباً ولم يطلب من الموسرين حاجة، محافظة على كرامته وعلى ماء وجهه، مفضلاً الجوع على الشبع بالاستجداء، حتى ذكر ان منهم من كان يختار الموت على الدنية، والدنية هي أن يذهب الى رجل، فيتوسل إليه بأن يجود عليه بمعروف، ومنهم من اعتقد، والاعتفاد أن يفلق الرجل بابه على نفسه، فلا يسأل أحداً حتى يموت جوعاً، وكانوا يفعلون ذلك في الجذب، قيل: كانوا إذا اشتد بهم الجوع وخافوا أن يموتوا أغلقوا عليهم باباً وجعلوا حظيرة من شجرة يدخلون فيها ليموتوا جوعاً^(١٠).

روى السيوطي بتفسيره سورة قريش عن عمر بن عبد العزيز انه قال: كانت قريش في الجاهلية تعتقد وكان اعتفادها: أن أهل البيت منهم كانوا إذا

(٩) تاريخ العرب قبل الاسلام تأليف الدكتور جواد علي ٨٠/٥ - ٨١ ط. دار العلم في

بيروت سنة ١٩٧٠م.

(١٠) مادة عغد من تاج العروس وتاريخ العرب قبل الاسلام ٨٠/٥.

سافت يعني هلكت أموالهم خرجوا إلى برار من الأرض فضرَبوا على أنفسهم الأخبية ثم تناوبوا فيها حتى يموتوا من قبل أن يُعَلِّمَ بخلتهم حتى نشأ هاشم ابن عبد مناف، فلما نبِلَ وعظم قدره في قومه قال يامعشر قريش إن العزم مع الكثرة، وقد أصبحتم أكثر العرب أموالاً وأعزهم نفراً، وإن هذا الاعتقاد قد أتى على كثير منكم، وقد رأيت رأياً.

قالوا: رأيك راشد فمرنا نأتمر قال: رأيت أن أخلط فقراءكم بأغنيائكم فأعمد إلى رجل غني، فأضم إليه فقيراً عياله بعدد عياله فيكون يوازره في الرحلتين رحلة الصيف إلى الشام ورحلة الشتاء إلى اليمن، فما كان في مال الغني من فضل عاش الفقير وعياله في ظله وكان ذلك قطعاً للاعتقاد^(١١).
قالوا نعم مارأيت فألف بين الناس^(١٢).

وتفصيل الخبر بتفسير السورة عند القرطبي وبعضه بهادة (عقد) من لسان العرب وأكثر لفظ الخبر من القرطبي عن ابن عباس انه قال:
إن قريشاً كانوا إذا أصابت واحداً منهم مخمصة^(١٣) جرى هو وعياله إلى موضع معروف، فضرَبوا على أنفسهم خباء فهاتوا، حتى كان عمرو بن عبد مناف، وكان سيداً في زمانه، وله أبن يقال له: أسد، وكان له ترَبٌ^(١٤) من بني مخزوم، يحبه ويلعب معه، فقال له: نحن غدا نعتقد وتأويله: ذهابهم إلى ذلك الخباء، وموتهم واحداً بعد واحد.

قال: فدخل أسد على أمه بيكي، وذكر ما قاله ترَبه.
قال: فأرسلت أم أسد إلى أولئك بشحم ودقيق، فعاشوا به أياماً، ثم إن ترَبه أتاه أيضاً فقال: نحن غدا نعتقد، فدخل أسد على أبيه بيكي، وخبره خبر

(١١) في الاصل نحتفد والاحتفاد تحريف.

(١٢) تفسير السيوطي ٣٩٧/٦.

(١٣) المخمصة: المجاعة.

(١٤) الترب (بالكسر): اللدة ومساويك في السن ومن ولد معك.

تربه، فاشتد ذلك على عمرو بن عبد مناف، فقام خطيباً في قريش وكانوا يطيعون أمره، فقال: إنكم أحدثتم حدثاً تفلون فيه وتكثر العرب، وتذلون وتعزّ العرب، وأنتم أهل حرم الله - جل وعز - وأشرف ولد آدم، والناس لكم تبع، ويكاد هذا الاعتقاد يأتي عليكم.
فقالوا: نحن لك تبع.

قال: ابتدؤوا بهذا الرجل - يعني أبا ترب أسد - فأغنوه عن الاعتقاد ففعلوا، ثم إنّه نحر البدن، وذبح الكباش والمعز، ثم هشم الثريد، وأطعم الناس، فسّمى هاشماً، وفيه قال الشاعر:

عمرو العلا هشم الثريد لقومه ورجال مكة مُستنون^(١٥) عجاف
ثم جمع كل بني أبي علي رحلتين: في الشتاء إلى اليمن، وفي الصيف إلى الشام للتجارات، فما ربح الغني قسمه بينه وبين الفقير، حتى صار فقيرهم كغنيهم؛ فجاء الإسلام وهم على هذا، فلم يكن في العرب بنو أب أكثر مالاً ولا أعزّ من قريش، وهو قول شاعرهم:

والخالطون فقيرهم بغنيهم حتى يصير فقيرهم كالكافي
فلم يزالوا كذلك، حتى بعث الله رسوله محمداً (ص)، فقال: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ﴾ بصنيع هاشم ﴿وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ أن تكثر العرب ويقبلوا^(١٦).

ومع ذلك - أيضاً - لم يكن كلّ أفراد قريش أثرياء مرفهين، بل كانت الكثرة الكاثرة منهم يتحملون السغب والجوع، ومن ثمّ كانت كثرة العيال لهم محنة يتعسر عليهم تحملها.

ونذكر مثالين من سيرة الرسول كدليل على الوضع الاقتصادي لدى

(١٥) مستنون: أي أصابتهم السنة. والسنة: الجذب والقحط.

(١٦) تفسير القرطبي ٢٠/٢٠٤ - ٢٠٥.

سروات مكة:

أ - روى ابن اسحاق وقال:

إن قريشاً أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثير؛ فقال رسول الله (ص) للعبّاس عمّه، وكان من أيسر بني هاشم: يا عبّاس، إن أخاك أبا طالب كثيرُ العيال، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة، فانطلق بنا إليه فلنخفف عنه من عياله، آخذٌ من بنيهِ رجلاً وتأخذ أنت رجلاً فنكلهما عنه؛ فقال العبّاس: نعم.

فانطلقا حتى أتيا أبا طالب، فقالا له: إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه.

فقال لهما أبو طالب: إذا تركتني لي عقيلاً وطالباً فاصنعا ما شئتما. فأخذ رسول الله (ص) علياً فضمه إليه، وأخذ العبّاس جعفرأ فضمه إليه؛ فلم يزل عليٌّ مع رسول الله (ص) حتى بعثه الله - تبارك وتعالى - نبياً، فاتبعه عليٌّ - رضي الله عنه - وآمن به وصدّقه؛ ولم يزل جعفرٌ عند العبّاس حتى أسلم واستغنى عنه^(١٧).

كانت إعالة الذكور من الأولاد مشكلة لغير ذوي اليسار في سنة الجذب والقحط.

أما إعالة البنات، فقد كانت مشكلة في العصر الجاهلي تعمّ الفقير منهم وذوي اليسار في سني الجذب والرخاء كما نرى ذلك في الخبر الآتي:

ب - روى ابن اسحاق - أيضاً - وقال:

كان رسول الله (ص) قد زوج عتبة بن أبي لهب رقية أو أمّ كلثوم، فلما بادى قريشاً بأمر الله - تعالى - وبالعداوة، قالوا: إنكم قد فرغتم محمداً من همّه، فردّوا عليه بناته، فأشغلوه بهنّ. فمشوا إلى أبي العاص فقالوا له: فارق

(١٧) ابن هشام ١/٢٦٣.

صاحبتك ونحن نزوجك أي امرأة من قريش شئت؛ قال: ها لله (*)، إني لا أفارق صاحبتني، وما أحب أن لي بامرأتي امرأة من قريش.
 وكان رسول الله (ص) يشي عليه في صهره خيراً، فيما بلغني.
 ثم مشوا إلى عتبة بن أبي لهب، فقالوا له: طلق بنت محمد ونحن ننكحك أي امرأة من قريش شئت.

فقال: إن زوجتموني بنت أبان بن سعيد بن العاص، أو بنت سعيد بن العاص فارقتها فزوجوه بنت سعيد بن العاص، وفارقها، ولم يكن دخل بها فأخرجها الله من يده كرامة لها وهواناً له، وخلف عليها عثمان بن عفان بعده (١٨).
 إن قريشا لما أرادت أن تكيد برسول الله كيداً يقعه عن دعوته للتوحيد عمدت إلى إرجاع بناته إلى بيته ليشغلوه بهن عن مقارعتهم ومقابلتهم.
 وذلك لأن المرأة لم تكن تشترك يومذاك في الغزو ولا في سفر التجارة وغيرهما من الأعمال الجالبة للثروة، ومن ثم كانت أبداً ودائماً عالة على الرجل وكان ذلك أهم سبب لواد البنات في الجاهلية، كما نشير إلى بعض أخبارها في ما يأتي بحوله تعالى.

وَأَدِ الْبَنَاتِ: (١٩)

كانت العرب تند البنات بسبب الفقر وحمية الجاهلية، أما الفقر، فقد أخبر الله عنه وقال سبحانه في سورة الاسراء:
 ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴾ (الآية / ٣١)

(*) هكذا النص ونراه من خطأ النساخ والصواب: لاها الله.

(١٨) ابن هشام ٢٠٦/٢ - ٢٠٧؛ وط. مصر سنة ١٣٥٦/٢، ٢٩٦.

(١٩) وان وأد البنات بعد - أيضاً - من النظم الاجتماعية في العصر الجاهلي.

وقال تعالى ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ (التكوير/ ٨ - ٩)
 قال القرطبي: الموءودة المقتولة؛ وهي الجارية تدفن وهي حية، سميت بذلك لما
 يطرح عليها من التراب، فيؤودها أي ينقلها حتى تموت.
 وروى عن ابن عباس أنه قال:

كانت المرأة في الجاهلية إذا حملت حفرت حفرة، وتمخضت على رأسها،
 فإن ولدت جارية رمت بها في الحفرة، وُردت التراب عليها، وإن ولدت غلاماً
 حبسته، ومنه قول الراجز:

سَمِيَتْهَا إِذْ وُلِدَتْ تَمُوتُ وَالْقَبْرُ صِهْرُ ضَامِنٍ زَمِيَتْ^(٢٠)
 الزَّمِيَتْ الْوَقُورُ .

وفي تفسير الطبري ما موجه: كان الرجل من ربيعة أو مضر يشترط
 على امرأته، أن تستحي جارية وتند أخرى، فإذا كانت الجارية التي توأد غدا
 الرجل أو راح من عند امرأته، وقال لها: أنت عليّ كظهر أمي إن رجعت إليك
 ولم تنديها، فتخذ لها في الأرض خدّاً وترسل إلى نساها فيجتمع عندها ثم
 يتداولنها حتى إذا أبصرته راجعاً دستها في حفرتها ثم سوت عليها التراب^(٢١).

قال المؤلف: ونظير هذا اسقاط الجنين المتداول في عصرنا.

وفي تفسير القرطبي والطبري عن قتادة، قال: كانت الجاهلية يقتل
 أحدهم ابنته، ويغذو كلبه، فعاتبهم الله على ذلك، وتوعدهم بقوله: ﴿وَإِذَا
 الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾^(٢٢).

قال المؤلف:

(٢٠) تفسير القرطبي ٢٣٧/١٩ - ٢٣٣.

(٢١) تفسير الطبري ٣٨/٨، (بولاق) في تفسير (قد خسر الدين).

(٢٢) ما نقلناه عن القرطبي الى هنا ففي تفسيره الجامع ٢٣٢/١٩ - ٢٣٣ والخبر الأخير

رواه الطبري - أيضاً - في تفسيره ٤٦/٣٠.

إنما كانوا يغذون كلهم، لأنه كان ينفعهم في حراسة بيتهم وماشيتهم
بينما لم تكن البنت تجلب لاولئك الواندين نفعاً.

* * *

كانت تلکم أمثلة من الواد خشية الإملاق، أما الواد بسبب الحمية حمية
الجاهلية فكالاتية أخبارها:

الواد بداعي الحمية الجاهلية

ذكر أهل الأخبار أن بعض السبايا من نساء أشراف القبائل اخترن
البقاء عند من سباهن وأبين الرجوع إلى عشائرن عند المصالحة فأتار ذلك
عندهم حمية الجاهلية وأدوا بناتهم كما روى أبو الفرج في الأغاني في خبر
قيس بن عاصم التيمي السعدي وقال:

أن سبب واد قيس بنسائه أن المشمرج اليشكري أغار على بني سعد
فسبى منهم نساء واستاق أموالاً، وكان في النساء امرأة، خالها قيس بن عاصم،
فرحل قيس إليهم يسألهم أن يهبوها له أو يفدوها، فوجد عمرو بن المشمرج قد
اصطفاها لنفسه. فسأله فيها، فقال: قد جعلت أمرها إليها فإن اختارتك فخذها،
فخيرت، فاختارت عمرو بن المشمرج. فأنصرف قيس فواد كل بنت، وجعل
ذلك سنة في كل بنت تولد له، واقتدت به العرب في ذلك؛ فكان كل سيد يولد
له بنت يثدّها خوفاً من الفضيحة.

وقال:

وقد قيس بن عاصم على رسول الله (ص) فسأل بعض الأنصار عما
يتحدث به عنه من الموءودات التي وأدهن من بناته؛ فأخبر أنه ماولدت له بنت
قطّ إلا وأدها. ثم أقبل على رسول الله (ص) يحدثه فقال له: كنت أخاف سوء
الأحدوتة والفضيحة في البنات، فما ولدت لي بنت قطّ إلا وأدها، ومارحمت منهن

موءودة قط إلا بنية لي ولدتها أمها وأنا في سفر فدفعتها أمها إلى أخوالها فكانت فيهم؛ وقدمت فسألت عن الحمل، فأخبرتني المرأة أنها ولدت ولداً ميتاً.

ومضت على ذلك سنون حتى كبرت الصبية ويفعت فزارت أمها ذات يوم، فدخلت فرأيتها وقد ضفرت شعرها وجعلت في قرونها شيئاً من خلوق ونظمت عليها ودعاً، وألبستها قلادة جزع، وجعلت في عنقها مخنقة بلح؛ فقلت: من هذه الصبية فقد أعجبني جمالها وكيسها؟ فبكت ثم قالت: هذه ابنتك، كنت خبرتك أتي ولدت ولداً ميتاً، وجعلتها عند أخوالها حتى بلغت هذا المبلغ. فأمسكت عنها حتى اشتغلت عنها، ثم أخرجتها يوماً فحفرت لها حفيرة فجعلتها فيها وهي تقول: ياأبت ماتصنع بي؟! وجعلت أقذف عليها التراب وهي تقول: ياأبت أمغطي أنت بالتراب؟! أتاركي أنت وحدي ومنصرف عني؟! وجعلت أقذف عليها التراب ذلك حتى واريثها وانقطع صوتها، فما رحمت أحداً ممن واريثه غيرها. فدمعت عينا النبي (ص) ثم قال: «إن هذه لقسوة، وإن من لا يرحم لا يرحم»^(٢٣).

وقال القرطبي:

أن قيس بن عاصم سأل النبي (ص) وقال: يارسول الله! إنني وأدت ثمانى بنات كن لي في الجاهلية.

قال: «فأعتق عن كل واحدة منهم رقبة».

قال: يارسول الله إنني صاحب إبل.

قال: «فأهد عن كل واحدة منهن بدنة إن شئت»^(٢٤).

(٢٣) الأغاني ط. ساسي ١٤٤/١٢ وط. بيروت ٦٦/١٤. والمخلوق: ضرب من الطيب، والودع: خرز بيض أجوف في بطونها شق كشق النواة تتفاوت في الصفر والكبر والواحدة: دعة والمجزع: الحرز الياني الصيني فيه سواد وبياض والمخنقة: القلادة وكيسها: عقلها.

(٢٤) القرطبي، التفسير الجامع، ٢٣٣/١٩.

و(ثمانى) في النص كذا: ثمان .

وقال (القرطبي): «إنه كان من العرب من يقتل ولده خشية الإملاق، كما ذكر الله - عز وجل - وكان منهم من يقتله سفهاً بغير حجة منهم في قتلهم، وهم ربيعة ومضر، كانوا يقتلون بناتهم لأجل الحمية.

وروي أن رجلاً من أصحاب النبي (ص) وكان لا يزال مغتماً بين يدي رسول الله (ص)، فقال له رسول الله (ص): مالك تكون محزوناً؟

فقال: يارسول الله، إني أذنبت ذنباً في الجاهلية فأخاف ألا يغفره الله لي وإن أسلمت.

فقال له: أخبرني عن ذنبك.

فقال: يارسول الله، إني كنت من الذين يقتلون بناتهم، فولدت لي بنت، فتشفعت إليّ أمرأتي أن أتركها، فتركته حتى كبرت وأدرت، وصارت من أجل النساء، فخطبوها، فدخلتني الحمية، ولم يحتمل قلبي أن أزوجه أو أتركها في البيت بغير زواج، فقلت للمرأة: إني أريد أن أذهب إلى قبيلة كذا وكذا في زيارة أقربائي، فابعثها معي، فسرت بذلك، وزنتها بالثياب والحلي، وأخذت علي الموائيق بالأخونها.

فذهبت إلى رأس بئر فنظرت في البئر ففطنت الجارية أني أريد أن ألقها في البئر فالتزمتني، وجعلت تبكي، وتقول: ياأبت ايش تريد أن تفعل بي؟

فرحمتها، ثم نظرت في البئر، فدخلت علي الحمية، ثم التزمتني وجعلت تقول: ياأبت لا تضيع أمانة أمي!

فجعلت مرّة أنظر في البئر ومرّة أنظر إليها فأرحمها حتى غلبني الشيطان، فأخذتها وألقيتها في البئر منكوسة، وهي تنادي في البئر: ياأبت، قتلتني.

فمكثت هناك حتى انقطع صوتها فرجعت.

فبكى رسول الله (ص) وأصحابه، وقال: «لو أمرت أن أعاقب أحداً بها

فعل في الجاهلية لعاقبتك» (٢٥).

وفي شأن هؤلاء أنزل الله تعالى في سورة النحل / ٥٨ :

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾

ولمّا كانوا يعتقدون بأن الله اصطفى من الملائكة بنات له كما سيأتي ذكره بحوله تعالى في بحث أديان العرب قال سبحانه:

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾

(الزخرف/١٧).

قال ابن الاثير في ترجمة صعصعة من أسد الغابة ماموجزه:

صعصعة بن ناجية جدّ الفرزدق همام بن غالب الشاعر، وكان من أشرف بني تميم، وكان في الجاهلية يفتدي المؤودات وقد مدحه الفرزدق بذلك في قوله:

وجدّي الذي منع الوائدات وأحيا الوئيد فلم يواد

قال قدمت على النبي (ص) فعرض عليّ الإسلام، فأسلمت وعلمني آياً من القرآن فقلت: يارسول الله أتّي عملت أعمالاً في الجاهلية فهل لي فيها من أجر. قال: وما عملت، قلت: ضلّت ناقتان لي عشراوان، فخرجت أبعيها على جبل لي، فرفع لي بيتان في فضاء من الأرض، فقصدت قصدهما، فوجدت في أحدهما شيخا كبيراً فبينما هو يخاطبني وأخاطبه إذ نادته امرأة قد ولدت قال وما ولدت. قالت جارية قال فادفنيها فقلت أنا أشترى منك روحها لا تقتلها فاشتريتها بناقتي ولديها والبعير الذي تحتي وظهر الإسلام وقد أحيت ثلاثاً وستين مؤودة أشترى كلّ واحدة منهن بناقتين عشراوين وجمل. فهل لي من

(٢٥) الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٥ / ٩٣؛ والقرطبي، تفسير سورة الأنعام الآية

٩٦٠، ٧ / ٩٦ - ٩٧.

أجر؟ فقال رسول الله (ص) هذا باب من البرّ لك أجره إذ من الله عليك
بالإسلام^(٢٦).

ثالثاً - النظم الاجتماعية:

بدأنا بذكر النظم القبلية والوضع الاقتصادي وما يتصل بهما من شؤون العرب في العصر الجاهلي. وفي ما يأتي نذكر بعض مظاهر النظم الاجتماعية في العصر الجاهلي بإذنه تعالى. ونبدأ بذكر حمية الجاهلية وحكمها.

أ - حمية الجاهلية وحكمها

قال الله - سبحانه - :

١ - في سورة المائدة:

﴿... يَبْغُضُ ذُنُوبَهُمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ * أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (الآيات/ ٤٩ - ٥٠)

٢ - في سورة الفتح:

﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (الآية/ ٢٦)

وفي سورة المائدة:

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ

فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ (الآيات / ٨٩ - ٩٠)

هذا ما أخبر الله - سبحانه وتعالى - عن حمية الجاهلية، وفي ما يأتي نذكر بإذنه تعالى تفصيل النظم الاجتماعية في العصر الجاهلي.

ب - حكام العرب:

قال اليعقوبي:

وكان للعرب حكام ترجع إليها في أمورها، وتتحاكم في منافراتها، وموارثها، ومياهاها، ودمانها، لأنه لم يكن دين يرجع إلى شرائعه، فكانوا يحكمون أهل الشرف، والصدق والأمانة، والرئاسة، والسنن، والمجد، والتجربة. ثم ذكر أسماء ثلاثة وعشرين منهم من ضمنهم خمسة كانوا من قريش مثل عبد المطلب^(١).

ج - شعراء العرب و أثر الشعر في الانسان العربي:

قال اليعقوبي وكانت العرب تقيم الشعر مقام الحكمة وكثير العلم، فإذا كان في القبيلة الشاعر الماهر، المصيب المعاني، المخير الكلام، أحضروه في أسواقهم التي كانت تقوم لهم في السنة ومواسمهم عند حجهم البيت، حتى تقف وتجتمع القبائل والعشائر، فتسمع شعره، ويجعلون ذلك فخراً من فخرهم، وشرفاً من شرفهم.

(١) تاريخ اليعقوبي ٢٥٨/١.

ولم يكن لهم شيء يرجعون إليه من أحكامهم وأفعالهم إلا الشعر، فبه كانوا يختصمون، وبه يتمثلون، وبه يتفاضلون، وبه يتفاسمون، وبه يتناضلون، وبه يمدحون ويعابون.

فكان ممن قدم شعره في جاهلية العرب على ما اجتمعت عليه الرواة وأهل العلم بالشعر، وجاءت به الآثار والأخبار من شعراء العرب في جاهليتها مع من أدركه الاسلام، فسُمِّي مخضرمًا، فإنهم دخلوا مع من تقدم، فسموا الفحول، وقدموا على تقدم أشعارهم في الجودة، فإن كان بعضهم أقدم من بعض وهم على ما بينا من أسمائهم ومراتبهم على الولاء، فأولهم امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو آكل المرار بن معاوية بن ثور، وهو كندة.

ثم ذكر أسماء ثمانية وثلاثين شاعراً بأنسابهم^(٢).

وفي المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام^(٣).

وروا ان المحلق كان ممن رفعه الشعر بعد الخمول، وذلك أن الأعشى قدم مكة وتسامع الناس به، وكانت للمحلق امرأة عاقلة، وقيل بل أم، وكان المحلق فقيراً خامل الذكر، ذا بنات، فأشارت عليه، أن يكون أسبق الناس اليه في دعوته الى الضيافة، ليمدحهم، ففعل. فلما أكل الأعشى وشرب، وأخذت منه الكأس، عرف منه أنه فقير الحال، وأنه ذا عيال، فلما ذهب الأعشى الى عكاظ أنشد قصيدته:

أرقت وما هذا السهاد المؤرق وماي من سقم وماي معشق

ثم مدح المحلق، فما أتم القصيدة إلا والناس ينسلون الى المحلق يهنئونه، والأشراف من كل قبيلة يتسابقون إليه جرياً يخطبون بناته، لمكان شعر الأعشى.

(٢) تاريخ البعقوبي ٢٦٢/١ - ٢٦٩.

(٣) المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ١٠٩/٩ - ١١٣.

ويذكر الرواة أن القبيلة كانت إذا نبغ فيها شاعر احتفلت به، وفرحت بنبوغه، وأتت القبائل فهنأتها بذلك، وصنعت الأظعمة، واجتمعت النساء يلعبن بالمزاهر، وتباشروا به لأنه حماية لهم، ولسانهم الذاب عنهم المدافع عن أعراضهم وأحسابهم وشرفهم بين الناس. وكانوا لا يهنأون إلا بغلام يولد أو فرس تُنتج أو شاعر ينبغ فيهم^(٤).

فالشاعر هو صحيفة القبيلة (ومحطة إذا عتها)، وصوته، يحط ويرفع ويخلد، لا سيما إذا كان مؤثراً، فيرويه الناس جيلاً بعد جيل.

وكان أثره في الناس أثر السيف في الحروب، بل استعمله المحاربون أول سلاح في المعارك. فيبدأ الفارس بالرجز، ثم يعمد إلى السيف أو الرمح أو آلات القتال الأخرى. ولأثره هذا، جاء في الحديث عن الرسول قوله: «والذي نفسي بيده، لكاننا تنضحونهم بالنبل بما تقولون لهم من الشعر»^(٥) مخاطباً بذلك شعراء المسلمين، الذين حاربوا الوثنيين بهذا السلاح الفتاك، سلاح الشعر. وقد كان الوثنيون قد أشهروه أيضاً وحاربوا به المسلمين.

وطالما قام الشعراء بالسفارة والوساطة في النزاع الذي كان يقع بين الملوك والقبائل، أو بين القبائل أنفسها، فلما أسر (الحارث بن أبي شمر) الفسائي (شأس بن عبدة) في تسعين رجلاً من (بني تميم)، وبلغ ذلك أخاه (علقمة ابن عبدة)، قصد (الحارث) فمدحه بقصيدته:

طحاً بك قلباً بالهسان طروب بُعيد الشباب عصر حان مشيب
فلما بلغ طلبه بالعفو عن أخيه وعن بقية المأسورين، قال الحارث: نعم وأذنيه، وأطلق له شأساً أخاه، وجماعة أسرى بني تميم، ومن سأل فيه أو عرفه من غيرهم^(٦).

(٤) بلوغ الأرب ٣/٨٤، العمدة، ١/٤٩، ٦٥، المزهر ٣/٢٣٦، العقد الفريد ٣/٩٣.

(٥) الأغاني ١٥/٢٦ وط. بيروت ١٦/١٦٥.

(٦) العمدة ١/٥٧، (أسر الحارث بن أبي شمر الفسائي مع سبعين رجلاً من بني تميم)،

ولم يقل أثر الشاعر في السلم وفي الحرب عن أثر الفارس، الشاعر يدافع عن قومه بلسانه، يهاجم خصومهم، ويهجو سادتهم، ويحث المحاربين على الاستماتة في القتال، ويبعث فيهم الشهامة والنخوة للإقدام على الموت حتى النصر. والفارس يدافع عن قومه بسيفه، وكلاهما ذاب عنهم محارب في النتيجة. بل قد يقدم الشاعر على الفارس، لما يتركه الشعر من أثر دائم في نفوس العرب، يبقى محفوظاً في الذاكرة وفي اللسان، يرويه الخلف عن السلف، بينما يذهب أثر السيف، بذهاب فعله في المعركة، فلا يترك ما يتركه شعر المديح أو الهجاء من أثر في النفوس، يهيجها حين يذكر، وكان من أثره ان القبائل كانت إذا تحاربت جاءت بشعرائها، لتستعين بهم في القتال. فلما كان يوم (أحد)، قال (صفوان بن أمية) لأبي عزة عمرو بن عبدالله الجمحي: «يا أبا عزة انك امرؤ شاعر فأعنا بلسانك، فاخرج معنا. فقال: إن محمداً قد منّ عليّ ولا أريد أن أظاھر عليه.

قال: فاعنا بنفسك، فلك الله عليّ إن رجعت أن أغنيك، وإن أصبت أن أجعل بناتك مع بناتي يصيبهن ما أصابهن من عسر ويسر، فخرج أبو عزة يسير في تهامة ويدعو بني كنانة» شعراً الى السير مع قريش لمحاربة المسلمين^(٧).

وكان للرسول (ص) شاعره (حسان بن ثابت) يدافع عن الإسلام والمسلمين، وكان للمشركين من أهل مكة شاعرهم (عبد الله بن الزبيري) يرد عليه، ويهاجم المسلمين في السلم وفي المعارك.

وقد دونت كتب السير والأخبار والتواريخ أشعارهم وما قاله أحدهم في الآخر، وقد فات منه شيء كثير، نص رواية الشعر على أنهم تركوه لما كان فيه من سوء أدب وخروج على المروءة.

وكان الى جانب الشعاعين شعراء آخرون، منهم من ناصر المسلمين،

→

الشعر والشعراء (١/١٤٧ وما بعدها).

(٧) الروض الالنف (٢/١٢٦ وما بعدها)، (غزوة أحد).

لأنه كان منهم، ومنهم من ناصر المشركين لأنه كان منهم. بل كان المحاربون إذا حاربوا، فلا بد وأن يبدأوا حربهم بتنشيطها وبتصعيد نارها برجز أو بقريض.

ومن خوفهم من لسان الشاعر ما روي من فزع أبي سفيان، لما سُمع من عزم (الأعشى) على الذهاب الى يثرب ومن اعداده شعراً في مدح الرسول، ومن رغبته في الدخول في الإسلام. فجمع قومه عندئذ، وتكلم فيما سيتركه شعر هذا الشاعر من أثر في الإسلام وفي قريش خاصة إن هو أسلم، ولهذا نصحهم أن يتعاونوا معه في شراء لسانه وفي منعه من الدخول في الإسلام بإعطائه مائة ناقة فوافقوا على رأيه، وجمعوا له ما طلبه، وتمكن أبو سفيان من التأثير فيه، فعاد الى بلده (منفوحة) ومات بها دون أن يسلم^(٨).

قال (الجاحظ) يبلغ من خوفهم من الهجاء ومن شدة السبّ عليهم، وتحوفهم أن يبقى ذكر ذلك في الأعقاب، ويسبّ به الأحياء والأموات، انهم اذا أسروا الشاعر أخذوا عليه الموائيق، وربما شدوا لسانه بنسعة، كما صنعوا بعبد يغوث بن وقاص الحارثي حين أسرته بنو تميم يوم الكلاب^(٩). و(عبد يغوث بن وقاص) شاعر قحطاني، كان شاعراً من شعراء الجاهلية، فارساً سيد قومه من بني الحارث بن كعب، وهو الذي قادهم يوم الكلاب الثاني، فأسرته بنو تميم وقتلته، وهو من أهل بيت شعر معروف في الجاهلية والإسلام، منهم اللجلاج الحارثي، وهو طفيل بن زيد بن عبد يغوث، وأخوه (مسهر) فارس شاعر، ومنهم من أدرك الإسلام: جعفر بن علبة بن ربيعة بن الحارث بن عبد يغوث، وكان شاعراً صلوكاً^(١٠).

وفي جمهرة أنساب العرب:

(٨) الشعر والشعراء (١٣٦) وما بعدها، زيدان، آداب / ١ / ١١٩.

(٩) البيان والتبيين ٢ / ٢٦٨.

(١٠) الخزانة / ١ / ٣١٧ (بولاق) وط. القاهرة سنة ١٣٨٧هـ - ٢٠٢ / ٢ - ٢٠٣.

(وهؤلاء بنو قُرَيْع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة ولد قُرَيْع بن عوف: جعفر، وهو أنف الناقة: لُقِّبَ بذلك لأنَّ أباه نحر ناقةً، فقسَّمها في نسائه، وأعطى ابنه جعفرًا رأس الناقة، فأخذ بأنفها، فقيل له: ما هذا؟ فقال: «أنف الناقة!»).

فلقَّبَ بذلك. فكان ولده يغضبون منه، إلى أن قال الحطيئة مادحاً لهم:

قَوْمٌ هُمْ الْأَنْفُ وَالْأَذْنَابُ غَيْرُهُمْ
وَمَنْ يُسَاوِي بِأَنْفِ النَّاقَةِ الذَّنْبَا
فصار ذلك مدحاً لهم، يفتخرون به^(١١).

وفي الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ١١٣ / ٩:

ولما مدح الحطيئة (بغِيض بن عامر بن لاي بن شماس بن لاي بن أنف الناقة)، واسمه (جعفر بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم)، وهجا (الزبرقان)، واسمه (الحصين بن بدر بن امرئ القيس بن خلف ابن عوف بن كعب)، صاروا يفخرون ويتباهون بأن يقال لهم (أنف الناقة)، وكانوا يعيرون به ويغضبون منه ويفرقون من هذا الاسم، حتى أن الرجل منهم كان يسأل ممن هو فيقول من (بني قريع) فيتجاوز جعفرًا أنف الناقة، ويلغي ذكره فراراً من هذا اللقب، إلى أن قال (الحطيئة) هذا الشعر فصاروا يتناولون بهذا النسب، ويمدون به أصواتهم في جهارة، إذ قال:

قَوْمٌ هُمُ الْأَنْفُ وَالْأَذْنَابُ غَيْرُهُمْ

وَمَنْ يُسَوِّي بِأَنْفِ النَّاقَةِ الذَّنْبَا^(١٢)

وقد تعزز الأعرشى على قومه، وبين مكان فضله عليهم، إذ كان لسانهم الذاب

(١١) جمهرة الانساب لابن حزم ص ٢٠٩.

(١٢) وفي البيان والتبيين ٤ / ٣٨، (هارون، الاشتقاق ص ١٥٦ و ط. مصر ١٣٧٨ هـ ص

٢٥٥، زهر الاداب ١٩ / ١، الخزانة ١ / ٥٦٧، العمدة ١ / ٥٠).

عنهم المدافع عن أعراضهم، الهاجي لأعدائهم بشعر هو كالمقراض يقرض أعداء
قومه قرصاً.

• أدفع عن أعراضكم وأعييركم

لساناً كمقراض الخفاجي ملحياً^(١٣)

وذكر أن بني تغلب كانوا يعظمون معلقة عمرو بن كلثوم ويروونها صفاراً
وكباراً، حتى هجاهم شاعر من شعراء خصومهم ومنافسيهم بكر بن وائل، إذ قال:

الهي بني تغلب عن كل مكرمة

قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

يروونها أبداً مذ كان أولهم

يا للرجال لشعري غير مسنوم^(١٤)

ولسلاطة السنة بعض الشعراء، ولعدم تورع بعضهم من شتم الناس
ومن هتك الأعراض، ومن التكلم عنهم بالباطل، تجنب الناس قدر امكانهم
الاحتكاك بهم، وملاحظاتهم والتحرش في أمورهم، خوفاً من كلمة فاحشة قد
تصدر عنهم، تجرح الشخص الشريف فتدميه، و«جرح اللسان كجرح اليد»،
كما عبر عن ذلك امرؤ القيس أحسن تعبير^(١٥).

ولأمر ما قال طرفة:

رأيت القوافي تتلجن موالجاً تضايقُ عنها أن تَوَلجها الإبر

وفي هذا المعنى دُونَ (الجاحظ) هذه الأبيات:

وللشعراء السنةُ حدادٌ على العوراتِ موفية دليله

(١٣) ديوان الاعشى ص ١١٧، القصيدة ١٤، البيت ٣١.

(١٤) الاشتقاق ص ٢٠٤، وط. مصر ١٣٧٨ هـ ص ٣٢٩، وقد روى هذا الشعر بأوجه

مختلفة، البيان والتبيين ٤/٤١.

(١٥) الصمد ١/٧٨.

ومن عقل الكريم اذا اتقاهم وداراهم مدارةً جميلة
اذا وضعوا مكاوهم عليه - وإن كذبوا - فليس لهن حيله^(١٦)

«كان عمر بن الخطاب (رض) عالماً بالشعر، قليل التعرض لأهله: استعداه رهط تميم بن أبي مقبل على النجاشي لما هجاهم، فأسلم النظر في أمرهم الى حسان بن ثابت، فراراً من التعرض لأحدهما، فلما حكم حسان أنفذ عمر حكمه على النجاشي كالمقلد من جهة الصناعة، ولم يكن حسان - على علمه بالشعر - أبصر من عمر (رض) بوجه الحكم، وإن اعتل فيه بها اعتل»^(١٧).

د - الكهانة

كَهَنَ لَهُ يَكْهَنُ وَكُهْنٌ يَكْهِنُ كَهَانَةً أَخْبَرَهُ بِالْغَيْبِ وَالْكَاهِنُ الَّذِي يَتَعَاطَى الْخَبْرَ عَنِ الْكَائِنَاتِ فِي مُسْتَقْبَلِ الزَّمَانِ وَيُدْعِي مَعْرِفَةَ الْأَسْرَارِ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَزْعَمُ أَنَّ لَهُ تَابِعاً مِنَ الْجِنِّ يَلْقِي إِلَيْهِ الْخَبْرَ. وَكَانُوا يَرُوجُونَ أَقَاوِيلَهُمْ بِاسْتِجَاعِ تَرَوْقِ السَّامِعِينَ يَسْتَمِيلُونَ بِهَا الْقُلُوبَ^(١٨) كَمَا اشْتَهَرَ ذَلِكَ عَنِ سَطِيحِ رَبِيعِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ مَسْعُودِ الْغَسَّانِيِّ الَّذِي كَانَ قَبْلَ بَعْثَةِ الرَّسُولِ (ص).

وروى ان ملك اليمن ذا جدن أراد أن يجرب علم سطيح لما قدم عليه، فخبأ له ديناراً تحت قدمه ثم سأله عما خبأ له.

فقال سطيح: حلفت بالبيت والحرم والحجر الأصم والليل إذا أظلم والصبح إذا تبسم وبكل فصيح وأبكم لقد خبأت لي ديناراً بين النعل والقدم.

(١٦) العمدة ٧٨/١.

(١٧) العمدة ٥٢/١، ٧٦، (باب تعرض الشعراء). انتهى مانقلناه من المفصل ١٠٩/٩ -

١١٤.

(١٨) مادة كهن من المعجم الوسيط والمعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ونهاية اللفظة

لابن الأثير.

فقال الملك: من اين علمك هذا ياسطيح؟ قال: من قبل أخ لي جني ينزل معي فقال له الملك: أخبرني عما يكون في الدهور... (١٩).

وفي سيرة ابن هشام:

قيل لسطيح: أنى لك هذا العلم؟ فقال: لي صاحب من الجن استمع أخبار السماء من طور سيناء حين كلم الله - تعالى - منه موسى (عليه السلام). فهو يؤدي إليّ من ذلك ما يؤديه (٢٠).

وفي صحيح مسلم بسنده عن ابن عباس ما موجهه: بينا الأنصار كانوا جالسين ليلة مع رسول الله (ص) رمي بنجم فاستنار. فقال لهم رسول الله (ص) «ماذا كنتم تقولون في الجاهلية، إذ رمي بمثل هذا؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. كنا نقول ولد الليلة رجل عظيم. ومات رجل عظيم. فقال رسول الله (ص): «فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته. ولكن ربنا، - تبارك وتعالى اسمه - إذا قضى أمراً سبّح حملة العرش، ثم سبّح أهل السماء الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا. ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم ماذا قال، قال فيستخبر بعض أهل السماوات بعضاً، حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا، فتخطف الجن السمع فيقذفون إلى أوليائهم، ويرمون به. فما جاؤا به على وجهه فهو حق، ولكنهم يقرفون (٢١) فيه ويزيدون».

وفي رواية قبلها:

سأل أناس رسول الله (ص) عن الكهان؟ فقال لهم رسول الله (ص) «ليسوا بشيء» قالوا: يارسول الله! فإنهم يحدثون أحياناً الشيء يكون حقاً. قال رسول الله (ص): «تلك الكلمة من الجن يخطفها الجني. فيقرأها في أذن وليه

(١٩) مادة سطيح من سفينة البحار

(٢٠) خبر سطيح بسيرة ابن هشام ١٦/١.

(٢١) يقرفون فيه أي يضفون إليه الكذب.

قر^(٢٢) الدجاجة، فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة»^(٢٣).

وأخبر الله - سبحانه - عن جهل الجن بالغيب في ما حكى عنهم مع النبي سليمان (ع) في سورة سبأ، وقال:

﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ (الآية/ ١٤)

التفسير: لما قضينا على سليمان بالموت ومات وكان متكأ على عصاه يراقب عمل الجن بقي كذلك متكأ على عصاه وهو ميت والجن داثبون في عملهم فأكلت الأرضة عصاه وسقط، فتبين من ذلك أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب لعلموا ان سليمان المتكئ على عصاه أمامهم ميت، ولما لبثوا بعد موته في العذاب المهين لهم.

وأخبر - سبحانه - عن منشأ علمهم وانهم كانوا يرهقون من يلوذ بهم من الكهنة وانه انقطع عنهم منشأ علمهم بعد مبعث خاتم الأنبياء في قوله تعالى في سورة الجن:

﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا * ... وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا * ... وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاَهَا مُلْتَ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا * وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهُبًا رَّصَدًا ﴾ (الآيات/ ١- ٢ و ٦ و ٨ - ٩)

(٢٢) القر: ترديد الكلام في أذن المخاطب حتى يفهمه وقر الدجاجة صوتها إذا قطعتها وقر الزجاجة صوتها إذا صب فيها الماء.

(٢٣) صحيح مسلم ص ١٧٥٠ - ١٧٥١، كتاب السلام، الحديث ١٢٣ - ١٢٥.

إذا كانوا يسترقون السمع من الملائكة، ويحدثون بها من يلوذون بهم من كهنة الانس ويزيدونهم في ما يحدثونهم رهقاً أي: سفهاً وكذباً وطفياناً. وبعد مبعث خاتم الانبياء (ص) منعوا من استراق السمع برمي الشهب إليهم.

من مجموع ما تقدم يظهر أن عمل الجن مع الكهنة كان يستند:

١ - إلى اخبارهم الكاهن عن المخبوء عن نظر الانسي، لان الجان ليس لهم جسم يمنعهم من النفوذ إلى تحت قدم الملك ومعرفة الدينار المخبوء - مثلاً -

٢ - إلى ما استرقوا إليه من كلام الملائكة عما بلغها من أخبار الغيوب من قبل الله سبحانه وهذا ما منعوا عنه بعد مبعث خاتم الأنبياء.

٣ - إلى ما يكذبون فيما يسألون عنه من أخبار الغيوب التي لم يعلموا بها، لأنهم لم يكونوا يقولون في مثل هذه الحالة: لا نعلم هذا الأمر الذي تسألونا عنه، وفي هذا يزيدون الانسان رهقاً.

والكهانة لم تقتصر على العرب الجاهليين قديماً، بل كانت ولا تزال منتشرة بين الامم الجاهلية القديمة والمعاصرة والكهنة كانوا رجال دين الامم الجاهلية يارسون طقوسهم الدينية.

وقد ظهر أخذ الأنس من الجن في عصرنا على شكل ما يسمى باحضار الأرواح كما يزعمون!

وقد قرأت ان بعضهم أحضر روح ابن سينا كما زعم واستفسر عنه عن عالم ما بعد الموت، فاجاب. وقرأت عن آخر أنه زعم أكثر من ذلك. وكل هذا يندرج في باب اتصال الجن بهؤلاء ويحببهم الجنى الوسيط عما يجري في خارج المجلس ويزيدهم رهقاً حين يُطلب من الانسان الوسيط أن يحضر لهم روح انسان قد توفي ويزعم الجنى الوسيط انه ذلك الروح المطلوب حضوره وقد حضر ويحبب عن أسئلتهم بكل كذب يشاؤه.

هـ - التفاؤل والتطير

التفاؤل:

أصل الفأل الكلمة الحسنة يسميها الإنسان فيتفأل به مثل عليل يسمع رجلاً ينادي من اسمه سالم، فيتفأل بأنه سوف يعافي من علته.

والتطير: التشاؤم

تطير من الشيء وبالشيء وأطير أي تشاءم من الفأل الرديء وطائر الإنسان عمله، ويسمى الشؤم طيراً وطائراً وطيرة على وزن عنبة. وكانت العرب في الجاهلية تتطير بالسوانح والبوارح، ومفردهما السانح والبارح، وهما ما مرّ من الطير والوحش من يمينك إلى يسارك، وكانوا ينفرون الضباء والطيور، فإن أخذت ذات اليمين، تبركوا به، ومضوا في سفرهم وحوائجهم، وإن أخذت ذات الشمال رجعوا عن سفرهم وحاجتهم وتشاءموا بها، فكانت تصدّهم في كثير من الأوقات عن مصالحتهم^(٢٤) وكان بعضهم يقيمون بالسانح، وهو الذي جاء من يمينهم إلى يسارهم، ويتشاءمون بالبارح، وهو الذي يأتي من اليسار نحو اليمين^(٢٥) ويتطيّرون من نعيق الغراب وغير ذلك. وكان التطير قبل ذلك موجوداً في المجتمعات الجاهلية السحيقة كما أخبر الله سبحانه عنه.

١ - في سورة النمل عن قوم ثمود إنهم قالوا لنبيهم صالح (ع):

﴿ قَالُوا أَطِيرْنَا بِكَ وَيَمَنُ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴾

(الآية/٤٧)

أي أنهم قالوا لصالح: إنا تشاءمنا بك وبمن على دينك، وذلك لأنهم

(٢٤) لسان العرب ط. بيروت سنة ١٩٥٦م مادة (طير) و(برح).

(٢٥) لسان العرب مادة (سنح).

قحطوا وحبس المطر عنهم وجاعوا، فقالوا: أصابنا هذا الشر من شؤمك وشؤم أصحابك فقال لهم صالح (ع) طائركم عند الله أي الشؤم أتاكم من عند الله وأنتم تفتنون تمتحنون بذلك.

وكذلك معنى قول آل فرعون لموسى (ع) كما أخبر سبحانه عنهم في سورة الاعراف:

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الشَّجَرِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ * فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الآيات/ ١٣٠- ١٣١)

معناه لما عاقبنا قوم فرعون بالقحط لعلهم يتفكرون في أمرهم ويوحدون الله، كانوا إذا جاءهم الخصب والنعمة قالوا إنا نستحق هذه النعمة لسعة أرزاقنا في بلادنا، ولم يؤمنوا بأننا من عند الله ليشكروه ويعبدوه، وإذا أصابهم حبس المطر وهلاك الزرع والضرع تشاءموا بموسى ومن معه وقالوا: هذا من شؤمكم، ألا وإن طائرهم والشؤم الذي لحقهم هو عقاب من عند الله كما وعدهم بذلك.

٢ - أخبر عن نظير ذلك في سورة يس وقال سبحانه:

﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ... قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ ... ﴾ (الآيات/ ١٣ - ١٩).

قالوا: إنا تشاءمنا بكم فقالت الرسل: طائركم معكم أي الشؤم كله معكم بإقامتكم على الكفر بالله تعالى.

هكذا كان التطير من عقائد أهل الجهل في الجاهلية القديمة السحيقة وجاهلية عصر الرسول (ص) ولا يزال التطير موجوداً في جاهلية عصرنا مثل تشاؤمهم برقم (١٣) وقد أبطل الله ورسوله التشاؤم واستحسن الرسول (ص) الفأل وأثبتته وروي أنه قال: «لا طيرة وخيرها الفأل»، قيل: يا رسول الله وما

القال قال: «الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم»^(٢٦).

وفي رواية قال: ذاك شيء يجده أحدكم في نفسه فلا يصدنكم^(٢٧).

وقال أبو عبد الله الصادق (ع) الطيرة على ما تجعلها إن هوتها تهونت

وإن شدتها تشددت وإن لم تجعلها شيئاً لم تكن شيئاً^(٢٨).

و- الأزلام والميسر

قال الله سبحانه:

١- في سورة المائدة

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَمْيَتَةٌ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ
وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ
وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكَ فِسْقُ الْيَوْمِ بَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا
تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ
الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمِهِ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿
(الآية/٣)

٢- في سورة المائدة

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا أَنْخَرْنَا أَلْخَمْرَ وَالْمَيْسِرَ وَالْأَنْصَابَ وَالْأَزْلَامَ رِجْسًا مِنْ عَمَلِ
الشَّيْطَانِ فَأَجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿ (الآية/٩٠)

(٢٦) صحيح مسلم، ط. بيروت دار احياء التراث العربي افست على الطبعة المصرية

ص ١٧٤٥، باب الطيرة من كتاب القال.

(٢٧) المصدر السابق، ص ١٧٤٩.

(٢٨) سفينة البحار، مادة (طير).

تفسير الكلمات:

أ - الميتة:

كل ما له نفس سائلة - دم يجري - من حيوانات البر والطيور مما أباح الله أكله وفارقها روحها بغير الذبح الذي شرعه الله.

ب - الدم:

كانوا يجعلون الدم في المصارين ويشوونه ويأكلونه أو بأنواع أخرى من طبخ الدم.

ج - لحم الخنزير:

قال الله سبحانه (لحم الخنزير) ليبين أنه حرام بعينه لا لكونه ميتة.

د - ما أهل لغير الله:

كان من عادة العرب في الجاهلية أن ينادوا باسم المقصود بالذبيحة من أصنامهم عند ذبحها ويقولون: باسم اللات أو العزى أو غيرها وهذا هو الإهلال بالذبيحة.

هـ - المنخنقة:

الحيوان الذي خنق حتى مات بحبل الصيد أو غيره، وقالوا: إن بعضهم في الجاهلية كان يخنق الحيوان أحياناً ثم يأكله.

و - الموقوذة:

الوقد شدة الضرب كان بعضهم يضربون الأنعام بالخشب لأهنتهم، حتى يقتلوها فيأكلوها أو المقتول بالرمي الذي لا يخترق الجلد.

ز - المتردية:

هي التي تتردى من الأعلى إلى الأسفل فتموت كالتي تسقط من جبل أو في بئر.

ح - التطيحة:

استعملوا الميسر، وهي الازلام، وتقامروا عليها، وضربوا بالقداح، وكانت قداح الميسر عشرة: سبع منها لها أنصبة، وثلاث لا أنصبة لها، فالسبع التي لها أنصبة يقال لأولها الفذ، وله جزء؛ والتوأم، وله جزآن؛ والرقيب، وله ثلاثة أجزاء؛ والمجلس، وله أربعة أجزاء، والنافس، وله خمسة أجزاء، والمسبل، وله ستة أجزاء، والمعل، وله سبعة أجزاء، والثلاث التي لا أنصبة لها اغفال ليس عليها اسم يقال لها: المنيع، والسفيح، والوغد.

وكانت الجزور تشتري بها بلفت، ولا ينقد الثمن، ثم يدعى الجزار، فيقسمها عشرة أجزاء فإذا قسمت أجزاؤها على السواء أخذ الجزار أجزاءه، وهي الرأس والأرجل، وأحضرت القداح العشرة، واجتمع فتیان الحمي، فأخذ كل فرقة على قدر حالهم وسارهم، وقدر احتياهم، فيأخذ الأول الفذ، وهو الذي فيه نصيب واحد من العشرة أجزاء، فإذا خرج له جزء واحد أخذ من الجزور جزءاً، وإن لم يكن يخرج له غرم ثمن جزء من الجزور، ويأخذ الثاني التوأم، وله نصيبان من أجزاء الجزور، فإن خرج أخذ جزئين من الجزور، وأن لم يخرج غرم ثمن الجزئين.

وكانوا يفتخرون به، ويرون أنه من فعال الكرم والشرف ولهم، في هذا أشعار كثيرة^(٣٦).

وكانت المقامرة من وسائل كسب الثروة، سبياً في مكة كما يرى مثال ذلك في الخبر الآتي في الأغاني:

(قامر أبو لهب العاص بن هشام في عشر من الإبل، فقمره أبو لهب، ثم في عشر فقمره، ثم في عشر فقمره، ثم في عشر فقمره، ثم في عشر فقمره، إلى أن أخلعه ماله فلم يبق له شيء، فقال له: إني أرى القداح قد حالفتك يابن عبيد

(٣٦) تاريخ اليعقوبي ٢٥٩/١ - ٢٦٦، وبعض الشرح من لسان العرب مادة المخرضة وما نقله كتاب الفصل ١٢٨ / ٥ - ١٢٩ عن بلوغ الإرب.

المطلب فهلهم أقامرك، فاينا قمر كان عبداً لصاحبه، قال: افعل، ففعل فقمرة أبو
هلب فكره أن يسترقه، فتغضب بنو مخزوم، فمشى إليهم، وقال: افتدوه مني بعشر
من الابل، فقالوا: لا والله ولا بويرة، فاسترقه فكان يرعى له إبلا فلما خرج
المشركون إلى بدر كان من لم يخرج أخرج بديلا وكان أبو هلب عليلاً فأخرجه
وقعد، على أنه إن عاد إليه أعتقه، فقتله علي بن أبي طالب (رض) يومئذ^(٣٢).

ز - بيع الطعام عيب في الجاهلية:

قال في تاريخ العرب قبل الإسلام:

والعادة عند العرب أن من العيب بيع شيء من الطعام لمن هو في حاجة
إليه وهم يشعرون بالخجل وبالإهانة إذا طلب معسر طعاماً أو شراباً كلبن أو
ماء ثم لا يجاب طلبه، أو يطلب عن ذلك ثمناً يقبضه مقابل ما قدم من طعام أو
شراب، لأن القرى واجب على كل عربي، ولا يكون القرى بثمن. فكيف يقف
إنسان موقف بخل وإمساك إزاء مرملة محتاج^(٣٣).

ح - السرقة عيب و الغارة فخر:

قال في تاريخ العرب قبل الإسلام:

وتعد السرقة عيباً عند العرب، لأنها تكون دون علم صاحب المسروق
و بمغافلته.

و المغافلة و الاستيلاء على شيء من دون علم صاحبه عيب عندهم، وفيه

(٣٢) الأغاني ط. بيروت (٣/ ٣٠٧ - ٣٠٨) والعاص بن هشام بن المغيرة المخزومي جاء

نسه في جمهرة النسب لابن الكلبي ص ٨٦.

(٣٣) المفصل في تاريخ العرب ط. بيروت ١٩٧٦م (٥/ ٦٧) ورملة من تاج العروس ط.

مصر ١٣٠٦هـ.

وأما الاستيلاء على شيء عنوة وباستعمال القوة، فلا يعد نقصاً عندهم ولا شيئاً ولا يعد سرقة، لأن السالب قد استعمل حقَّ القوة، فأخذه بيده من صاحب المال المسلوب، فليس في عمله جبن ولا غدر ولا خيانة. ولذلك فرقوا بين لفظة (سرق) وبين الألفاظ الأخرى التي تعني أخذ مال الغير، ولكن من غير تستر ولا تحايل، فقالوا: (السارق عند العرب من جاء مستتراً إلى حرز فأخذ مالاً لغيره. فإن أخذه من ظاهر، فهو مختلس ومستلب ومنتهب ومحترس، فإن منع ما في يده فهو غاصب) (٣٤).

ولم تعد (الغارة) سرقة ولا عملاً مشيناً يلحق الشين والسببة بمن يقوم به. بل افتخر بالغارات وعدَّ المكتر منها (مغواراً)، لما فيها من جرأة وشجاعة وإقدام وتكون الغارة بالخيال في الغالب، ولذلك قال علماء اللغة: (أغار على القوم غارة وإغارة دفع عليهم الخيل) (٣٥)، وقد عاش قوم على الغارات، كانوا يغيرون على أحياء العرب، ويأخذون ما تقع أيديهم عليه، ومن هؤلاء (عروة بن الورد)، إذ كان يغير بمن معه على أحياء العرب، فيأخذ ما يجده أمامه، ليرزق به نفسه وأصحابه. بعد أن انقطعت بهم سبل المعيشة، وضاعت بهم الدنيا، فاختاروا الغارات والتعرض للقوافل سبباً من أسباب المعيشة والرزق.

وذكر أهل الأخبار أسماء رجال عاشوا على الغارات وعلى التربص للمسافرين لسلب ما يحملونه معهم من مال ومتاع.

(٣٤) لسان العرب وتاج العروس مادة، (سرق).

(٣٥) تاج العروس مادة (غور).

ط - الخصومات:

قال في كتاب تاريخ العرب قبل الإسلام:

ويقع النزاع بين الناس، ويقع بين الأهل كما يقع بين الجيران وبين الأباعد. وقد يتحوّل إلى (عراك) وإلى وقوع معارك. والمشاجرة الخلاف والاشتباك. وقد تكون المشاجرة هيّنة بأن يشاتم ويسأب طرف طرفاً آخر ويعبر عن ذلك باللحاء.

ونظراً لجهل الناس في ذلك الوقت، فشا السباب والتشاتم بينهم. بين الرجال والرجال وبين النساء والنساء وبين الجنسين. وإذا طال واشتد تدخل الناس في الأمر لاصلاح ذات البين. وقد تتطور الخصومة البسيطة فتتحوّل إلى خصومة كبيرة يساهم فيها آل المتخاصمين وأحيائهم، وقد يقع بسبب ذلك عدد من القتلى. وقد حفظت كتب الأخبار والأدب أسماء معارك وأيام سقط فيها عدد من القتلى بسبب خصومات تافهة، كان بالإمكان غض النظر عنها، لو استعمل أحد الجانبين الحكمة والعقل في معالجة الحادث^(٣٦).

ي - السلب والنهب :

نذكر في هذا الباب مثلاً واحداً بخبر سلب زيد وبيعه في سوق عكاظ:
أبو أسامة زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي خرجت به أمه سعدى بنت ثعلبة من بني معن من طي تزور قومها بني معن، فأغارت على بني معن خيل بني القين فأخذوا زيداً في ما أخذوا وكان عمره ثماني سنوات.
فقدموا به سوق عكاظ، فاشتراه حكيم بن حزام لعتمته خديجة، فوهبته للنبي (ص) فنشأ في بيت النبي (ص) قبل بعثته وقدم أبوه وعمّه في فدائه إلى

(٣٦) تاريخ العرب قبل الاسلام ٤٤/٥.

مكة فدخل على النبي (ص) فقالا: يا ابن عبد المطلب يا ابن هاشم يا ابن سيد قومه جنتك في ابنتنا عندك! فامن علينا وأحسن إلينا في فدائه! فقال: من هو؟ قالوا: زيد بن حارثة فقال رسول الله (ص) فهلاً غير ذلك؟ قالوا: ماهو؟ قال (ص): ادعوه وخيروه فإن اختاركم فهو لكم وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار على من اختارني أحداً! قالوا: زدتنا على النصف وأحسنت: فدعاه رسول الله (ص) فقال: هل تعرف هؤلاء؟ قال: نعم! هذا أبي وهذا عمي! قال: فأنا من عرفت ورأيت صحبتي لك فاخترني أو اخترها! قال: ما أريدها وما أنا بالذي أختار عليك أحداً أنت مني مكان الأب والعم. فقالوا: وبحك! أختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وأهل بيتك؟! قال: نعم ورأيت من هذا الرجل شيئاً ما أنا بالذي أختار عليه أحداً أبداً فلما رأى رسول الله (ص) ذلك أخرجه إلى الحجر - حجر إسماعيل - فقال: يا من حضر إن زيدا ابني يرثني وأرثه فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت نفوسها وأنصرفا فكان يقال له بعد ذلك: زيد بن محمد (ص) وزوجه الرسول (ص) بعد هجرته إلى المدينة ابنة عمته زينب حفيدة عبد المطلب على كره من أمرها فلم يطق تعاليتها عليه واستأذن النبي (ص) في طلاقها فقال النبي (ص) له: أمسك عليك زوجك وأوحى الله إليه أن يتزوجها بعد طلاقها من زيد ليكون عمله أسوة للمؤمنين فلا يكون عليهم حرج في أزواج أديانهم وخشي الرسول (ص) من قول الناس: أنه تزوج مطلقة من تبناه وأخفى الأمر في نفسه فأنزل الله عليه:

﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا * مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مُقَدَّرًا * الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا * مَا كَانَ مُحَمَّدٌ

أَبَا أَحَدٍ مِنْ رُجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٧﴾
(الآيات/ ٣٧ - ٤٠) (٣٧).

ك - القوي يأكل الضعيف:

لم ينحصر كسب المال بالظلم في الجاهلية بالسلب والنهب في الغزوات، بل كان القوي منهم يأكل الضعيف كلما سنحت له الفرصة لذلك مثل خبر الاراشي - من قبائل اليمن - مع أبي جهل كما أورده ابن هشام^(٣٨) في سيرته وقال:

قدم رجل من إراش^(٣٩) بإبل له مكة، فابتاعها منه أبو جهل، فمطله بأثائها.

فأقبل الاراشي حتى وقف على ناد من قریش، ورسول الله (ص) في ناحية المسجد جالس، فقال: يا معشر قریش، من رجل يؤديني على أبي الحكم بن هشام، فإني رجل غريب، ابن سبيل، وقد غلبني على حقي؟ قال: فقال له أهل ذلك المجلس: أترى ذلك الرجل الجالس - لرسول الله (ص)، وهم يهزءون به لما يعلمون ما بينه وبين أبي جهل من العداوة - اذهب إليه، فإنه يؤدبك عليه.

فأقبل الاراشي حتى وقف على رسول الله (ص)، فقال: يا عبد الله، إن أبا الحكم بن هشام قد غلبني على حق لي قبله، وأنا [رجل] غريب ابن سبيل، وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يؤديني عليه، يأخذ لي حقي منه، فأشاروا لي

(٣٧) راجع تفسير الآيات بتفسير الطبري وأمثاله ممن فسر القرآن بالروايات.

(٣٨) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٩ - ٣٠ وط. القاهرة ١/ ٤١٦ - ٤١٧.

(٣٩) هو ابن الغوث، أو ابن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن

سبأ، وهو والد أنهار الذي ولد بجيلة وخشم.

إليك، فخذ لي حقي منه، يرحمك الله.

قال: انطلق إليه، وقام معه رسول الله (ص)، فلما رأوه قام معه، قالوا لرجل من معهم: اتبعه، فانظر ماذا يصنع.

قال وخرج رسول الله (ص) حتى جاءه ف ضرب عليه بابه، فقال: من هذا؟ قال: محمد، فاخرج إلي. فخرج إليه، وما في وجهه من رائحة^(٤٠)، وقد انتقع^(٤١). لونه، فقال: أعط هذا الرجل حقه. قال: نعم، لا تبرح حتى أعطيه الذي له. قال: فدخل، فخرج إليه بحقه، فدفعه إليه.

ثم انصرف رسول الله (ص)، وقال للإراشي: الحق بشأنك، فأقبل الإراشي، حتى وقف على ذلك المجلس، فقال: جزاه الله خيراً، فقد والله أخذ لي حقي.

قال: وجاء الرجل الذي بعثوا معه، فقالوا: ويحك! ماذا رأيت؟ قال: عجباً من العجب، والله ما هو إلا أن ضرب عليه بابه، فخرج إليه وما معه روحه، فقال له: أعط هذا حقه، فقال: نعم لا تبرح حتى أخرج إليه حقه. فدخل، فخرج إليه بحقه، فأعطاه إياه. قال: ثم لم يلبث أبو جهل أن جاء، فقالوا له ويحك! مالك؟ والله ما رأينا مثل ما صنعت قط!

قال: ويحك! والله ما هو إلا أن ضرب عليّ بابي، وسمعت صوته، فملتت منه رعباً، ثم خرجت إليه، وإن فوق رأسه لفحلاً من الإبل، ما رأيت مثل هامته، ولا قصرته^(٤٢)، ولا أنيابه لفحل قط، والله لو أبيت لأكلني.

(٤٠) أي ببقية روح، فكأن معناه روح باقية، فلذلك جاء به على وزن فاعلة. والدليل على أنه أراد معنى الروح، وإن جاء به على بناء فاعلة، ما جاء في آخر الحديث: خرج إلي وما عنده روحه. وقيل يريد: ما في وجهه قطرة من دم.

(٤١) انتقع لونه: تغير. ويروى: امتقع، وهو بمعناه.

(٤٢) القصرة: أصل العنق.

ل - أسواق العرب:

كانت القبائل العربية تجتمع في الأشهر الحرم في أسواق مشهورة لبيع سلعهم سواء أكان مصدرها سلباً ونهباً أم تجارة مجلوبة من بلد بعيد أو قريب أو حصيلة زرع لهم أو ضرع وللمفاخرة والمكاثرة.

وقد ذكر اليعقوبي عشرة أسواق للعرب يجتمعون بها في تجارتهم وكان أشهرها سوق عكاظ بأعلى نجد.

وفي مادة عكاظ من معجم البلدان ما موجه: تجتمع قبائل العرب في كل سنة فيها، يتفاخرون ويحضرها شعراؤهم يتناشدون ما أحدثوا من الشعر وبها كانت مهاداتهم وحالاتهم وقيمون فيها عشرون يوماً من ذي القعدة^(٤٣). وقال في مادة مجنة والمجاز ما موجه:

ينتقلون عشرة أيام آخر ذي القعدة إلى سوق مجنة بأسفل مكة على قدر يريد منها، ثم ينتقلون إلى ذي المجاز موضع سوق بعرفة يقون ثمانية أيام ثم يعرفون في اليوم التاسع من ذي الحجة.

(٤٣) اليعقوبي ١/٢٧٠.

رابعاً - أديان العرب في العصر الجاهلي:

أ - الوثنية:

قال ابن إسحاق واليعقوبي ما موجزه^(١):

إن بني اسماعيل كانوا لا يفارقون مكة، حتى كثروا، وضائق بهم مكة فتفرقوا في البلاد، وما ارتحل أحد منهم من مكة إلا حمل معه حجراً من حجارة الحرم، وحيث ما نزلوا وضعوه، وطافوا به كطوافهم بالكعبة، حتى أدى بهم إلى عبادته وخلف من بعدهم خلف نسوا ما كان عليه آباؤهم من دين اسماعيل وعبدوا الأوثان.

وقالا - أيضاً - ما موجزه:

إن عمرو بن لحي - شيخ خزاعة - سافر إلى الشام، ورأى أهلها يعبدون الأصنام، فقال لهم، ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون. فقالوا له: هذه أصنام نعبدها، فنستمطرها، فتمطرنا، ونستنصرها، فتنصرنا، فأخذ منهم هبل. وأتى به مكة ونصبه عند الكعبة.

ووضعوا كلاً من إساف و نائلة على ركن من أركان، البيت فكان الطائف بالبيت يبدأ بإساف، ويقبله، ويختم به، وكانت العرب عندما تحج البيت تسأل قريشاً وخزاعة عنها، فيقولون نعبدها لتقربنا إلى الله زلفى فلما رأت العرب ذلك اتخذت كل قبيلة صنماً لها يصلون له تقرباً إلى الله على حدّ زعمهم.

(١) سيرة ابن هشام ط. مصر سنة ١٣٥٦هـ - ٨٢/١، وتاريخ اليعقوبي ط. بيروت سنة

١٣٧٩هـ - ٢٥٤/١، والاكتفاء للكلاعي ط. القاهرة سنة ١٣٨٧هـ - ٩٢/١ - ٩٤.

وطالبتها بضعها فالتوت بوجه تفول فاستغولا
ويزعمون أن رجلها رجلا عنز، وكانوا إذا اعترضتهم الغول في الفيافي
يرتجزون ويقولون:

يا رجل عنز انهقي نهيقا لن نترك السبب والطريقا
وذلك أنها كانت تترأى لهم في الليالي وأوقات الخلوات، فيتوهمون أنها
إنسان فيتبعونها، فتزيلهم عن الطريق التي هم عليها، وتتيهمهم. وكان ذلك قد
اشتهر عندهم وعرفوه، فلم يكونوا يزولون عما كانوا عليه من القصد، فإذا
صيح بها على ما وصفنا شردت عنهم في بطون الأودية ورؤوس الجبال.
وقد ذكر جماعة من الصحابة ذلك، منهم عمر بن الخطاب (رض) انه
شاهد ذلك في بعض أسفاره إلى الشام، وأن الغول كانت تتغول له، وإنه ضربها
بسيفه، وذلك قبل ظهور الإسلام، وهذا مشهور عندهم في أخبارهم.

السعلاة:

قال المسعودي ما موجزه^(٧):

وفرقوا بين السعلاة والغول قال عبيد بن أيوب...
أبيت بسعلاة وغول بقفرة إذا الليل وارى الجن فيه أرنت
وقد وصفها بعضهم فقال:

وحافر العنز في ساق مدملجة وجفن عين خلاف الأنس بالطول

وقد حكى الله قول الجن في عملهم مع الأنس وقال تعالى:

﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يُعَوِّدُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا *
وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا * وَأَنَا لَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَتًا
حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَابًا * وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ
شِهَابًا رَّصَدًا ﴾ (الجن/ ٦ - ٩).

(٧) مروج الذهب ٢/١٣٧.

كان ذلكم بعض أخبار عقائد العرب في الغول والسعلاة ونظائرهما
وسندرس بعد هذا أمر اليهودية والنصرانية في الجزيرة العربية باذنه تعالى.

ج ود - اليهودية والمسيحية

انتشرت اليهودية في بلاد اليمن ومنطقة المدينة والمسيحية في اليمن
ونواحي الشام.

وبنت النصارى بعض الكنائس مضاهاة للكعبة مثل كنيسة نجران التي
قال فيها الأعشى:

وكعبة نجران حتم عليك حتى تناخى باعتبارها
وكنيسة قليس التي بناها ابرهة، وأمر العرب أن يحجوا إليها، فتغوط
فيها بعضهم فهمه ذلك فأتى بجيش الفيل لهدم الكعبة^(٨).

ومن معتقدات الوثنيين وأهل الكتاب في الجاهلية ما أخبر الله عنه بقوله
تعالى في سورة الأنعام:

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَ
وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ * بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ
صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ
كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿ (الآيات/ ١٠٠-١٠٢)

اما البنون الذين خرقوا فقد أخبر الله عنه في قوله تعالى:

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ... ﴾

(التوبة/ ٣٠).

وكانت اليهود يومذاك تزعم ان عزيزاً ابن الله وكانت النصارى ولا
زالت تقول بأن المسيح عيسى بن مريم (ع): ابن الله.

(٨) سيرة ابن هشام ٤٣/١، ومعجم البلدان ٤/٧٥٦.

أما البنات، فقد أخبر الله عن عقيدتهم في قوله تعالى:
﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ...﴾ (النحل/ ٥٧).

وقوله تعالى:

﴿فَاسْتَفْتِهِمُ الرَّبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ * أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ * وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾ (الصفات/ ١٤٩ - ١٥٣).

* * *

تشريع الجاهليين في الأطفمة

كذلك يشرع الانسان الجاهلي لنفسه وفق هواه وتخيلاته، بينما شرع رب العالمين للانسان نظاماً يتناسب و فطرته، وسماه دين الاسلام و بلغه بواسطة أنبيائه(ص)، و أكمله في شريعة خاتم الأنبياء (ص)، ولكن الانسان الجاهلي شرع لنفسه من الطعام حلالاً وحرماً في مقابل ماشرعه رب العالمين كما أخبر الله تعالى عن ذلك وقال:

١ - في سورة يونس:

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ إِنَّ اللَّهَ أَدْنَىٰ لَكُمْ أُمَّ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ * وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (الآيات/ ٥٩ - ٦٠)

٢ - في سورة النحل:

﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يَفْلِحُونَ﴾ (الآية/ ١١٦)

وشرع الانسان الجاهلي - أيضاً - ما أخبر الله عنه في الآيات الآتية:

أ - في سورة المائدة:

﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
يُفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (الآية/١٠٣)

ب - في سورة الأنعام:

﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِدُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ
يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا
أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا
مُهْتَدِينَ ﴾ (الآيات/١٣٩-١٤٠)

ج - في سورة الأنعام:

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا
وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا
وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ
تَعْقِلُونَ ﴾ (الآية/١٥١)

د - في سورة المائدة يخاطب المؤمنين:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ
لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ
مُؤْمِنُونَ ﴾ (الآيات/٨٧-٨٨)

شرح الكلمات:

أ - البَحِيرَةُ:

الناقة كانت إذا ولدت في الجاهلية خمسة أبطن شقوا أذنها، واعفوها أن
ينتفع بها ولا يمنعوها من مرعى ولا ماء.

ب - السائبة:

البعير الذي يدرك نتاج نتاجه فيسيب، أي يترك ولا يركب ولا يحمل عليه.

والناقة المهملة التي كانت تسبب في الجاهلية لنذر ونحوه، فإن الرجل إذا نذر القدم من سفر أو البره من علة أو ما أشبه ذلك، قال: ناقتي سائبة، فكانت السائبة كالبحيرة لا ينتفع بها ولا تمنع من ماء وكلاء.

ج - الوصيلة:

كانت الشاة في الجاهلية إذا ولدت انثى، فهي لهم، وإذا ولدت ذكراً، جعلوه لاهنتهم.

فان ولدت توأمًا ذكراً وانثى قالوا: وصلت أخاها، فلم يذبحوا الذكر لآهنتهم.

د - حام:

كانت العرب في الجاهلية إذا انتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا قد حمى ظهره، فلا يحمل عليه، ولا يمنع من ماء ولا مرعى.

ويظهر مما جاء في التفاسير ومعاجم اللغة أنهم لم يكونوا متفقين على ما ذكرناه بل كان للحام والوصيلة عند اقوام غير ما ذكرناه من معنى.

هـ - وقالوا ما في بطون هذه الانعام:

يعني قال الجاهليون ما في بطون السائبة وبعض أنواع الوصيلة خالصة لذكورنا لا يشركهم فيها أحد من الاناث، وان يكن الجنين ميتة فالذكور والاناث فيه سواء.



كان ذلكم تشريع الجاهليين في الاطعمة وتشريعهم في أمر الزواج

كالآتي:

الأنكحة في الجاهلية:

كان في الجاهلية سبعة أنواع من النكاح متعارف عليها فقد روى البخاري أربعة منها عن عائشة انها قالت: ان النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء فنكاح منها:

١ - نكاح الناس اليوم يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها.

٢ - ونكاح آخر كان الرجل يقول لامرأته، اذا طهرت من طمثها أرسلني الى فلان، فاستبضعي منه، ويعتزلها زوجها ولا يمسه أبداً، حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه، فاذا تبين حملها، أصابها زوجها إذا أحب. وانا يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد. فكان هذا النكاح: نكاح الاستبضاع.

٣ - ونكاح آخر يجتمع الرهط ما دون العشرة، فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها، فاذا حملت ووضعت ومر عليها ليالي بعد ان تضع حملها ارسلت اليهم، فلم يستطع رجل منهم ان يمتنع، حتى يجتمعوا عندها تقول لهم: قد عرفتم الذي كان من أمركم وقد ولدت فهو ابنك يا فلان! تسمى من أحبت باسمه، فيلحق به ولدها لا يستطيع ان يمتنع منه الرجل.

٤ - والنكاح الرابع يجتمع الناس الكثير، فيدخلون على المرأة لا تمتنع ممن جاءها وهنّ البغايا كنّ ينصبن على أبوابهن رايات تكون علماً فمن أرادهن دخل عليهن، فاذا حملت احدهن ووضعت جمعوا لها ودعوا لهم القافة، ثم الحقوا ولدها بالذي يرون، فالتاط به ودعي ابنه لا يمتنع من ذلك فلما بعث محمد (ص) بالحق هدم نكاح الجاهلية كله الا نكاح الناس اليوم^(٩).

(٩) البخاري ١٦٥/٣ كتاب النكاح باب من قال لا نكاح إلا بولي.

ومن امثلة النكاح الثالث نكاح النابغة أم عمرو بن العاص كما رواه الزمخشري وغيره واللفظ للزمخشري في كتاب «ربيع الابرار» قال:
 كانت النابغة أم عمرو بن العاص أمة لرجل من عنزة، فسُبيت، فاشتراها عبد الله بن جُدعان التيمي بمكة، فكانت بغياً ثم اعتقها فوقع عليها ابو لهب بن عبد المطلب وأمية بن خلف الجمحي، وهشام بن المغيرة المخزومي وأبو سفيان بن حرب، والعاص بن وائل السهمي، في طهر واحد، فولدت عمراً، فادعاه كلهم، فحكمت امه فيه، فقالت: هو من العاص بن وائل، وذاك لان العاص بن وائل كان يتفق عليها كثيراً.
 قالوا: وكان أشبه بأبي سفيان وفي ذلك يقول: أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب في عمرو بن العاص.

ابوك ابو سفيان لاشك قد بدت لنا فيك منه بينات الشئائل^(١٠)
 ومن امثلة النكاح الرابع ما رواه ابن حجر في فتح الباري وقال: (هنّ بغايا كنّ في الجاهلية معلومات لهنّ رايات يعرفن بها) وقال:
 وقد ساق ابن الكلبي في كتاب المثالب اسامي صواحب الرايات في الجاهلية فسَمّى منهن أكثر من عشر نسوة مشهورات تركت ذكرهن اختياراً.
 وذكر قبله اسم واحدة منهن^(١١).
 وفي العقد الفريد ما موجه.
 كانت سمية أم زياد أمة للحارث بن كلدة وزوجها عبيداً عبداً لابنته، فولدت على فراشه زياداً.

وكانت البغايا في الجاهلية لهن رايات يعرفن بها، ويتتبعها الفتيان وكان

(١٠) ابن ابي الحديد ٦/٢٨٣، ٢٩١ وراجع ج ٢/١٢٥ منه وأوردها الزبير بن بكار في كتاب المفازات كما روى عنه ابن ابي الحديد في شرح الخطبة ٨٢ ومن كلام له في ذكر عمرو بن العاص ط. مصر الاولى ١/٩٩.

(١١) فتح الباري ١١/٩٠ في باب لا نكاح إلا بولي من كتاب النكاح.

أكثر الناس، يكرهون اماءهم على البغاء والخروج الى تلك الرايات يبتغون عرض الحياة الدنيا وان ابا سفيان خرج يوماً وهو ثمل الى تلك الرايات، فوقع بسمية فولدت له زياداً على فراش عبيد^(١٢).

٥ - نكاح الشغار:

من انكحتهم نكاح الشغار: قال ابن الأثير في نهاية اللغة:

وهو نكاح معروف في الجاهلية كان يقول الرجل للرجل شاغري أي زوجني اختك أو ابنتك أو من تلي أمرها، حتى ازوجك اختي أو بنتي أو من إلي أمرها ولا يكون بينهما مهر، ويكون بضع كل واحدة منها في مقابلة بضع الاخرى وقيل له شغار لارتفاع المهر بينهما من شجر الكلب إذا رفع احدى رجليه ليبول^(١٣).

٦ - نكاح المقت:

نكاح المقت قال ابن الأثير في مادة (مقت) من نهاية اللغة والمقت ان يتزوج الرجل امرأة أبيه اذا طلقها أو مات عنها، وكان يفعل ذلك في الجاهلية وحرّمه الإسلام، ومثاله ما رواه ابن اسحاق في سيرته وقال:
(وكان عمرو بن نفيل قد خلف على أم الخطاب بعد - أبيه - فولدت له زيد بن عمرو وكان الخطاب عمه وأخاه لأمه)^(١٤).

(١٢) العقد الفريد ٤/٥ - ٥ في ذكر أخبار زياد.

(١٣) مادة (شغر) من نهاية اللغة لابن الاثير ٢/٢٢٦ وقد لخص ما اورده هنا من الروايات في باب الشغار من كتاب النكاح في صحيح البخاري (٣/١٦٣) وصحيح مسلم ص ١٠٣٤ - ١٠٣٥ الاحاديث ٥٧ - ٦٢ وسنن ابي داود (٢/٢٢٧) الحديث ٢٠٧٤ و ٢٠٧٥ وسنن ابن ماجه ١٣٦/١ الحديث (١٨٨٣ - ١٨٨٥) وسنن النسائي ٦/١١٠ - ١١٢ وسنن الدارمي ٢/١٣٦ ومسنند احمد (٧/٢)، ١٩، ٢٥، ٦٢، ٩١، ٢١٥، ٢١٦، ٢٨٦، ٤٣٩، ٤٩٦، (٣/٣٢١، ٣٣٩، ٤/٤٢٩، ٤٣٩، ٤٤١، ٤٤٣)، ومن مادة شغر في معاجم اللغة.

(١٤) سيرة ابن اسحاق ط. المغرب ص ٩٧ سنة ١٣٩٦هـ.

ومثال آخر منه ما نقله ابن أبي الحديد في شرح النهج وقال:
(و صنع أمية في الجاهلية شيئاً لم يصنعه أحد من العرب، زوج ابنه أبا
عمرو أمراًته في حياته منه، فأولدها أبا معيط بن أبي عمرو بن أمية. والمقيتون
في الإسلام هم الذين نكحوا نساء آبائهم بعد موتهم، فأما أن يتزوجها في حياة
الأب ويبنى عليها وهو يراه، فإنه شيء لم يكن قط)^(١٥).

ولم يقتصر النكاح بالإرث على نكاح الولد زوجة أبيه بعد موته بل يعم
وارثي المتوفي كما رواه الطبري وغيره في تفسير قوله تعالى ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ
تَرثُوا النِّسَاءَ﴾ وقالوا:

كان الرجل في الجاهلية يموت أبوه أو أخوه أو ابنه، فإذا مات وترك
امراته ألقى الرجل عليها ثوبه، فورث نكاحها، وكان أحق بها، وكان ذلك
عندهم نكاحاً فان شاء أمسكها، حتى تفتدي منه.

وقال: كان إذا توفي الرجل كان ابنه الأكبر هو أحق بامراته ينكحها إذا
شاء إذا لم يكن أبناً أو ينكحها من شاء أخاه أو ابن أخيه.

وقال: وإن كان صغيراً حُبِسَتْ عليه حتى يكبر فان شاء أصابها، وإن
شاء فارقها.

وقال: كان الرجل إذا مات أبوه أو حميمه، فهو أحق بامراته إن شاء
أمسكها أو يجلسها، حتى تفتدي منه بصدقها أو تموت فيذهب بهاها^(١٦).
٧ - نكاح البدل:

وهو أن يقول الرجل للرجل: انزل عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتي،
وكان من هذا القبيل خبر عيينة بن حصن شيخ قبيلة بني فزارة عندما دخل
على رسول الله (ص) بغير إذن، فقال له رسول الله (ص) وأين الإذن.

(١٥) شرح نهج البلاغة تحقيق محمد ابو الفضل ط. مصر ٢٠٧/١٥.

(١٦) تفسير الطبري ٤ / ٢٠٨ - ٢٠٩.

فقال ما استأذنت على أحد من مضر وكانت عنده عائشة (رض) قبل
ان ينزل الحجاب فقال: من هذه؟
قال: هذه عائشة.

قال: أفلا انزل لك عن أم البنين - زوجة عيينة - فتنكحها.
فغضبت عائشة (رض) وقالت: من هذا؟
فقال رسول الله (ص): هذا أحق مطاع يعني في قومه^(١٧).
وكذلك شرع الجاهليين في شأن الأشهر الحرم والنسيء كالأتي:

الأشهر الحرم في الجاهلية:

قال الله تعالى في سورة التوبة:

﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ
وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ * إِنَّمَا
النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِنُوا
عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الْكَافِرِينَ ﴾ (الآيات/ ٣٦ - ٣٧)

تفسير الكلمات:

في كتاب الله: أي في ما فرض الله كما يأتي تحقيقه في بحث المصطلحات
الإسلامية إن شاء الله تعالى.
أربعة حرم: أربعة أشهر الحرم هي ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب.

(١٧) راجع عمدة القارئ ١٢٢/٢٠ كتاب النكاح الحديث (٦٠) وترجمة عيينة في
الاستيعاب واسد الغابة والاصابة.

النسيء: نسات الشيء فهو منسوء، إذا أخرته والنسيء بمعنى المنسوء
مثل القتل بمعنى المقتول ورجل ناسيء وقوم نساء على وزن فاسق وفسقة.
ليواطؤا: واطأه وافقه طابقه.

المعنى:

كانت العرب تحرم الشهور الأربعة وذلك مما تمسكت به من ملة إبراهيم
وإساعيل، وكانوا أصحاب حروب وغارات، فربما كان يشق عليهم أن يمكثوا
ثلاثة أشهر متوالية، ذي القعدة، وذي الحجة، ومحرم ولا يغيرون فيها بعد أن
أتموا حجهم في ذي الحجة، ويقولون: لئن توالى علينا ثلاثة أشهر لانصيب فيها
شيئاً لنهلكن، فكانوا إذا صدروا عن منى يقوم منهم رئيس، ويقول: أنا الذي لا
أعاب ولا أخاب ولا يرد لي قضاء فيقولون: نعم صدقت. أنسنا شهراً واجمل
حرمة المحرم في صفر وأحل المحرم، فيفعل ذلك.

فيكون صفر تلك السنة عندهم شهر المحرم والصفر ربيع أول وهكذا
يتسلسل حتى يكون ذو الحجة الآتي بعدها في شهر محرم وكذلك كانت الأشهر
تدور عندهم وأحياناً يصادف عندهم أن يحجوا في شهر ذي الحجة.

ولما حج النبي (ص) حجة الوداع وافقت شهر ذي الحجة، فقال في
خطبته ألا وإن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والأرض السنة
إثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ثلاثة متواليات: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم
ورجب الذي بين جمادي وشعبان.

أراد (ص) أن الأشهر الحرم، رجعت إلى مواضعها وعاد الحج إلى ذي
الحج وبطل النسيء وكان أول من سن النسيء عمرو بن لحي وحين جاء
الاسلام كان ينسأها رجل يقال له القلمس وفي ذلك قال رجل من قومه اسمه
عمير بن قيس بن جذل الطعان:

السنا الناسئين على معد شهر الحل نجعلها حراماً^(١٨)

نتيجة البحث:

مايهمنا ممّا ذكرناه ان نظام الحكم في المجتمع العربي الجاهلي كان قبلياً محضاً عليه بنيت جميع اعراف المجتمع. وفي مقدمة جميع أعرافهم حب كسب الفخر للقبيلة ونشر فضائلها، ومن ثم كان للشعر أكبر الاثر في نفوس افراد ذلك المجتمع وكانت أهم خصيصة من خصائصها أثر الشعر فيهم، بحيث ان مديحاً واحداً من شاعر لفقير مدقع يجعله شريفاً يتسابق أشراف القبائل الى خطبة بناته وملك ظافر ان يطلق اسرى القتال.

وقصيدة واحدة تدفع القبائل للحرب والقتال، ولذلك دفعت قريش مائة ناقة للأعشى الشاعر كي لا يذهب الى المدينة وينصر المسلمين بشعره، وبلغ خوفهم من هجاء الشعر لهم ان يسبّ بهم الاحياء والاموات، ويبقى أثره حي الاعقاب مثل لقب أنف الناقة لبني قريع من بني تميم الذي اصبح ذمّاً لولاده يُعيرون به ويفضون منه ويفرقون الى ان قال الخطيئة في مدحهم: قوم هم الانف والاذناب غيرهم ومن يساوي بأنف الناقة الذنبا فصاروا يتناولون بهذا النسب، ويمدّون به اصواتهم في جهارة.

ومن هنا نعرف حكمة مجيء النبي (ص) في أولئك الناس بمعجزة القرآن الذي فاق بلاغة كل بليغ، وسوف ندرس في بحثنا الآتية باذنه تعالى أثر القرآن في المجتمع العربي الجاهلي والاسلامي.

ونبدأ بذكر من تاريخ القرآن على عهد الرسول (ص) بمكة.

(١٨) أوردنا تفسير الكلمات من مفردات الراغب ولسان العرب والخبر من تفسير الآية

بتفسير القرطبي ١٣٦/٨ - ١٣٨ وتفسير مجمع البيان ٢٨/٥ - ٢٩.

بحوث تمهيدية

«٢»

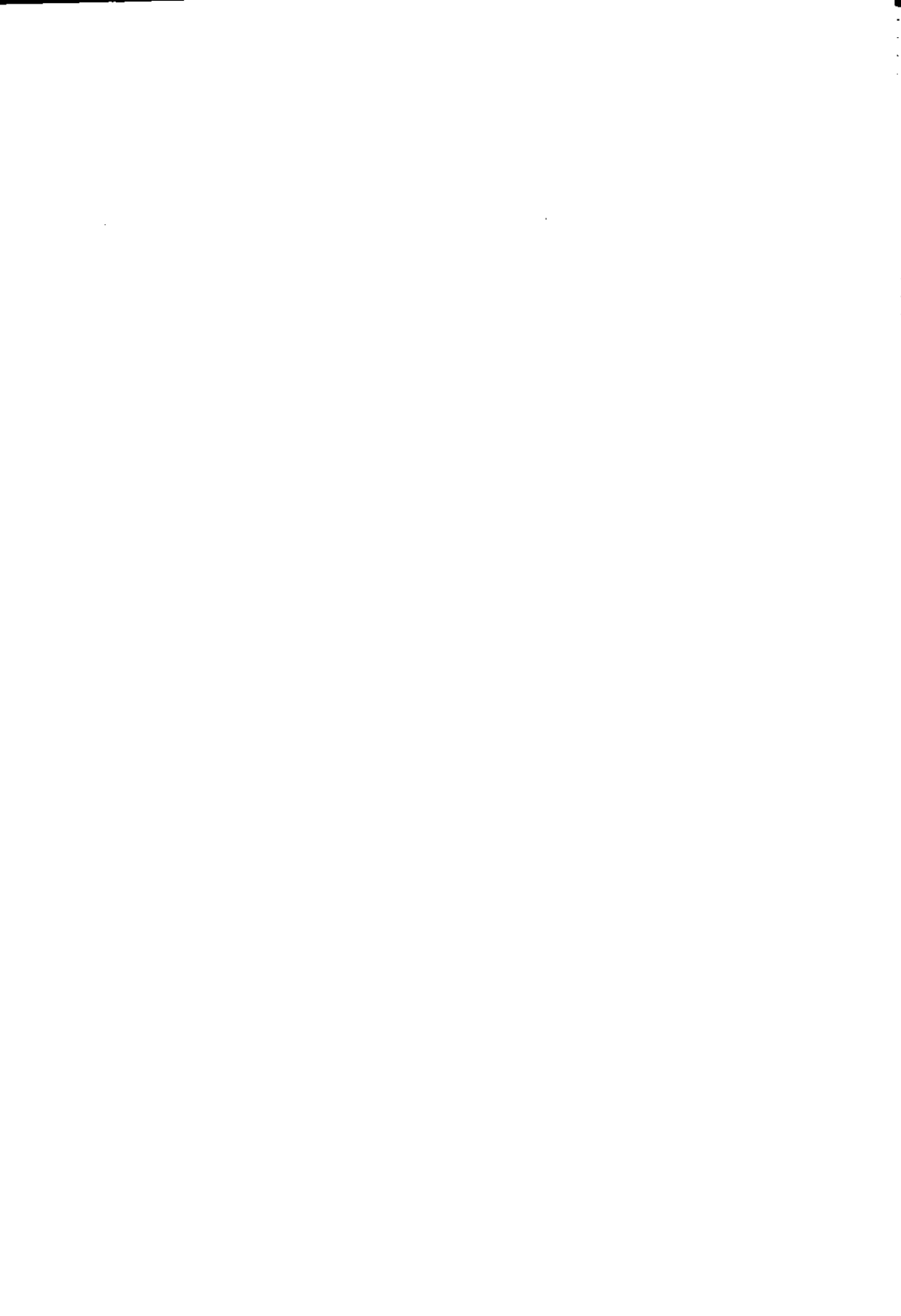
من تاريخ القرآن

الفصل الأول: أخبار القرآن في عصر نزوله بمكة.
الفصل الثاني: أخبار القرآن في عصر نزوله في المدينة

الفصل الأول

أخبار القرآن في عصر نزولة بمكة على عهد الرسول الأكرم (ص)

- أ - القرآن وما فيه.
- ب - خصائص القرآن المكي وآثاره الادبية والفكرية.
- ج - أخبار بدء الدعوة.
- د - مقابلة قريش للقرآن الكريم.
- هـ - سياسة النبي في أمر القراءة والاقراء.
- و - تدوين القرآن في مكة.
- ز - خصائص المجتمع الاسلامي على عهد الرسول (ص).



أولاً - القرآن وما فيه:

في ليلة السابع والعشرين من رجب وفي غار جبل حراء على بعد ثلاثة أميال من مكة أنزل الله أول مرة مع جبرئيل على نبيه (ص):

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * أَقْرَأْ وَرَبُّكَ
الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (الآيات/ ١ - ٥)

ثم توالى نزول القرآن ثلاثاً وعشرين سنة. قال تعالى:
﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً... ﴾ (النحل/ ٨٩).

وكما أخبر الله سبحانه في سورة الجمعة:
﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ
وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (الآية/ ٢)
وكما قال تعالى في سورة البقرة:

﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾

أنزل الله في القرآن جميع أنواع المعرفة الدينية من صفات الخالق وأخبار المعاد وأحكام الإسلام وآدابه وأصناف المعرفة بجميع عوالم الوجود؛ عوالم السموات والأرض، وعوالم الملائكة والجن والإنس والنبات والحیوان، وأخبار

الأمم السابقة والبائدة وأنبيائها، وأخبار الغيوب الآتية، وأودع مفاتيح تلك
الكنوز من المعرفة، إلى رسول الله (ص) وقال تعالى في سورة النحل / ٤٤:

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾

نزل القرآن على رسول الله (ص) ثلاث عشرة سنة في مكة وعشر
سنوات في المدينة ولكل خصائصه، كما تذكرها في ما يأتي بحوله تعالى.

ثانياً - خصائص القرآن المكي وآثاره:

أ - الخصائص الادبية في القرآن المكي:

نزل القرآن بمكة في ثلاث عشرة سنة قصيرة آياته صغيرة في جلّ سورة. وفي القرآن المكي ما يُدحض مزاعم قريش الباطلة في تعدد الآلهة، ويدمغ حججهم الواهية في التمسك بها وبأعرافهم الجاهلية بحجج رصينة ويحجب عن أسئلتهم بأجوبة شافية وافية وما فيه تعنيف شامت وردّ على اقتراحاتهم الجاهلية. ومنه ما يقص ما جرى بين الرسول (ص) وقريش من مناظرات ومجادلات، وما يحكي عن حوادث معاصرة أو غابرة مما جرى بين الأنبياء وأمهم يضرب بها مثلاً لكفار قريش وما يجري بينهم وبين نبيهم من مشاجرات، ومنه ما يصور أهوال يوم القيامة مما يقشعر لها جلد العربي ذو الحسّ المرهف، ولكلام الله في القرآن الكريم ميزات كثيرة على كلام البشر جليّة تقتصر في ما يأتي على ذكر الامتياز البلاغي - الأدبي - ثمّ الفكري للقرآن المكي بحوله تعالى:

أثر الامتياز الأدبي في القرآن الكريم:

أمثلة من آيات تتجلى فيها الميزة الأدبية في القرآن المكي:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالضُّحَىٰ * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ * وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ

لَكَ مِنَ الْأُولَى * وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى * أَلَمْ يَجْعَلْكَ يَتِيمًا فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَانِلًا فَأَغْنَى * فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ * وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿ (الضحى/ ١ - ١١).

آية قطعة فنية من كلام البشر شعراً كان أم نثراً تضاوي هذه السورة أو تدانيها، أم آية قطعة أدبية من كلام البشر توازي أو تداني قوله تعالى في سورة الرحمن:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ * الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ * وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ * وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * ... فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبُّكُمَا تُكذَّبَانِ ﴾ (الآيات/ ١ - ٧ و ١٣)

أم آية قطعة أدبية من كلام الآدميين توازي أو تداني قوله عز اسمه في سورة التكويد:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ * وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ * وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ * وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ... فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ * إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ * لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴾ (الآيات/ ١ - ٩ و ٢٦ - ٢٨).

خذ أي فن من فنون كلام بلغاء الآدميين، وقارنه بما شئت من مثيله في القرآن الكريم، لترى بلاغة القرآن كضوء الشمس يخفي ضياؤه لمعان كل نجم في سماء الأدب صغيراً كان أو كبيراً خذ مثلاً الفن القصصي من كلام الآدميين وقارنه بنظيره في القرآن الكريم حيث قال - سبحانه وتعالى - في سورة الفيل:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي

تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ
كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿

وهي تحكي عن قصة شاهدها قريش في عصرها ومصرها وان شئت فخذ
مثلاً ما حكى الله من قصص الانبياء السابقين مع أمهم الغابرة وقارن بين ما
قصه البشر من القصص المتوسطة وبين ما حكى الله عن نوح وقومه حيث
قال في سورة نوح:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالَ
يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا * يَغْفِرْ لَكُمْ مِّن
ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُم إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِن أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ *
قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا * وَإِنِّي كُلَّمَا
دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا
أَسْتَكْبَرُوا * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا *
فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَبِمَدَدِكُمْ
بِأَمْوَالٍ وَيَنْبِنَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا * مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا *
وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا * أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا * وَجَعَلَ الْقَمَرَ
فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا * وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ
فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بَسَاطًا * لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا
فِجَاجًا * قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا *
وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبْرًا * وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ
وَيَعُوقَ وَنَسْرًا * وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا * مِمَّا خَطَبْتَهُمْ
أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا * وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ
عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ بِيُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا

تَفَرَّأَ * رَبِّ أَغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا
تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿ (الآيات/١-٢٨)

وخذ للمقارنة قصص بلغاء البشر الكبيرة من قصص القرآن، وخذ إن شئت في سورة يوسف أحسن القصص أو قصص زكريا ومريم وعيسى - عليهم السلام - في سورة مريم أو قصص هارون وموسى مع فرعون وبني اسرائيل في سائر السور.

وهكذا لا يجارى القرآن ولا يبارى في أي فن من فنون البلاغة في التعبير، وكذلك لا شبيه له ولا نظير في ما يحوي من فنون العلم بالمبدأ والمعاد وأخبار عوالم الملائكة والجنّ والانس والحيوان والنبات والجماد والسّموات والكواكب وأنظمة حياة الإنسان وسائر فنون المعرفة الصحيحة، وكان لبلاغة القرآن والجانب الأدبي فيه الأثر البليغ في نفوس قريش كما يدلّ عليه أمثال الخبر الآتي:

تأثير القرآن المكي في قريش واستماعهم اليه سرّاً:

روى ابن هشام وغيره واللفظ لابن هشام، قال:

إن أبا سفيان بن حرب وأبا جهل بن هشام والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي، حليف بني زهرة، خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله (ص) وهو يصلي من الليل في بيته، فأخذ كل رجل منهم مجلساً يستمع فيه، وكل لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرّقوا. فجمعهم الطريق، فتلاوموا، وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا، فلو رأيتم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً، ثم أنصرفوا. حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرّقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ثم أنصرفوا. حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا

طلع الفجر تفرّقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض: لا نبرح حتى نتعاهد
ألا نعود: فتعاهدوا على ذلك، ثم تفرّقوا.

فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه، ثم خرج حتى أتى أبا سفيان
في بيته فقال: أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد؟

فقال: يا أبا ثعلبة، والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها،
وسمعت أشياء ما عرفت معناها، ولا ما يراد بها.

قال الأخنس: وأنا والذي حلفت به كذلك.

قال: ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل وكان أول من دخل عليه بيته
فقال: يا أبا الحكم، ما رأيك فيما سمعت من محمد؟

فقال: ماذا سمعت! تنازعنا نحن - أي قبيلة بني مخزوم - وبنو عبد مناف
الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى تحاذينا على
الرُكْب، وكنا كفرسي رهان، قالوا: منّا نبيّ يأتيه الوحي من السماء؛ فمتى ندرك
مثل هذه! والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه.

قال: فقام عنه الاخنس وتركه^(١).

هكذا كان للجانب الأدبي من القرآن الكريم الأثر البليغ في نفوس من
يستمع إليه ولذلك بذلت قريش جهدها لتمنع الحجيج من الاستماع إلى قراءة
الرسول للقرآن الكريم كما سيأتي خبره في بحث الخصائص الفكرية في القرآن
المكي الآتي.

الخصائص الفكرية في القرآن المكي:

يعرض القرآن المكي في سور صغيرة عقيدة التوحيد في الألوهية
والربوبية ورسالة خاتم الأنبياء وعوالم المعاد بعد حياة الدنيا، وأن القرآن كلام

(١) سيرة ابن هشام ط. القاهرة ١/٣٣٧ - ٣٣٨.

الله نزل هداية البشر، ويُدحض أعراف مشركي قريش الوثنية والجاهلية
وحججهم على الرسول والقرآن الكريم، ويدعوهم الى العمل الصالح في
الحياة الدنيا ومن أمثلة ذلكم:

أ - في التوحيد:

قال - سبحانه وتعالى - في سورة التوحيد:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾

ب - في خير المعاد:

قال سبحانه وتعالى في سورة يس:

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُعْجِبُ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ

يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (الآيات ٧٨ - ٧٩)

وقال تعالى في سورة الزلزلة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا

لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا * يَوْمَئِذٍ يُصْدِرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوَّ

أَعْمَالَهُمْ * فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾

ج - دعوته للعمل الصالح:

قال - سبحانه وتعالى - في سورة العصر:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾

كانت تلكم أمثلة من الآيات التي يتجلى فيها الامتياز البلاغي للقرآن

الكريم ثم أمثلة من الآيات التي تتجلى فيها الخصائص الفكرية للقرآن المكي. ولم نقصد من ايراد آيات لتعريف الميزات الأدبية في القرآن الكريم ثم آيات اخر لتعريف الخصائص الفكرية فيه، تصنيف آيات القرآن الى صنفين متقابلين: آيات تمتاز ببلاغتها في الكلام واخرى بما تحوي من فكر وعلم، كلاً! فإن الله سبحانه كما جعل ما يحتاجه جسد الانسان من (فيتامينات) مقومة لحياته في ثمار لذيذة الطعم كالتمر والتفاح والعنب والليمون والمشمش كذلك جعل ما تحتاجه نفسه من افكار مقومة لحياته النفسية والجسدية في فنون من الكلام في القرآن الكريم تهش الى سماعها نفسه.

وكما ان الانسان قد يصاب في جسده بغدد سرطانية يجب البدء باستئصالها من جذورها ثم القيام بتقوية جسده وتقويمه بما يحتاجه الجسد من مقومات الحياة في طعامه وشرابه، كذلك الانسان المتلوث فكره بالوثنيات والاعراف الجاهلية يجب البدء باستئصال افكاره المريضة الراسخة في اعماق نفسه وقطعها من جذورها ولذلك بدء خليل الله ابراهيم دعوته الناس إلى عبادة الله بزعزعة عقيدة عبدة الكواكب وكسر أوثان عبدة الأصنام وبدأ خاتم الرسل بدعوة المشركين إلى أن يقولوا: لا اله الا الله، أي أن ينبدوا جميع أصنامهم التي يعبدونها اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى وسائر آلهتهم.

وكما ان الانسان المدمن للخمر واستعمال المخدرات يصرف كل طاقاته الفكرية والجسدية في سبيل ادامة تعاطي الخمر والمخدرات ويقاوم بكل ما أوتي من حول وقوة من يريد أن يحول بينه وبينها!

كذلك الانسان المتلوث فكره بالوثنيات والاعراف الجاهلية يصرف جميع طاقاته في سبيل المحافظة على ما تلوث به فكره وأعتاده من أعراف جاهلية وعبادات وثنية ويحارب من يريد أن يحول بينه وبين أعرافه وعباداته. ومن هنا يلتقى إبراهيم في النار لتحرقه ويقابل خاتم الانبياء بصنوف من الاذى والطغيان ولن آمن بقرآنه بانواع من العسف والظلم والعدوان.

لو اقتصر القرآن في مكة على عرض الجوانب الفنية والادبية في الكلام ولم يتعرض لأعراف قريش الجاهلية، ولم يسفه احلامهم، ويسب اهنتهم، لرفعت قريش الرسول فوق اكتافها، وشمخت بآنافها، وفاخرت به قبائل العرب وكاثرت به، وناقرت، لكن القرآن خاصمهم في كل جانب من جوانب اعرفهم الجاهلية فوق بينهم وبين القرآن ومبْلُغه الرسول ما سنذكره بحوله تعالى بعد ايراد مثالين من أثر القرآن الفكري في الانسان العربي في ما يأتي:

أ - قيام قريش لمقابلة الاثر الفكري للقرآن الكريم:

بذلت قريش جهوداً ضخمة لصد الأثر الفكري للقرآن المكي عن الناس نذكر منها على سبيل المثال الموارد الآتية:

ذكر ابن عساكر وغيره في ترجمة عتبة ما موجهه قال: ان قريش اجتمعت برسول الله (ص) ورسول الله (ص) في المسجد، فقال لهم عتبة بن ربيعة دعوني حتى أقوم الى محمد، فاكلمه، فاني عسى أن أكون أرفق به منكم.

فقام عتبة، حتى جلس اليه، فقال يا ابن أخي: إنك أوسطنا بيتا وأفضلنا مكانا وقد أدخلت على قومك ما لم يدخل رجل على قومك قبلك، فان كنت تطلب بهذا الحديث مالاً، فذلك لك على قومك ان تجمع لك حتى تكون أكثرنا مالاً، وان كنت تريد شرفاً فنحن مشرفوك، حتى لا يكون أحد من قومك فوقك، ولا نقطع الامور دونك.

وان كان هذا عن لم يصيبك لاتقدر عن النزوع عنه، بذلنا لك خزائننا في طلب الطب لذلك منه.

وان كنت تريد ملكاً ملكناك.

قال رسول الله (ص): أفرغت يا أبا الوليد؟

قال نعم.

فقرأ (ص) حم السجدة حتى مر بالسجدة فسجد وعتبة ملق يده خلف

ظهره حتى فرغ من قراءتها.
وقام عتبة لا يدري ما يراجع به حتى أتى، نادى قومه فلما رأوه مقبلا
قالوا لقد رجع اليكم بوجه ما قام به من عندكم.

فجلس اليهم فقال يا معشر قريش قد كلمته بالذي أمرتوني به حتى
إذا فرغت كلمني بكلام لا والله ما سمعت أذناي بمثله قط فما دريت ما أقول له
يا معشر قريش أطيعوني اليوم واعصوني فيما بعده اتركوا الرجل واعتزلوه فوالله
ما هو بتارك ما هو عليه واخلوا بينه وبين سائر العرب فان يكن يظهر عليهم يكن
شرفه شرفكم وعزه عزكم وملكه ملككم وان يظهروا عليه تكونوا قد كفيتموه
بغيركم.

قالوا: أصبأت اليه يا أبا الوليد^(٢).

* * *

تأثر جمع من أفراد قبائل قريش بالقرآن، وآمنوا به، وسنشير الى خبرهم
في آخر هذا البحث - ان شاء الله تعالى - ولم ينحصر تأثير القرآن في قريش
وحدها بل كان تأثيره في العرب، من غير أفراد قريش أكثر من تأثيره في قريش
كما نرى مثله في خبر قيام قريش لمقابلة الأثر الفكري الآتي.

ب - الأثر الفكري و الأدبي للقرآن المكّي في الانسان العربي من غير

قريش:

قصة اسلام الطفيل بن عمرو الدوسي:

روى ابن هشام^(٣) وغيره واللفظ لابن هشام، قال:

(كان رسول الله (ص)، على ما يرى من قومه، يبذل لهم النصيحة

(٢) السيوطي ٣٥٩/٥؛ وفي ترجمة عتبة من مخطوطة ابن عساكر (١١/ ١ / ٢٠ أ)؛
والقرطبي ٣٣٨ / ١٥؛ وسيرة ابن هشام ط. القاهرة سنة ١٣٥٦ هـ - ١ / ٣١٣ - ٣١٤.
(٣) سيرة ابن هشام ٤٠٧/١ - ٤١١.

ويدعوهم الى النجاة مما هم فيه، وجعلت قريش حين منعه الله منهم، يحذرونه الناس ومن قدم عليهم من العرب.

وكان الطفيل بن عمرو الدوسي يحدث: أنه قدم مكة ورسول الله (ص) بها، فمشى إليه رجال من قريش، وكان الطفيل رجلاً شريفاً شاعراً لبيباً، فقالوا له: يا طفيل، إنك قدمت بلادنا، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا، وقد فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وإنما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وبين أبيه، وبين الرجل وبين أخيه، وبين الرجل وبين زوجته، وأنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا، فلا تكلمنه ولا تسمع منه شيئاً.

قال: فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئاً ولا أكلمه، حتى حشوت في أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفاً فرقا من أن يبلغني شيء من قوله، وأنا لا أريد أن أسمع.

قال: فغدوت إلى المسجد، فإذا رسول الله (ص) قائم يصلي عند الكعبة.

قال: فقممت منه قريباً فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله.

قال: فسمعت كلاماً حسناً.

قال: فقلت في نفسي واثكل أمي، والله إني لرجل لبيب شاعر ما يخفى عليّ الحسن من القبيح، فما يمتعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول! فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلته، وإن كان قبيحاً تركته.

قال: فمكثت حتى انصرف رسول الله (ص) إلى بيته فاتبعته، حتى إذا

دخل بيته دخلت عليه، فقلت: يا محمد، إن قومك قد قالوا لي كذا وكذا، والذي قالوا، فوالله ما برحوا يخوفونني أمرك حتى سددت أذني بكرسُف، لتلا أسمع قولك، ثم أبى الله إلا أن يسمعني قولك، فسمعتة قولاً حسناً، فأعرض عليّ أمرك.

قال: فعرض عليّ رسول الله (ص) الإسلام، وتلا عليّ القرآن، فلا والله

ما سمعت قولاً قط أحسن منه، ولا أمراً أعدل منه. قال: فأسلمت وشهدت:

شهادة الحق، وقلت: يا نبي الله، إني امرؤ مطاع في قومي، وأنا راجع إليهم،
وداعيتهم إلى الإسلام).

ثم روى ابن هشام بعد ذلك كيف دعا عمرو بن الطفيل عشيرته دوس
إلى الإسلام عندما رجع إليهم وكيف انتشر فيهم الإسلام وكيف وفدوا إلى رسول
الله (ص) بعد غزوة خيبر.

* * *

إنّ أمثال هذا النوع من الأثر دعت قريشاً أن يجتمعوا ويتشاوروا كيف
يصدون الحجيج عن الاستماع إلى قراءة الرسول (ص) للقرآن كما سنذكره بعد
إيراد خبر بدء الدعوة في ما يأتي بإذنه تعالى.

ثالثاً بدء الدعوة:

١ - دعوة أقارب الرسول (ص):

وبدأ التبليغ علناً بدعوة بني عبد المطلب ثم عم تبليغه للناس أجمعين وبين الله شعار الرسول في التبليغ في هذه المرحلة وقال في سورة الأنعام / ١٩:

﴿...وَأَوْحَىٰ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ...﴾

فبدأ بدعوة بني عبد المطلب كما روى ذلك جمع من أهل الحديث والسير مثل: الطبري، وابن عساکر، وابن الأثير وابن كثير، والمتقي، وغيرهم - واللفظ للأول - قال عن علي بن أبي طالب (ع) قال:

لما نزلت هذه الآية على رسول الله (ص) ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ دعاني رسول الله (ص) فقال لي: يا عليّ إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين فضقتُ بذلك ذرعاً، وعرفتُ أنّي متى أبادتهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره فصمتُ عليه حتّى جاءني جبريل، فقال: يا محمّد أنّك إلّا تفعل ما تؤمر به يُعذبك ربُّك فاصنع لنا صاعاً من طعام، واجعلْ عليه رجلُ شاةٍ، واملأ لنا عُساً من لبن ثمّ اجمع لي بني عبد المطلب، حتّى أكلهم، وأبلغهم ما أُمّرت به.

ففعلتُ ما أمرني به ثمّ دعوتهم له وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه فيهم اعمامه أبو طالب وحمزة والعبّاس وأبو لهب، فلما اجتمعوا اليه دعاني بالطعام الذي صنعتُ لهم، فجنّنتُ به فلما وضعته، تناول رسول الله (ص) حذيةً من اللحم، فشقّها بأسنانه، ثمّ القاها في نواحي الصّحفة ثمّ قال: خذوا

بسم الله فأكل القوم حتى ما لهم بشيء حاجة، وما أرى الآ موضع أيديهم وأيم الله الذي نفس علي بيده وإن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمت لجميعهم، ثم قال اسق القوم، فجثتهم بذلك العس، فشربوا منه، حتى رروا منه جميعاً وأيم الله ان كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله.

فلما أراد رسول الله (ص) ان يكلمهم بدره أبو لهب الى الكلام، فقال لهذما سحركم صاحبكم، ففترق القوم، ولم يكلمهم رسول الله (ص) فقال الغد يا علي ان هذا الرجل سبقني الى ما قد سمعت من القول، ففترق القوم قبل ان أكلمهم، فعذ لنا من الطعام بمثل ما صنعت ثم اجتمعهم الي.

قال: ففعلت، ثم جمعته ثم دعاني بالطعام فقربته لهم ففعل كما فعل بالأمس، فأكلوا حتى ما لهم بشيء به حاجة. ثم قال: اسقهم فجثتهم بذلك العس فشربوا حتى رروا منه جميعاً ثم تكلم رسول الله (ص) فقال يا بني عبد المطلب اني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بافضل مما قد جثتكم، به اني قد جثتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني الله - تعالى - أن ادعوكم اليه فأياكم يوازرني على هذا الامر على ان يكون أخي ووصي وخليفتي فيكم؟

قال فاحجم القوم عنها جميعاً وقلت واني لاحدثهم سناً وارمهم عيناً واعظمهم بظناً واحمشهم ساقاً انا يا نبي الله اكون وزيرك عليه.

فاخذ برقبتي ثم قال: ان هذا أخي ووصي وخليفتي فيكم فاسمعوا له واطيعوا

قال فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك ان تسمع لابنك وتطيع^(٤).

(٤) تاريخ الطبري ط. أوربا ١/١١٧١ - ١١٧٢. وابن عساکر تحقيق المحمدي ١/٨٨ من ترجمة الامام. وتاريخ ابن الاثير ٢/٢٢٢. وشرح ابن ابي الحديد ٣/٢٦٣. وفي تاريخ ابن كثير ٣/٣٩، وقد حذف الألفاظ وقال: كذا وكذا. وكنز العمال للمتقي ١٥/١٠٠ و١١٥ و١١٦ منه، وفي

٢ - دعوته عامة قبائل العرب:

في سيرة ابن هشام ما موجهه:

أ - قال الراوي: كان رسولُ الله (ص) يقفُ على منازل القبائل من العرب فيقول: «يا بني فلان، إني رسولُ الله إليكم، يأمركم أن تعبدوا الله ولا تُشركوا به شيئاً، وأن تخلعوا ما تعبُدون من دونه من هذه الأنداد، وأن تُؤمنوا بي وتصدّقوا بي، وتمنعوني حتى أُبينَ عن الله ما بعثني به» قال: وخلفه رجلُ أحولٍ وضىء له غديرتان^(*) عليه حُلَّةٌ عَدَنِيَّة، فإذا فرغ رسولُ الله (ص) من قوله وما دعا إليه قال ذلك الرجل: يا بني فلان، إن هذا إنما يدعوكم إلى أن تسلخوا اللاتَ والعزى من أعناقكم وحلفاءكم من الجن من بني مالك بن أقيش إلى ما جاء به من البدعة والضلالة، فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه، قال: فقلت لأبي: يا أبت، مَنْ هذا الذي يتبعه ويرد عليه ما يقول؟ قال: هذا عمه عبد العزى بن عبد المطلب أبو هب.

- ب - وفي رواية أخرى: أنه أتى كِنْدَةَ في منازلهم وفيهم سيد لهم يقال له: ملبح، فدعاهم إلى الله - عز وجل -، وعَرَضَ عليهم نفسه، فأبوا عليه.
- ج - وفي رواية: أنه أتى كلباً في منازلهم إلى بطن منهم يقال لهم: بنو عبدالله، فدعاهم إلى الله، وعرض عليهم نفسه، حتى إنه ليقول لهم «يا بني عبد الله، إن الله - عز وجل - قد أحسنَ اسمَ أبيكم».
- فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم.
- د - وفي رواية: أن رسول الله (ص) أتى بني حنيفة في منازلهم، فدعاهم

→

ص ١٣٠: يكون أخي وصاحبي ووليكم بعدي. والسيرة الحلبية نشر المكتبة الاسلامية ببيروت ٢٨٥/١.

ولهذا: كلمة تعجب. وفي الأصل: (لقدما) تحريف.

(*) غديرتان: تشبة غديرة، وهي ذؤابة من الشعر.

إلى الله، وعرض عليهم نفسه، فلم يكن أحد من العرب أقبح عليه رداً منهم.
هـ - وفي رواية: أنه أتى بنسي عامر بن صعصعة، فدعاهم إلى الله
- عز وجل - وعرض عليهم نفسه، فقال له رجل منهم يقال له ببحرة بن فراس
والله لو أني أخذتُ هذا الفتى من قريش لأكلتُ به العرب.
ثم قال له: رأيتُ إن نحن تابعنك على أمرك، ثم أظهرك الله على من
خالفك، أيقون لنا الأمر من بعدك؟ قال: «الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء».
قال: فقال له: أفنهدفُ نحورنا(*) للعرب دونك، فإذا أظهرك الله كان
الأمر لغيرنا؟! لا حاجة لنا بأمرك، فأبوا عليه، فلما صَدَرَ الناسُ رجعت بنو عامر
إلى شيخ لهم قد كانت أدركته السن حتى لا يقدر أن يوافي معهم المواسم، فكانوا
إذا رجعوا إليه حدثوه بما يكون في ذلك الموسم، فلما قدموا عليه ذلك العام سألهم
عما كان في موسمهم، فقالوا: جاءنا فتى من قريش، ثم أحد بني عبد المطلب،
يزعم أنه نبيٌّ يدعوننا إلى أن نمنعه، ونقوم معه، ونخرج به إلى بلادنا، قال: فوضع
الشيخ يديه على رأسه، ثم قال: يا بني عامر، هل لها من تلافٍ؟ هل لذنابها من
مطلب؟ والذي نفسُ فلان بيده ما تقوُّها إسماعيلُ قطُّ، وإنما الحق، فأين رأيكم
كان عنكم؟

قال ابن اسحق: فكان رسول الله (ص) على ذلك من أمره، كلما اجتمع
له الناس بالموسم أتاهم يدعو القبائل إلى الله وإلى الاسلام، ويعرض عليهم
نفسه، وما جاء به من الله من الهدى والرحمة، وهو لا يسمع بقادم يقدم مكة من
العرب له اسم وشرف إلا تصدَّى له، فدعاه إلى الله، وعرض عليه ما عنده.

* * *

هكذا كان ديدن النبي (ص) مع قبائل العرب في موسم الحج، حتى لقي
رهطاً من الخزرج، فدعاهم إلى الاسلام، وتلا عليهم القرآن، وكانوا قد سمعوا

(*) «أفنهفد نحورنا» معناه نصيرها هدفاً، والهدف: الفرض الذي يرمى بالسهم إليه.

من اليهود في المدينة خير بعثة نبي آن أوانه، فكانوا اذا كان بينهم شيء قال لليهود لهم ان نبيا مبعوث الآن قد اظل زمانه تتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وارم فلما كلمهم رسول الله ودعاهم الى الله قال بعضهم لبعض: يا قوم والله انه للنبي الذي توعدكم به يهود، فلا تسبقنكم اليه، فاجابوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام فلما قدموا المدينة الى قومهم ذكروا لهم امر رسول الله (ص) ودعاهم الى الاسلام حتى فشى فيهم، فلم تبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر رسول الله (ص)، حتى اذا كان العام المقبل وافي الموسم منهم اثنا عشر رجلاً، فلقوه في العقبة، فبايعوه على بيعة النساء على السمع والطاعة، وذلك قبل ان يفترض الحرب وبعث معهم النبي مصعب بن عمير يقرئهم القرآن، ويعلمهم الاسلام ويفقههم في الدين، حتى اذا كان العام المقبل خرج الى الحج من المدينة المشركون منهم والمسلمون، فاجتمع المسلمون منهم بالنبي وواعدهم العقبة فتسلل منهم ثلاثة وسبعون رجلاً ومعهم امرأتان فبايعه الرجال بيعة الحرب وهي بيعة العقبة الثانية، واتخذ منهم اثنا عشر نقيباً، فلما قدموا المدينة انشتر فيها الاسلام فاذن الله - تبارك وتعالى - لرسوله (ص) في الهجرة الى المدينة^(٥).

(٥) سيرة ابن هشام ط. الحجازي بالقاهرة ٢/٣١ - ٧٦.

رابعاً - مقابلة قريش للقرآن الكريم:

أخبر الله سبحانه عن استهزاء قريش برسول الله (ص) وقال في سورة الأنبياء:

﴿ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ يَذْكُرِ الرَّحْمَنَ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ (الآية/٣٦)

وأخبر عن قريش انهم كانوا يصفون الرسول (ص) بانه شاعر ومجنون وقال: في سورة الصافات:

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ إِنَّا لَتَأْرِكُوا آلِهَتَنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾ (الآيات/٣٥ - ٣٦)

وانهم كانوا يقولون ان القرآن قول شيطان رجيم كما أخبر عن ذلك في سورة التكوير قوله تعالى:

﴿ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ * وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْأَمِينِ * وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ * فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ * إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ (الآيات/٢٢ - ٢٧)

وأخبر عنهم أنهم كانوا يصفون الرسول بانه رجل مسحور وقال تعالى في سورة الاسراء:

﴿ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴾ * نَحْنُ أَعْلَمُ
بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا
رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿ (الآيات / ٤٦ - ٤٧)

* * *

كان هذا النوع من المقابلة للقرآن الكريم من باب ﴿...وَجَحَدُوا بِهَا
وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا...﴾ (النمل/١٤) مع شعورهم بعجزهم عن
مقابلة القرآن الكريم كما ندرس ذلك في ما يأتي:

أ - قريش تتشاور كيف تمنع تأثير القرآن في النفوس:

ذكر ابن هشام^(٦) وغيره واللفظ لابن هشام في خبر تحير الوليد بن المغيرة
فيما يصف به القرآن وقال: اجتمع اليه نفر من قريش، وكان ذا سن فيهم، وقد
حضر الموسم، فقال لهم: يا معشر قريش، إنه قد حضر هذا الموسم، وإن وفود
العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فاجمعوا فيه رأياً واحداً
ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً، ويرد قولكم بعضه بعضاً.

قالوا: فأنت يا أبا عبد شمس، فقل وأقم لنا رأياً نقل به: قال بل أنتم
فقولوا أسمع؛ قالوا: نقول كاهن؛ قال لا والله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهان فما
هو بزمزة^(٧) الكاهن ولا سجعه؛ قالوا: فنقول: مجنون؛ قال: ما هو بمجنون. لقد
رأينا الجنون وعرفناه، فما هو بختفه ولا تخالجه ولا وسوسته؛ قالوا: فنقول: شاعر؛
قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه
ومبسوطه، فما هو بالشعر؛ قالوا: فنقول: ساحر؛ قال: ما هو بساحر، لقد رأينا

(٦) سيرة ابن هشام ٢٨٣/١ - ٢٨٤، وابن اسحاق ص ١٣١ - ١٣٢.

(٧) الزمزمة: الكلام الخفي الذي لا يسمع.

السحار وسحرهم، فما هو بنفثهم ولا عقدهم^(٨).

قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس؟

قال: والله إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لعذق^(٩) - وإن فرعه لجناة - قال ابن هشام: ويقال لعذق^(١٠) وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل، وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا ساحر، جاء يقول هو سحر يفرق به بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته. فتفرقوا عنه بذلك، فجعلوا يجلسون بسبيل الناس حين قدموا الموسم، لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه، وذكروا لهم أمره فأنزل الله - تعالى - في الوليد بن المغيرة وفي ذلك من قوله:

﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا * وَبَيَّنَّ شُهُدَا *
وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا * ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ * كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا * سَأْرِهْقُهُ
صُعُودًا * إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قَبِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ
عَبَسَ وَوَسَّرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَأَسْتَكْبَرَ * فَفَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ * إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ
الْبَشَرِ * سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾ (الآيات/ ١١ - ٢٦)

قريش تقترح حلاً وسطاً بينهم وبين الرسول (ص)

ومرة أخرى اقترحت حلاً وسطاً بينهم وبين الرسول في عبادة الالهة كما رواه المفسرون وفي تفسير (سورة الكافرون) وابن هشام في السيرة والملفظ لابن هشام.

(٨) إشارة إلى ما كان يفعل الساحر بأن يعقد خيطاً ثم ينفث فيه. ومنه قوله تعالى ﴿ومن

شر النفاثات في المقد﴾، يعني الساحرات.

(٩) العذق (بالفتح): النخلة يشبهه بالنخلة التي ثبت أصلها وقوي وطاب فرعها إذا جنى.

(١٠) العذق: الماء الكثير، ومنه يقال: غيدق الرجل: إذا كثر بصاقه. وكان أحد أجداد

النبي (ص) يسمى الغيدق، لكثرة عطائه.

قال: الاسود بن المطلّب والوليد بن المغيرة وأمّية بن خلف والعاص بن وائل السهمي اعترضوا رسول الله (ص) وهو يطوف بالكعبة وكانوا ذوي اسنان في قومهم، فقالوا: يا محمد هلم، فلنعبد ما تعبد، وتعبد ما نعبد، فنشترك نحن وأنت في الأمر فان كان الذي تعبد خيراً مما نعبد، كنا قد أخذنا بحظنا منه، وان كان ما نعبد خيراً مما تعبد كنت قد أخذت بحظك منه فأنزل الله في ردّ اقتراحهم الجاهلي^(١١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ *
وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾
* * *

ب - تعنت قريش برسول الله (ص)

مرّة أخرى اجتمعت سادة قريش برسول الله (ص) في البيت وحاولت أن تقنعه بترك الدعوة وحاوروه بعنف وغلظة وسوء أدب كما ذكره في الخبر الآتي:

روى الطبري وابن كثير والسيوطي في تفسير قوله تعالى ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ...﴾ من سورة الاسراء الآيات/ ٩٠ - ٩٣ واللفظ للأول:

ان عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبا سفيان بن حرب ورجلاً من بني عبد الدار وأبا البخترى أخوا بني أسد والاسود بن المطلّب وزمعة بن الأسود والوليد بن المغيرة وأبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية وأمّية بن خلف والعاص بن وائل ونبيها ومنبها ابني الحجاج السهميين اجتمعوا أو من اجتمع منهم بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة، فقال بعضهم لبعض: ابعثوا الى محمد فكلّموه

(١١) تفسير السورة في التفاسير واللفظ لابن هشام في السيرة ١/٣٨٦.

وخاصموه حتى تعذروا فيه، فبعثوا اليه ان اشراف قومك قد اجتمعوا اليك ليكلموك فجاءهم رسول الله (ص) سريعاً وهو يظن أنه بدا لهم في أمره بداء وكان عليهم حريصاً يحب رشدهم، ويعز عليه عنتهم، حتى جلس اليهم. فقالوا: يا محمد انا قد بعثنا اليك لنعذر فيك، وانا والله ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك، لقد شتمت الآباء، وعبت الدين وسفهت الاحلام، وشتمت الالهة، وفرقت الجماعة، فما بقي أمر قبيح الا وقد جنته فما بيننا وبينك.

فان كنت انها جئت بهذا الحديث تطلب مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً.

وان كنت انها تطلب الشرف فينا سودناك علينا.

وان كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا.

وان كان هذا الذي يأتيك بها يأتيك به رثيا تراه قد غلب عليك وكانوا يسمون التابع من الجن الرثي فربما كان ذلك، بذلنا أموالنا في طلب الطب لك. حتى نبرئك منه أو نعذر فيك.

فقال رسول الله (ص): ما بي ما تقولون، ما جنتكم بما جنتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني اليكم رسولاً، وأنزل عليّ كتاباً وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً فبلغتكم رسالة ربي، ونصحت لكم فان تقبلوا مني ما جنتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وان تردوه عليّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم.

فقالوا: يا محمد فان كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيّق بلاداً ولا أقل مالا ولا أشد عيشاً منا فسل ربك الذي بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا ويبسط لنا بلادنا وليفجر فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى من آبائنا، وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصي بن كلاب، فانه كان شيخاً صدوقاً، فنسألهم

عما تقول حق هو أم باطل فان صنعت ما سألتك وصدقك صدقتك وعرفنا به منزلتك عند الله وأنه بعثك بالحق رسولا كما تقول.

فقال لهم رسول الله (ص): ما بهذا بعثت، انما جئتمكم من الله بما بعثني به فقد بلغتكم ما أرسلت به اليكم، فان تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة وان تردوه عليّ أصبر لامر الله، حتى يحكم الله بيني وبينكم.

قالوا: فان لم تفعل لنا هذا فخذ لنفسك، فسل ربك أن يبعث ملكا يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك وتسأله فيجعل لك جنانا وكنوزاً وقصوراً من ذهب وفضة ويغنيك بها عما نراك تبتغي فانك تقوم بالاسواق وتلمس المعاش كما نلتمسه حتى نعرف فضل منزلتك من ربك ان كنت رسولاً كما تزعم.

فقال لهم رسول الله (ص): ما أنا بقاعل ما أنا بالذي يسأل ربه هذا وما بعث اليكم بهذا ولكن الله بعثني بشيراً ونذيراً فان تقبلوا ما جئتمكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وان تردوه عليّ اصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم.

قالوا فأسقط السماء علينا كسفا كما زعمت أن ربك ان شاء فعل فاننا لا نؤمن لك إلا أن تفعل.

فقال رسول الله (ص): ذلك الى الله ان شاء فعل بكم ذلك.

فقالوا يا محمد فاعلم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألتك عنه ونطلب منك ما نطلب فيتقدم اليك ويعلمك ما تراجعنا به ويخبرك ما هو صانع في ذلك أيضا اذا لم تقبل منا ما جئنا به فقد بلغنا أنه انما يعلمك هذا رجل باليامة يقال له الرحمن وانا والله ما نؤمن بالرحمن أبداً أعذرنا اليك يا محمد أما والله لا نتركك وما بلغت بنا حتى نهلكك أو تهلكنا.

قال قائلهم نحن نعبد الملائكة وهن بنات الله وقال قائلهم لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا فلما قالوا ذلك قام رسول الله (ص) عنهم وقام معه عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وهو ابن

عمته ابن عاتكة ابنة عبد المطلب فقال له: يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ثم سألوك لأنفسهم أموراً ليعرفوا منزلتك من الله فلم تفعل ذلك ثم سألوك أن تعجل ما تخوفهم به من العذاب فوالله لا أومن لك أبداً حتى تتخذ الى السماء سلماً ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها وتأتي معك بنسخة منشورة معك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول وايم الله لو فعلت ذلك لظننت أن لا أصدقك ثم انصرف عن رسول الله (ص) وانصرف رسول الله (ص) الى أهله حزيناً أسيفاً لما فاته مما كان يطمع فيه من قومه حين دعوه ولما رأى من مبادئهم اياه.

فلما قام عنهم رسول الله (ص) قال أبو جهل: يا معشر قريش ان محمداً قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا و شتم آباءنا و تسفيه أعلامنا و سب آهتنا و إني أعاهد الله لأجلسن له غداً بحجر قدر ما أطيق حمله فاذا سجد في صلاته فضخت رأسه به^(١٢).

فانزل الله عليه في ذلك: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ ... بَشَرًا رَسُولًا﴾ وأنزل عليه في قولهم (لن نؤمن بالرحمن) ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ﴾ وأنزل عليه فيما سأله قومه لانفسهم من تسيير الجبال وتقطيع الجبال وبعث من مضى من آباءهم من الموتى ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ ...﴾. وأخبر الله عن تعنتهم برسول الله (ص) في سورة الاسراء وقال سبحانه وتعالى:

﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا * وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا * وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ

(١٢) تفسير الآية بتفسير الطبري ١١٥/١١٠ - ١١١، وتفصيله في سيرة ابن اسحاق

ص ١٧٨ - ١٨١، وتفسير ابن كثير ٦٢/٣.

يَبُوعاً * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَعِنَبٍ فَتَقْبِجُهَا لَإِنهَارٍ خَلَالَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا مِثْلَ بَسُوفٍ أَوْ تَأْتِي بَالِلِهِ وَالْمَلَائِكَةَ قَبِيلًا * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُفَيْكَ حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا * وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا * قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَّمشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا * قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٣٢﴾ (الآيات/٨٨ - ٩٦) (١٣٢)

واستمرت قريش في تعنتها برسول الله كما أخبر الله عن موقفهم في آيات كثيرة منها قوله تعالى في سورة الفرقان:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا * الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدْرَهُ تَقْدِيرًا * وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا * ... وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا * أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كِتَابٌ أَوْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مُّسْحُورًا * ... وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا * ... وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿١٣٢﴾

(الآيات/١ - ٣ و ٧ - ٨ و ٢٠ و ٢٢)

وقوله تعالى في سورة الانعام:

(١٣٢) انظر تفسير الآية من التفاسير وسيرة ابن هشام ١/٣٣١ - ٣٣٢.

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ * وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَاً لَقَضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يَنْظُرُونَ * وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكَاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ * وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئُوا بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ * قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ ﴾ (الآيات/ ٧ - ١١)

* * *

لم تنجح جميع محاولات قريش في اسكات الرسول عن الدعوة إلى القرآن بما فيه من عيب لاهتهم وتسفيه لاحلامهم فاشتدت خصومتهم للرسول وقرآنه كما نذكر امثلة منها في ما يأتي بحوله تعالى.

اشتداد الخصومة الفكرية بين قريش والرسول (ص):.

قص الله أخبار خصومة قريش مع القرآن ومبلغه واحتجاجهم الواهي وكيف أجاب عنها في الآيات الآتية:
أ - أخبر عن تعنتهم في سورة ص وقال:

﴿ وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ * أَجْعَلِ الْأَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ * وَأَنْطَلِقُ الْأَمَلُ مِنْهُمْ أَنْ أَمْشُوا وَأَضْبِرُوا عَلَيَّ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْأُمَّةِ الْأَخِرَةِ إِنَّ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ * أَنْزِلْ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُوقُوا عَذَابٌ ﴾ (الآيات/ ٤ - ٨).

وروى الطبري وغيره في شأن نزول الآيات واللفظ للطبري قال:

إن ناساً من قريش اجتمعوا، فيهم أبو جهل بن هشام والعاص بن وائل والأسود بن المطلب والأسود بن عبد يغوث في نفر من مشيخة قريش فقال بعضهم لبعض، انطلقوا بنا إلى أبي طالب، فنكلمه فيه، فلي نصفنا منه، فليكف

عن شتم آهتنا وندعه والنهه الذي يعبد، فإتنا نخاف أن يموت هذا الشيخ فيكون منا شيء فتعيرنا العرب يقولون تركوه حتى إذا مات عمه تناولوه فبعثوا رجلاً منهم يسمي المطلب فاستأذن لهم على أبي طالب فقال هؤلاء مشيخة قومك وسرواتهم يستأذنون عليك قال أدخلهم فلما دخلوا عليه قالوا يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا فانصفنا من ابن أخيك فمره فليكيف عن شتم آهتنا وندعه والهه فبعث إليه أبو طالب فلما دخل عليه رسول الله (ص) قال يا ابن أخي هؤلاء مشيخة قومك وسرواتهم قد سألك النصف أن تكف عن شتم آهتهم ويدعوك والهك فقال أي عم أولاً أدعوهم إلى ما هو خير لهم منها قال والإم تدعوهم قال أدعوهم إلى أن يتكلموا بكلمة يدين لهم بها العرب ويملكون بها العجم فقال أبو جهل من بين القوم ماهي وأبيك فنعطينكها وعشر أمثالها قال تقول «لا اله إلا الله» فنفروا وقالوا سلنا غير هذه قال لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي ما سألتكم غيرها ففضبوا وقاموا من عنده غضابا وقالوا والله لنشتمنك وإلهك الذي يأمرك بهذا:

﴿ وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا وَأَصْبَرُوا عَلَى الْهَيْتِكُمْ إِنْ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴾ (الآيات ٦ - ٧) ^(١٤).

وأيا أخبر الله تعالى عن تعنتهم في الآيات/٤٣ - ٤٥ من سورة سبأ وقال:

﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ أَبَاؤَكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرٍ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ * وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ

(١٤) تاريخ الطبري ط. دار المعارف بمصر ٣٢٣/٢ - ٣٢٤، وط. اوربا ١١٧٦/١ -

١١٧٧، والسيوطي ٢٩٥/٥ - ٢٩٦، وصحيح الترمذي كتاب التفسير ١٠٩/١٢ - ١١٠.

نَذِيرٍ * وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ
كَانَ نَكِيرٍ ﴿

وأجاب الله عن مثل هذا النوع من التحجج وأقام البراهين على عجز
أهنتهم وصحة رسالة خاتم الأنبياء في آيات كثيرة نورد بعضها في ما يأتي بحوله
تعالى:

ب - قال سبحانه في اثبات التوحيد ونفي الآلهة التي يعبدونها في الآية
١٠ و ١١ من سورة لقمان:

﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ
وَيَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ *
هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴿

وقال في الآية ٤ و ٥ من سورة الأحقاف:

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ
شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ اتَّبِعُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ * وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ
وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿

وقوله تعالى في الآية ٣ من سورة الفرقان:

﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ
ضَرّاً وَلَا نَفْعاً وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُوراً ﴿ (الآية/٣)

ووصفهم في الآية ٢١ من سورة النحل وقال:

﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿

وأخبر أنهم ومن معهم لن يستطيعوا أن يأتوا بمثل هذا القرآن وقال

سبحانه في سورة البقرة:

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (الآيات/ ٢٣ - ٢٤)

ولم يستطع مشركو قريش ولا الدهريون ولا الزنادقة والملحدون ولا اليهود ولا النصارى ولا أي خصم آخر أن يأتوا بمثل هذا القرآن ولن يفعلوا أبد الدهر ولن يأتوا بمثل هذا القرآن ولو كان الخصوم بعضهم لبعض ظهيراً. وتحداهم سبحانه في قولهم إن القرآن مفترى أن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات إن كانوا صادقين. وقال سبحانه في سورة هود:

﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضُ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كِتَابٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (الآيات/ ١٢ - ١٤)

وفي آية أخرى تحداهم بأن يأتوا بسورة مثله وقال في سورة يونس:

﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ * وَ مِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴾ (الآيات/ ٣٧ - ٤٠)

ج - وأجاب عن تشكيكهم في المعاد في الآيات ٧٨ - ٨٣ من آخر سورة ياسين وقال سبحانه وتعالى:

﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ * أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ * إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾

روى المفسرون وقالوا: أنزل الله تعالى هذه الآيات الكريمة بعد أن قدم العاص بن وائل وأبو جهل وغيرهما من عتاة قريش بعظم حائل أمام الرسول (ص) فذراه في الريح وقال من يحيي العظام وهي رميم؟ وفي رواية أتى أبي بن خلف إلى النبي (ص) ومعه عظم قد وتر فجعل يفته بين أصابعه ويقول: يا محمد! أنت الذي تحدث إن هذا سيحيا بعدما قد بلي فقال رسول الله (ص) نعم ليميتن الآخر - أي يميتن ايبا - ثم ليحيينه ثم ليدخلنه النار^(١٥).

* * *

وأندحرت قريش في مقابل الأدلة التي أقامها القرآن لهم فتحججوا واقترحوا اقتراحات غير معقولة كالآتي خبره:

مقابلات أخرى من قريش واستهزاء بالرسول (ص) ودعوته وكان خمسة من عتاة قريش دائبين على الاستهزاء برسول الله (ص) منهم العاص بن وائل السهمي وكان إذا ذكر رسول الله (ص) يقول: دعوه فإننا هو رجل أبتّر لاعقب له لو مات لانقطع ذكره واسترحتم منه وأنزل الله في حقه سورة الكوثر وقال سبحانه:

(١٥) تفسیر السورة فی الطبری ٢٣/٢١، والدر المنثور ٥/٢٦٩ - ٢٧٠.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْخَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾^(١٦)

وقالوا له الأبتَر بعد موت ابنه القاسم بمكة. والكوثر: العدد الكثير^(١٧)
وقد صدق الله وعده لرسوله فإنه لا يعرف اليوم نسل للعاص بن وائل
وأكثر الله نسل رسوله (ص) من ابنته فاطمة (ع) على وجه الأرض.

نهاية أمر المستهزئين:

قال ابن إسحاق ما موجزه:

فأقام رسول الله (ص) على أمر الله صابراً محتسباً مؤدياً إلى قومه
النصيحة على ما يلقي منهم من التكذيب... فلما تادوا في الشبر وأكثروا الاستهزاء
برسول الله (ص) أنزل الله - تعالى - عليه:

﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ *
الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ... ﴾ (الحجر/٩٤ - ٩٦).

ثم روى ابن إسحاق كيف أهلك جبرائيل كل واحد من المستهزئين^(١٨)
وقال:

أن جبرئيل أتى رسول الله (ص) وهم يطوفون بالبيت، فقام وقام رسول
الله (ص) إلى جنبه، فمرَّ به الأسود بن المطلب، فرمى في وجهه بورقة خضراء
فعمي، ومرَّ به الأسود بن عبد يغوث، فأشار إلى بطنه فاستسقى [بطنه] فمات

(١٦) سيرة ابن هشام ٤٢١/١ ط. القاهرة. وتفسير سورة الكوثر بتفسير الطبري

٢١٢/٣٠ واللفظ للاول، وسيرة ابن اسحاق ص ٢٥٢ - ٢٥٣.

(١٧) تفسير الابتر والكوثر من المعجم الوسيط في اللفظة.

(١٨) سيرة ابن هشام ١٥/٢ - ١٨ ط. القاهرة وتفسير السور في كتب تفسير القرآن

بالحديث، وسيرة ابن اسحاق ص ٢٥٤.

منه حَبنا^(١٩)؛ ومر به الوليد بن المغيرة فأشار الى أثر جرح بأسفل كعب رجله كان اصابه قبل ذلك بسنين وهو يجير سبله^(٢٠) وذلك أنه مرَّ برجل من خزاعة وهو يريش نبلاً له فتعلق سهم من نبله بازاره فخدش في رجله ذلك الخدش، وليس بشيء، فانتقض^(٢١) به فقتله؛ ومرَّ به العاص بن وائل فأشار الى أخص رجله، فخرج على حمار له يريد الطائف فربض به على شبرقة^(٢٢) فدخلت في أخص رجله شوكة فقتلته، ومرَّ به الحرث ابن الطلائة فأشار الى رأسه فامتخص قيحاً فقتله.

(١٩) الحين: بحاء مهملة وبفتحتين، داء في البطن ينتفخ منه ويعظم فيرم.

(٢٠) سبله: بفتح السين والباء الموحدة، فضول ثيابه. و(بسنين) في سيرة ابن اسحاق كذا:

بيسير.

(٢١) انتقض المرح: تجدد بعدما دمل وبرىء.

(٢٢) شبرقة: بكسرتين بينها باء ساكنة، هو نبات ذو شوك يقال له الضريع، وفي المواهب

«فدخلت فيه شوكة من رطب الضريع».

خامساً - سياسة النبي في أمر القراءة والاقراء:

وفي مقابل كل ذلك الاستهزاء كان رسول الله (ص) والمسلمون الاوائل لا يألون جهداً في اسماع القرآن لكل من أمكنهم اسماعه وفي ما يأتي امثلة من أنواع الجهد الذي بذلوه في هذا السبيل:

إن الرسول بدأ اسماح الناس للقرآن وتبليغهم وانذارهم بالقرآن واقتدى به المسلمون الأوائل في ذلك اما الرسول فقد كان يسمع القرآن لكل سامع يمر عليه عندما كان يتلو القرآن في صلاته في المسجد الحرام بمنظر ومسمع من قريش في أنديتهم حول الكعبة ومنظر ومسمع من شتى قبائل العرب التي وفد الى مكة للحج وتطوف حول البيت وعندما تنزل الآيات في رد احتجاج المشركين على رسول الله واختلف معاصرو رسول الله في مقابلتهم لقراءة الرسول فمنهم المشركون الذين أخبر الله عن قولهم وقال سبحانه:

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾
(فصلت/٢٦).

ومنهم من أخبر الله عنهم وقال سبحانه:

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (المائدة/٨٣).
مثل عداس النصراني في الطائف^(٢٣).

(٢٣) سيرة ابن هشام ٢/٣٠ - ٣٦، وترجمته في أسد الغابة ط. القاهرة سنة ١٣٩٠هـ - ٤/٤

ومن الجن - ايضاً - كما أخبر الله عنهم وقال:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا * ... وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهَدَىٰ آمَنَّا بِهِ ﴾ (الجن/ ١ - ٢ و ١٣).

* * *

كذلكم اختلف الذين سمعوا القرآن من النبي (ص) أما أمر كيفية إقراء القرآن، فكالاتي خبره:

كيفية الإقراء:

أ - اقراء الله جل اسمه لرسوله (ص):

قد بين الله كيفية إقراءه لرسوله والنظام الذي يتبعه الرسول في تلقي القرآن في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ (القيامة/ ١٧ - ١٩).

أي: إن النصّ القرآني مع بيان معناه بوحى غير قرآني ينزل من الله على رسوله (ص) فاذا تم نزوله على النبي (ص) أن يتابع قراءته.

وان على الله جمع القرآن بكل ما لجمع القرآن من معنى ووعد الرسول بأنه سوف لا ينسى القرآن الذي يُقرئه الله وقال: ﴿ سَنَقْرُوكَ فَلَا تَنْسَى ﴾ والإقراء تعليم اللفظ والمعنى معاً. وتضميناً لحفظ القرآن أبد الدهر من النسيان فرض الله على الجميع قراءة القرآن في كل ركعة من صلوات الفريضة والنافلة وقال:

→
الترجمة ٣٥٩٧، والاصابة ٤٥٩/٢ الترجمة ٥٤٧٠.

﴿ أقم الصلاة لذلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً ﴾ (الاسراء/٧٨).

وفرض على رسوله (ص) خاصة قيام الليل وشرفه بالخطاب وقال له:

﴿ يَا أَيُّهَا الْمَزْمُلُ * قم الليل إلا قليلاً * نصفه أو انقص منه قليلاً * أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلاً ﴾

هكذا فرض الله على نبيه إحياء ثلث من كل ليلة عمره في ترتيل القرآن في نافلة الليل وندب المسلمين إلى ذلك^(٢٤).

وفي شهر رمضان من كل عام كان جبريل يعارض الرسول القرآن مرة أي ان جبريل كان يقرأ ما نزل من القرآن الى ذلك التاريخ على رسول الله (ص) مرة ورسول الله - أيضاً - كان يقرأه عليه، وفي عام وفاته عارضه القرآن مرتين^(٢٥).

ب- إقراء الرسول (ص) للناس:

وحقق ذلك أولاً في اقراءه من آمن به في مرحلة الدعوة الخاصة حيث آمن به خديجة وعلي فاقراها القرآن وصليا معه وبعد ما يقارب ثلاث سنوات انتهت الدعوة الخاصة عندما نزلت على رسول الله (ص) ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ فدعا عامة اقربائه ثم تلا ذلك نزول قوله تعالى عليه: ﴿ ... وَأَوْحِي إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغ... ﴾ (الانعام/١٩).

وقد تولى نزول القرآن بعد ذلك على رسول الله (ص) في مكة والمدينة،

(٢٤) راجع استحباب صلوات النوافل وخاصة نافلة الليل في كتب الحديث.

(٢٥) مستند احمد ٢٨٢/٦، وسنن ابن ماجه ص ٥٦٨ الحديث ١٦٢١ كتاب الجنائز باب

ما جاء في ذكر مرض رسول الله (ص)، وجاء بعض الحديث في صحيح مسلم فضائل الصحابة ١٩٠٥/٤ الحديث ٩٨ و ٩٩.

وكان لا بد في الدعوة؛ من اقراء المؤمنين سرّاً ومن أجل ذلك نظم الرسول (ص) خلايا سرية لاقراء المستضعفين القرآن كالآتي بيانه.

اتخذ الرسول (ص) من دار الارقم بن أبي الارقم مركزاً سرّياً للاقراء والارقم هو أبو عبد الله بن عبد مناف المخزومي. أسلم قديماً وكان السابع أو الثاني عشر ممن أسلم وشهد مع رسول الله بدرًا وما بعدها وتوفي بالمدينة سنة خمسة وخمسين من الهجرة وكانت داره في أصل الصفا بمكة وكان المسلمون الاوائل يجتمعون فيها برسول الله (ص) يقرئهم القرآن.

قال ابن سعد وغيره بترجمة عمر بن الخطاب وخبر اسلامه، وأسلم فيها (دار الارقم) قوم كثير ودعيت دار الاسلام.

قال المؤلف:

وتفرعت من هذه الخلية خلايا أخرى صغيرة بمكة كان منها: دار سعيد ابن زيد بن نفيل العدوي كما تحدث عنها الصحابي الخليفة عمر بن الخطاب وقال في حديثه عن خبر إسلامه إنه سمع بإسلام أخته فاطمة بنت الخطاب وزوجها سعيد بن زيد، فذهب إلى دارهما، قال:

وقد كان رسول الله (ص) يجمع الرجل والرجلين إذا أسلما عند رجل به قوة فيكونان معه ويصبيان من طعامه وقد كان ضمّ إلى زوج أختي رجلين، قال: فجئت حتى قرعت الباب فقيل: من هذا؟ قلت: ابن الخطاب، قال: وكان القوم جلوساً يقرؤون القرآن في صحيفة معهم فلما سمعوا صوتي تبادروا واختفوا وتركوا أو نسوا الصحيفة من أيديهم، قال: فقامت المرأة ففتحت لي فقلت يا عدوة نفسها قد بلغني أنك صبوت قال فأرفع شيئاً في يدي فأضربها به قال فسأل الدم، قال: فلما رأيت المرأة الدم بكت، ثم قالت: يا ابن الخطاب ما كنت فاعلاً فافعل فقد أسلمت! قال: فدخلت مغضباً فجلست على السرير، فنظرت، فإذا بكتاب في ناحية البيت، فقلت: ما هذا الكتاب اعطينيه، فقالت: لا أعطيك لست من أهله، أنت لا تتغسل من الجنابة، ولا تطهر، وهذا ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾

قال فلم أزل بها حتى أعطتني فإذا فيه ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فلما مررت بـ (الرحمن الرحيم) ذعرت ورميت بالصحيفة من يدي قال: ثم رجعت إلى نفسي فإذا فيها ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، قال: فكلما مررت باسم من أسماء الله عز وجل ذعرت ثم ترجع إلي نفسي حتى بلغت: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْقُضُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾ حتى بلغت إلى قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ قال: قلت أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله (ص) (٢٦).

وفي رواية ابن سعد و ابن هشام و اللفظ للأخير قال: كان خباب بن الأرت يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن - إلى قوله: فرجع عمر إلى أخته وختنه وعندها خباب بن الأرت معه صحيفة فيها طه يقرئها إياها فلما سمعوا حسَّ عمر تغيب خباب في بعض البيت وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها إلى قوله - فأعطته الصحيفة وفيها (طه) - الحديث (٢٧).

* * *

قال الصحابي عمر، كان رسول الله (ص) «يجمع الرجل أو الرجلين إذا أسلما عند الرجل به قوة» وهذا ما سميناه بتشكيل الخلايا السرية لإقراء القرآن كما وجدنا خباب بن الارت يقرئ فاطمة وزوجها القرآن عندما اقتحم الدار عليهم عمر بن الخطاب، وكان شغل المسلمين الشاغل يومذاك حفظ القرآن عن

(٢٦) أسد الغابة بترجمة عمر بن الخطاب، ٤ / ١٤٧ - ١٤٨، رقم الترجمة ٣٨٢٣.

(٢٧) طبقات ابن سعد بترجمة عمر، وسيرة ابن هشام (اسلام عمر) ط. مصر سنة ١٣٥٦.

١ / ٣٦٦ - ٣٦٧؛ وسيرة ابن اسحاق، اسلام عمر بن الخطاب، ص ١٦٠. وخاباب بن الارت التميمي نسباً ومن حلفاء بني زهرة من قريش كان قينا يعمل السيوف في الجاهلية وكان من السابقين إلى الاسلام ومن عذبه قريش على اسلامه شهد بدماء والمشاهد كلها مع رسول الله (ص) وكان مع علي في خلافته (ت: ٣٧هـ) بعد مرض طويل راجع ترجمته في أسد الغابة وغيره.

ظهر قلب واليكم خبرين يدلان على حفظهم القرآن عن ظهر قلب.

خبر اجهار ابن مسعود بقراءة القرآن:

ومن الذين استمعوا إلى القرآن، وآمنوا به في المرحلتين الأخيرتين من اقتدى بالرسول في إسراع القرآن للناس مثل عبد الله بن مسعود. روى ابن عبد البر وابن الاثير وابن حجر وغيرهم في ترجمة عبد الله بن مسعود من كتب تراجم الصحابة، وكذلك روى في كتب التاريخ كل من الطبري وابن الأثير وابن كثير وغيره في ذكر حوادث قبل هجرة المسلمين الأولى إلى الحبشة وقالوا:

كان أول من جهر بالقرآن بمكة بعد رسول الله (ص) عبد الله بن مسعود وذلك لأنه اجتمع يوماً أصحاب رسول الله (ص)، فقالوا: والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط فمن رجل يسمعهم فقال عبد الله بن مسعود أنا. فقالوا: إنا نخشاهم عليك إنها تريد رجلاً له عشيرة تمنعه من القوم إن أرادوه. فقال: دعوني فإن الله سيمنعني فغدا عبد الله حتى أتى المقام في الضحى وقريش في أنديتها، حتى قام عند المقام، فقال رافعاً صوته: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾

فاستقبلها فقرأ بها فتأملوا فجعلا يقولون ما يقول ابن ام عبد ثم قالوا: انه ليتلو بعض ما جاء به محمد فقاموا فجعلا يضربون في وجهه وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله ان يبلغ ثم انصرف إلى أصحابه، وقد أثروا بوجهه فقالوا: هذا الذي خشينا عليك.

فقال ما كان أعداء الله قط أهون عليّ منهم الآن ولئن شتمت غاديتهم بمثلها غداً. قالوا: حسبك قد أسمعتهم ما يكرهون^(٢٨).

(٢٨) أسد الغابة ٣/٢٥٦ ٢٥٧، والاصابة ٢/٣٦١، وطبقات ابن سعد ٣/١١٧، والطبري

عليهم وتعذيبهم المسلمين.

فكان لابد له من القيام بأداء هذا الواجب سرّاً ومن أجل ذلك نظّم
خلايا سرّية لإقراء المستضعفين، القرآن كما مر بنا خبره. وفيما يأتي ندرس بأذنه
- تعالى - خبر تدوين القرآن بمكّة.

سادساً - تدوين القرآن

أ - من كان يقرأ ويكتب في مكة:

ويندأ فيه بذكر أمر الكتابة في مكة قبل نزول القرآن ثم تذكر باذنه تعالى شأن تدوين القرآن بمكة.

أمر الكتابة في مكة قبل نزول القرآن.

قال البلاذري في فتوح البلدان:

دخل الاسلام وفي قريش سبعة عشر رجلاً كلهم يكتب وهم: عمر بن الخطاب، وعليُّ بن ابي طالب، وعثمان بن عفان وأبو عبيدة بن الجراح وطلحة ويزيد بن ابي سفيان، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة، وحاطب بن عمرو وأخو سهيل بن عمرو العامري من قريش، وأبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي، وأبان بن سعيد بن العاصي بن أمية، وخالد بن سعيد أخوه، وعبد الله بن سعد بن ابي سرح العامري، وحويطب بن عبد العزى العامري، وأبو سفيان، وجُهيم بن الصلت بن مخزومة بن المطلب بن عبد مناف، ومن حلفاء قريش العلاء بن الحضرمي^(٢٩).

أما أمر تدوين القرآن، فان النظام الذي كان قد سنه الرسول (ص)

(٢٩) فتوح البلدان للبلاذري ط. بيروت دار النشر للجامعيين سنة ١٣٧٧هـ ص ٦٦٠ -

لتدوين القرآن في مكة والمدينة كان امرأً واحداً وسوف ندرس نظام تدوين القرآن في أخبار القرآن في المدينة ان شاء الله تعالى.

ب - كيفية الإقراء :

ينقسم قراءة القرآن وتدوينه في العصر المكي إلى ما يخص الرسول (ص) وما يعمّ المسلمين كالأتي بيانه:

١ - ما يخص الرسول (ص):

إن أول ما أقرأ الله - جلّ جلاله - رسوله (ص) من القرآن الكريم الآيات الخمس الأولى من سورة اقرأ حيث قال سبحانه:

أ - في سورة العلق:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾

ب - في سورة الأعلى:

﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾

ح - في سورة القيامة:

﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتُعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾

وفي صحيح مسلم و البخاري واللفظ للأول^(٣٠): بسندهما عن فاطمة إن رسول الله (ص) قال لها - في مرض وفاته -: إن جبريل كان يعارضه بالقرآن

(٣٠) صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة باب فضائل فاطمة (ع) الحديث رقم ٩٨ و ٩٩
١٩٠٥/٤، وصحيح البخاري ١٥٦/٣، كتاب فضائل القرآن باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي (ص)، ومسنند احمد ٢٨٢/٦، وسنن ابن ماجه كتاب الجنائز باب ما جاء في ذكر مرض رسول الله (ص) ص ٥١٨ الحديث ١٦٢١.

كلّ عام مرّة وآته عارضه به في العام مرتين، ولا أراني إلا قد حضر أجلي.
كان ذلكم أمر إقراء الله - جلّ اسمه - نبيّه الكريم (ص) القرآن سواء
كان في مكّة أو في المدينة.

٢ - ما يعمّ المسلمين بمكّة:

من خبر إقراء خباب بن الأرت فاطمة أخت عمر بن الخطاب وزوجها
علمنا ان الرسول (ص) كان قد نظّم خلايا سرية لإقراء المسلمين القرآن بمكّة.
وفي ما يأتي بعض أخبار القرآن لدى المهاجرين من مكّة إلى الحبشة.

المسلمون والقرآن في الحبشة:

في سيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد وغيرهما ما موجزه:
لما اشتدّ اذى قريش للمؤمنين الذين أظهروا اسلامهم أمرهم الرسول
بالمهجرة إلى الحبشة فهاجر زهاء ثمانين رجلا وأمرأة من المسلمين فأجارهم
النجاشي ملك الحبشة فبعثت قريش بهدايا إليه مع عمرو بن العاص وعمارة بن
الوليد وطلبت منه أن يعيدهم إلى مكّة فجمع النجاشي بين المسلمين وعمرو
وعمارة فقرأ جعفر عليه صدر سورة كهيعص - سورة مريم - فيكى النجاشي
حتى اخضلت لحيته وأبى أن يعيد المسلمين إلى قومهم قريش^(٣١).
لم يعين ابن هشام وغيره إلى آية آية قرأ جعفر من سورة مريم ولا بد
أنه قرأ صدر السورة الى الآية ٣٤ منها والتي جاء فيها ذكر زكريا ويحيى وعيسى
ومريم عليهم السلام.

إن خبر ابن مسعود وخبر جعفر يدلان على أن المسلمين كانوا يحفظون

(٣١) سيرة ابن هشام / ١ - ٣٥٩ - ٣٦٠؛ وطبقات ابن سعد، ١ / ٢٠٧؛ وسيرة ابن

اسحاق ص ١٩٤.

ما نزل من القرآن ما يساعدهم أن يقرأوا في كل مكان ما يناسبهم، كما أن خبر
خلية بيت فاطمة ابنة الخطاب كان يدل على وجود القرآن مكتوبا عند المسلمين
بمكة.

سابعاً - خصائص المجتمع الاسلامي على عهد

الرسول (ص):

وعندما بعث الرسول (ص) قَوْضَ بالاسلام النظام القبلي في الجزيرة العربية والنظام الطبقي في سائر المجتمعات البشرية في مايلغ عن الله قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (المحجرات/١٣).

وبقوله في خطبته (ص) وسط ايام التشريق عام حجة الوداع:

«يا ايها الناس! الا ان ربكم واحد وان اباكم واحد الا لا فضل لعربي على اعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على اسود ولا لاسود على أحمر الا بالتقوى، ابلغت؟ قالوا: بلى رسول الله (ص)»^(١).

وعلى هذا الاساس اقام (ص) المجتمع الاسلامي الاول في المدينة المنورة، فعاش فيه سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي وابو ذر العربي البدوي متأخين كاسنان المشط لا تفاضل بينهم، واربى على ذلك حين تزوج مولاه زيدا ابنة عمته زينب حفيدة عبد المطلب، وضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب المقداد بن عمرو مولى بني زهرة^(٢)، ووظف على بلال الحبشي

(١) مسند احمد ٤١١/٥.

(٢) راجع في خبر زواج زينب بنت جحش بحث صفات المبلغين من عقائد الاسلام من

الأذان حتى علا سطح الكعبة يوم الفتح وأذن عليها.
وكان من الطبيعي أن يظهر أحياناً في ذلك المجتمع المثالي آثار التعصب
القبيلي بين صحابة الرسول (ص) الذين نشأوا وعاشوا قبل الإسلام في المجتمع
الذي بنيت أسسه على النظام القبلي ونقتصر بذكر بعض أخبارها في ما يأتي
بإذنه تعالى:

أ - التعصب القبلي للصحابة المهاجرين من قريش

١ - روى مسلم عن عائذ بن عمرو:

(ان ابا سفيان اتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر فقالوا والله ما
اخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها.
قال ابو بكر: اتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم).
قال محمد فؤاد عبد الباقي في شرح الحديث:
هذا الاتيان لأبي سفيان كان وهو كافر في الهدنة بعد صلح الحديبية^(٣).

→

القرآن الكريم وخبر زواج ضباعة في ترجمة ضباعة من الاصابة.

(٣) صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل سلمان وصهيب وبلال
١٩٤٧/٤، وفي ترجمة (سلمان) و(صهيب) و(بلال) من سيرة النبلاء ١٥ / ٢؛ واللفظ لمسلم
الاستيعاب ٢ / ٦٣٩ ط. مصر، تحقيق علي محمد البجاوي.

أ - أبو عبد الله سلمان الفارسي كان مجوسياً ثم تنصر قبل بعثة رسول الله (ص) وقصد
المدينة ليدرك الرسول، فصحب قوماً من العرب، فأسروه، وباعوه لرجل من يهود المدينة، فرأى
رسول الله (ص)، وعرف فيه علامات النبوة، وأسلم على يديه، فاشتراه رسول الله (ص)، وأعتقه،
وهو الذي أشار على النبي يوم الخندق بحفر الخندق، وقال النبي في حقه يوم ذاك: سلمان منا أهل
البيت، وتوفي في عصر عثمان سنة خمس وثلاثين في المدائن أميراً عليها ودفن هناك. أسد الغابة
٢٢٨/٢ - ٢٣٢.

ب - صهيب بن سنان الربعي النمري، كان أبوه عاملاً لكسرى على الابل، ففارت الروم
عليهم، وأسرت صهيياً فنشأ فيهم، ثم باعته الى كلب فجاءت به الى مكة، فباعته من عبد الله بن
جدعان فأعتقه، وكان من السابقين الى الاسلام الذين عذبوا في مكة، وكناه الرسول أبا يحيى،

←

٢ - في سنن الدارمي وابي داود ومسنند احمد وغيرها بسندهم عن عبد الله ابن عمرو بن العاص انه قال:

«كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله (ص)، فنهتني قريش، وقالوا: تكتب كل شيء سمعته من رسول الله (ص) ورسول الله بشر يتكلم في الفضب والرضا؟

فأمسكت عن الكتابة، فذكرت ذلك لرسول الله فأوماً بأصبعه إلى فيه وقال: «أكتب فوالذي نفسي بيده ماخرج منه إلا حق»^(٤).

أن التعصب الجاهلي هو الذي دفع الصحابة القرشيين ان يمنعوا عبد الله ابن عمرو بن العاص من كتابة الحديث لما كان فيه ذكر اساء القرشيين الذين ناهضوا الرسول، وحاربوا الاسلام والمسلمين، و جاء ذكر أفعالهم في القرآن الكريم وبيان آسائتهم في حديث الرسول (ص).

→

وكان في لسانه لكثرة. توفي بالمدينة سنة ثمان أو تسع وثلاثين ودفن بها وكان ابن سبعين أو ثلاث وسبعين. أسد الغابة ٣١/٣ - ٣٣.

ج - بلال بن رباح الحبشي، وأمه حامة، كان من السابقين الى الاسلام، فعذبته قريش، فكانت تبطلحه على وجهه في الشمس، وتضع الرحاء عليه حتى تصهره الشمس، ويقولون له: أكفر برب محمد، فيقول: أحد، أحد، واشتراه أبو بكر وأعتقه، وكان مؤذن رسول الله (ص)، وخازنه، وشهد معه مشاهدته كلها، وذهب بمد النبي الى الشام غازياً، وتوفي هناك في العشر الثاني بعد الهجرة، وعمره بضع وستون سنة. أسد الغابة ٢٠٩/١.

(٤) سنن الدارمي، ١٢٥/١، باب من رخص في الكتابة من المقدمة، وسنن أبي داود ١٢٦/٢، باب كتابة العلم، ومسنند أحمد ١٦٢/٢، ١٩٢، ٢٠٧ و ٢١٥، ومستدرک الحاكم ١٠٥/١ - ١٠٦، وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٨٥/١ ط. الثانية، ط. العاصمة بالقاهرة سنة ١٣٨٨.

وعبد الله بن عمرو بن العاص قرشي سهمي واهم ربيعة بنت منبه السهمي كان اصغر من أبيه بإحدى عشرة أو اثنتي عشرة سنة. اختلفوا في وفاته أكان بمصر أو الطائف أو مكة وعام ٦٣ أو ٦٥. راجع ترجمته بأسد الغابة ٢٣/٣، والنبلاء ٥٦/٣، وتهذيب التهذيب ٣٣٧/٥.

ب - التعصب القبلي في قبائل الانصار

خبر مسجد ضرار

قال تعالى في سورة التوبة/١٠٧.

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾

قال ابن عباس: ﴿والذين اتخذوا مسجدا ضرارا﴾ هم أناس من الانصار ابتوتوا مسجداً فقال لهم أبو عامر: ابنوا مسجدكم، واستمدوا بها استطعتم من قوة وسلاح، فاني ذاهب الى قيصر ملك الروم فأتي بجند من الروم فأخرج محمداً وأصحابه، فلما فرغوا من مسجدهم أتوا الرسول (ص) فقالوا قد فرغنا من بناء مسجدنا، فَنَحِبُ أَنْ تَصَلِّيَ فِيهِ، وتدعو بالبركة، فأنزل الله ﴿لَاتَقِمَّ فِيهِ أَبَدًا﴾^(٥).

ج - خبر الشجار على ماء المريسيع:^(٦).

عندما هاجر الرسول (ص) الى المدينة آخى بين المهاجرين من قريش من نسل نزار ورجال من الأوس والخزرج من الأنصار من نسل قحطان^(٧)

(٥) في الطبري ١٨/١١ - ٢٠ والدر المنثور ٣/٢٧٦ عن ابن المنذر وابن ابي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل وابو عامر عبد عمرو بن صفيي الراهب كان رأس الاوس في الجاهلية وترقب لما بلغه من اليهود ان خاتم الانبياء يكون في المدينة املا في ان يكون هو النبي المبشر له فلما هاجر الرسول الى المدينة حسد رسول الله فلم يسلم وجاهر الرسول بالعداوة وخرج إلى مكة وحرّضهم لحرب رسول الله (ص) ثم ذهب الى قيصر لنفس الغرض.

(٦) المريسيع: ماء يبعد عن المدينة أياماً، كان يسكن حوله قوم من خزاعة يقال لهم: بنو المصطلق، غزاهم رسول الله (ص) في العام الخامس أو السادس بعد الهجرة. (امتاع الأسباع ص ١٩٥) وجهجاه من قبيلة غفار كان يومذاك أجيراً لعمر بن الخطاب المهاجري لذلك نادى بشعارهم ومات جهجاه بعد عثمان بسنة أسد الغابة ٣٠٩/١.

(٧) ولد نزار بن معد بن عدنان: مضر وربيعة وإياد وانبار وولد مضر: الياس وقيس عيلان وعرب الشمال ينتسبون إلى عدنان ومعد ونزار ومضر وربيعة وقيس.

←

فعاشوا بونام وإخاء حتى إذا انتهوا من معركة غزوة بني المصطلق وقعت أول منافرة بينها عندما وردت واردة الناس على ماء المريسيح، فازدحم على الماء جهجاه بن مسعود وهو يقود فرس عمر بن الخطاب، وسان بن وبر الجهني حليف الخزرج، فاقتتلا، فصرخ الجهني يا معشر الأنصار!
و صرخ جهجاه: يا معشر المهاجرين!

فغضب عبد الله بن أبي بن سلول الخزرجي رئيس المنافقين وعنده رهط من قومه، فقال: أو قد فعلوها، قد نافرنا، وكاثرونا في بلادنا! والله ما عدنا وجلايب قريش هذه إلا كما قال الاول: «سمن كلبك يأكلك!»
أما والله لان رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل.
ثم قال لمن حضره من قومه: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم، لتحولوا إلى غير داركم.

فبلغ ذلك رسول الله، وأشاروا عليه بقتله، فلم يقبل، وإنما عالج الامر بحكمة، حيث أمر بالرحيل في غير ساعة الرحيل، وسار بالناس يومهم ذلك حتى أصبح، وصدر اليوم الثاني حتى آذتهم الشمس، فلما نزل بهم ومس جلداهم الأرض، وقعوا نياماً وبذلك شغلهم عن حديث المنافرة.

وفي هذه الواقعة نزلت سورة (المنافقون) ومنها الآية ٨/

﴿ يَتَّوَلَّوْنَ لَئِن رُّجِعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾

وبلغ حسان بن ثابت الانصاري الذي وقع بين جهجاه وبين الفتية

→ أما عرب الجنوب فينتسبون إلى الازد وسبأ وقحطان والازد هو ابن الغوث بن نبت بن مالك ابن كهلان بن سبأ. وسبأ هو ابن يشجب بن يعرب بن قحطان (جهمرة أنساب العرب ٣١٠ - ٣١١).

الأنصار، فقال وهو يريد المهاجرين:

أمسى الجلابيب قد عزّوا وقد كثروا وابن الفريضة أمسى بيضة البلد^(٨)
الآيات

فجاء صفوان بن المعطل إلى بعض المهاجرين وقال: انطلق بنا نضرب
حساناً، فوالله ما أراذ غيرك وغيري.

ولما أبى المهاجري ذلك ذهب صفوان وحده، مصلتنا بالسيف حتى ضرب
حساناً في نادي قومه، وجرحه وقال:

تلق ذباب السيف عني فأنني غلام إذا هوجيت لست بشاعر^(٩)
ثم أصلح الرسول بينهم، وانتهت بذلك أول منافرة وقعت بين فرعي
القبيلتين بعد أن عاجلها الرسول بحكمته.

وقعت الثانية يوم وفاة الرسول (ص)، وذلك لأن المجتمع العربي في شبه
الجزيرة كان يتوزع على مجتمعات قبليّة متعدّدة، وبعد هجرة الرسول إلى
المدينة وفتح مكة أصبحت المجتمعات المتعدّدة يحكمها مجتمع المدينة الواحد
المتكون من المهاجرين والأنصار.

وكان المهاجرون جلّهم من مكة ماعدا النادر منهم وهم ينتمون إلى
قريش وحلفائها ومواليها والأنصار كلّهم من اليمن ومن قبائل سبأ؛ وبذلك
تحوّلت العصبية القبليّة المتعدّدة إلى التعصّب بين مهاجرة قريش ومن أنتمى
إليها من نزار والأنصار ومن أنتمى إليها من السبأيين.

وأول شجار وقع بينها بعد الرسول (ص) حدث في سقيفة بني ساعدة

(٨) الجلابيب سفلة الناس، ويهامش الأغاني ١١/٤ (كان المنافقون يسمون المهاجرين
بالجلابيب، وفي ديوان حسان (الخلايس) أي الأخلاط من كل وجه الفريضة اسم أم حسان وبيضة
البلد: يقال للمدح والذم.

(٩) الطبري، ط. أوربا، ١/١٥٢٦؛ الأغاني ١٢/٤ عن الزهري ولسان العرب مادة
(بيض)؛ امتاع الأسباع للمقريزي ١/٢١١.

ثم امتدّ الى عصور طويلة بعد ذلك كما سندرسه في ما يأتي بحوله تعالى.



زالت الاعراف الجاهلية ظاهراً عن شبه الجزيرة العربية بعد نزول سورة البراءة واعلامها على الحجيج المسلم والمشرك في منى في السنة التاسعة من الهجرة.

وأصبح المجتمع الاسلامي من جانب الحاكم وقليل من افراده اسلامياً انسانياً وفي سلوك الكثرة الكاثرة من افراده مزجاً من الاعراف القبلية الجاهلية والاخلاق الاسلامية ومن قبل بعض آخر من افراده قبلي جاهلي محض وهم الذين سموا بالمنافقين.

وكان اهمّ ميزة هذا العصر بقاء الاحساس القبلي بين افراده سواء منهم المؤمن والمنافق والذي كان تظهر آثاره بين حين وآخر في المجتمع، فيعالجها الرسول (ص) بحكمته. وكان ذلكم خصائص المجتمع في هذا العصر.

نكتفي من أخبار القرآن بمكة لندرس في ما يأتي بحوله تعالى أخبار القرآن في العصر المدني.



الفصل الثاني

أخبار القرآن الكريم في عصر نزوله في المدينة
على عهد الرسول الأكرم (ص)

- ١ - القرآن المدني.
- ٢ - النظام الذي سنه النبي (ص) في إلقاء القرآن.
- ٣ - نظام المفاضلة بالقرآن.
- ٤ - تدوين القرآن في المدينة.
- ٥ - أخبار السيرة في القرآن الكريم.

أولا - القرآن المدني وما حواه

يحكي القرآن المدني عن بعض ما دار بين الرسول (ص) وهو في المدينة مع كفار قريش وسائر مشركي العرب من معارك فكرية وحروب قتالية، وكذلك ما دار بينه (ص) وبين أهل الكتاب من يهود ونصارى من ذلك، وبعض ما جرى في المجتمع الإسلامي الأول الذي شيده (ص) مع المنافقين والمؤمنين وما جرى في بيته (ص) يومذاك وما شرعه الله للإنسان في جميع مناحي حياته من نظام إلى غير ذلك مما أشرنا إليه في خصائص القرآن المكي وفي ما يأتي أمثلة مما ذكرناه إن شاء الله تعالى.

ما جرى مع أهل الكتاب

بسبب وضوح ما كان في كتب الله من تعريف خاتم الأنبياء أخبر الله عنهم أنهم كانوا يعرفون خاتم الأنبياء وقبلته وشريعته كما يعرفون أبناءهم وقال عز اسمه في سورة البقرة:

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾

وقال تعالى في سورة الأنعام:

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الآية/٢٠)

وتنقسم معارك القرآن مع أهل الكتاب على ما كان بينه وبين اليهود وما كان بينه وبين أهل الكتاب من النصارى، وفي ما يأتي نوردتها على التوالي بإذنه تعالى:

ما دار بين اليهود وبين القرآن ومُبَلَّغُهُ والمؤمنين من حوار وخصام: المعارك الفكرية بين القرآن المدني والمشركون وأهل الكتاب والمنافقين: استمرَّ القرآن المدني في معاركه الفكرية مع المشركون مثل قوله تعالى في سورة الحج:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ * مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (الآيات/ ٧٣-٧٤)

سفه أحلام المشركون في هذه الآية في ما اتخذوه آلهة من دون الله كما كان شأن القرآن المكي وعمم في الخطاب قريشاً وغيرهم هاهنا بقوله تعالى: ﴿ يا أيها الناس... ﴾ وعمم الخطاب بينها المخاطبون هم مشركو قريش.

وأضاف إلى معركته مع المشركون معركة أخرى مع أهل الكتاب وخاطبهم قائلاً في سورة المائدة:

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (الآية/ ١٩)

وأثنى على بعضهم وقال سبحانه:

﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴾ (الأعراف/ ١٥٧).

وأخبر - سبحانه - أنهم يكتمون الحق ويلبسونه بالباطل، وقال في سورة

آل عمران:

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبُسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (الآية/٧١)

وأخبر أنه كان قد أخذ ميثاقهم ألا يكتُمونه ويبيّنونه للناس وقال:
﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَتُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُشِّرُوا مَا يَشْتَرُونَ ﴾ (الآية/١٨٧)

وقال سبحانه في سورة البقرة:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (الآية/١٧٤).

وقال - عز اسمه :-

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ (البقرة/١٥٩).

وأخبر أن الرسول بيّن كثيراً ممّا يخفون من الكتاب لقوله تعالى:
﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ (المائدة/١٥).

و من أخبار القرآن المدني:

تنقسم أخبار القرآن في المدينة إلى ما كانت قبل هجرة الرسول (ص) إليها وما جرت بعد هجرة الرسول (ص) إليها.
أما ما كان قبل هجرة الرسول (ص) إليها، فقد تحدث عنها جابر بن عبد الله الأنصاري، وقال: عن بدء إسلام الأنصار:
(... بعثنا الله إليه - أي إلى رسول الله (ص) - من يشرب فأويناه

وَصَدَّقْنَاهُ فَيُخْرِجُ الرَّجُلَ مَنْأً فَيُؤْمِنُ بِهِ. وَيُقْرَنُهُ الْقُرْآنَ فَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ فَيَسْلَمُونَ
بِإِسْلَامِهِ... الْحَدِيثُ (١).

وروى ابن هشام وغيره: أَنَّ النَّبِيَّ (ص) بَعَثَ مَعَ الْأَنْصَارِ بَعْدَ بَيْعَتِهِمُ
الْأُولَى عَلَى الْإِسْلَامِ مَصْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ، وَأَمْرَهُ أَنْ يُقْرَنَهُمُ الْقُرْآنَ، وَيَعْلَمَهُمُ
الْإِسْلَامَ، وَيَفْقَهُهُمْ فِي الدِّينِ، فَكَانَ يُسَمَّى الْمُقْرَى بِالْمَدِينَةِ (٢).

وفي صحيح البخاري عن الصحابي البراء بن عازب قال:
أَوَّلُ مَنْ قَدَّمَ عَلَيْنَا مَصْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَكَانَا يُقْرَنَانِ النَّاسَ (٣).
وروى الذهبي بترجمة زيد بن ثابت من تذكرة الحفاظ أن زيدا قال: (أتى
النبي (ص) المدينة وقد قرأت سبع عشرة سورة، فقرأت على رسول الله (ص)
فأعجبه ذلك) (٤).

كذلك انتشرت قراءة القرآن في المدينة قبل هجرة الرسول (ص) إليها.

* * *

كانت تلکم بعض أخبار القرآن في المدينة قبل هجرة الرسول إليها
وعندما هاجر الرسول (ص) إليها اتخذ من مسجده مدرسة لإقراء القرآن وسن
نظاماً لتدوين القرآن وإقراءه كما سنذكره فيما يأتي بإذن تعالى.

(١) مسند احمد ٣/٣٢٢، ٣٣٩.

(٢) سيرة ابن هشام ٤٢/٢ ط. مصر سنة ١٣٥٦ هـ. خبر بيعة العقبة الاولى. ومصعب بن
عمير: ابو عبدالله القرشي اسلم قديماً وهاجر الى الحبشة ثم الى المدينة وشهد بدرًا واستشهد بأحد
راجع ترجمته في جميع كتب تراجم الصحابة.

(٣) صحيح البخاري ٢/٢٢٤ كتاب مناقب الانصار باب مقدم النبي (ص) المدينة، وفي
كتاب التفسير، تفسير سورة (سيح اسم ربك) ٣/١٤٣. ومسند احمد ٤/٢٨٤.

(٤) تذكرة الحفاظ ١/٣٦.

ثانياً - النظام الذي سنّه النبيّ (ص) في إقراء القرآن

في مسند أحمد ومعرفة القراء الكبار للذهبي والبحار للمجلسي واللفظ للذهبي عن أبي عبد الرحمن قال:

حدثني الذين كانوا يقرؤوننا: عثمان وابن مسعود وأبي بن كعب (رض) ان رسول الله (ص) كان يقرئهم العشر، فلا يجاوزونها الى عشر آخر حتى يعلموا ما فيها من العمل فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً^(١).
وفي تفسير الطبري بسنده:

عن أبي عبد الرحمن - السلمي - قال حدثنا الذين كانوا يقرؤوننا انهم كانوا يستقرؤون من النبي (ص) فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بها فيها من العمل، فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً^(٢).
ولفظ احمد في مسنده:

حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا محمد بن فضيل عن عطاء عن أبي

(١) معرفة القراء الكبار للذهبي ص ٤٨، ومسند احمد ٤١٠/٥، والبحار للمجلسي ١٠٦/٩٢، ومجمع الزوائد ومنع الفوائد ١٦٥/١، وفي تفسير القرطبي ٣٩/١ وفي كنز العمال الحديث ٤٢١٣.

(٢) مسند احمد ٤١٠/٥، وتفسير الطبري ٢٧/١. راجع اخبارهم في كنز العمال ٣٤٦/٢ ط. بيروت سنة ١٤٠٩هـ الحديث ٤٢١٥.

عبد الرحمن قال حدثنا من كان يقرئنا من أصحاب النبي (ص) أنهم كانوا يفترون من رسول الله (ص) عشر آيات: فلا يأخذون في العشر الاخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل.

قالوا فعلمنا العلم والعمل^(٣).

وفي تفسير القرطبي بسنده:

عن عثمان وابن مسعود وأبي أن رسول الله (ص) كان يُقرئهم العشر فلا يجاوزونها إلى عشر أخرى حتى يتعلموا ما فيها من العمل، فيعلمنا القرآن والعمل جميعاً.

وذكر عبد الرزاق عن معمر عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: كنا إذا تعلمنا عشر آيات من القرآن لم نتعلم العشر التي بعدها حتى نعرف حلالها وحرامها وأمرها ونهيها^(٤).

(وأبو عبد الرحمن السلمي عبد الله بن حبيب بن ربيعة السلمي اخرج حديثه أصحاب الصحاح، ولد في حياة النبي (ص) ولأبيه صحبة قرأ القرآن وجوَّده وبرع في حفظه، أخذ القرآن عرضاً عن عثمان وعلي وابن مسعود وزيد ابن ثابت وأبي بن كعب (رض) وكان مقرئ أهل الكوفة منذ عصر عثمان الى ان توفي بعد السبعين من الهجرة في أوائل حكم الحجاج وكان يعلم القرآن خمس آيات خمس آيات وعلم ابن عمرو بن الحريث القرآن، فأرسل له جلالاً وجُزراً^(*) فردّها وقال: انا لا نأخذ على كتاب الله أجراً^(٥)).

* * *

(٣) مسند احمد ٥/٤١٠.

(٤) تفسير القرطبي ١/٣٩.

(*) جلالاً جمع جل: ما يكسى به الفرس لتحصان به فهنا بمعنى الفرس المجمل.

الجزر جمع الجزور الابل التي تصلح للذبح.

(٥) معرفة القراء الكبار للذهبي ص ٤٥ - ٤٩.

ونعلم من الروايات الآتية أن ما كان يقرئهم الرسول (ص) في معاني الآيات كان يتلقاه عن طريق الوحي عن الله جلَّ اسمه.

أ - في سنن أبي داود ومسنند أحمد واللفظ للأول بسنده عن المقدم بن معديكرب عن رسول الله (ص) أنه قال:

«أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَا يُرْسِكُ رَجُلٌ شِبَعَانَ عَلَى أُرَيْكَتِهِ يَقُولُ عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ، فَأَحْلُوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ...»^(٦).

ب - في سنن أبي داود عن العرياض بن سارية قال: نزلنا مع رسول الله (ص) خيبر ومعه من معه من أصحابه، ثم صَلَّى بِهِمُ النَّبِيُّ (ص)، ثُمَّ قَامَ، فَقَالَ:

«أَيْحَسِبُ أَحَدُكُمْ مِتْكَأً عَلَى أُرَيْكَتِهِ قَدْ يَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَحْرَمْ شَيْئاً إِلَّا مَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ! أَلَا وَإِنِّي وَعِظْتُ وَأَمَرْتُ وَنَهَيْتُ عَنْ أَشْيَاءٍ إِنَّهَا لَمِثْلُ الْقُرْآنِ أَوْ أَكْثَرُ...»^(٧).

قد يكون معنى قول الرسول (ص) «أنها لمثل القرآن» أي أنه تلقاه عن الوحي وأكثر من القرآن في شرح أحكام الله.

ج - في سنن أبي داود والترمذي وابن ماجه ومسنند أحمد واللفظ للأول، عن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه قال: قال النبي (ص):

(٦) سنن أبي داود باب لزوم السنة ٢٠٠/٤ الحديث ٤٦٠٤، ومسنند أحمد ١٣١/٤. مقدم الكندي صحابي مشهور نزل الشام ومات سنة ٨٧هـ وله إحدى وتسعون سنة. تقريب التهذيب ٢٧٢/٢.

(٧) سنن أبي داود ٦٤/٢ باب في تعشير أهل الذمة من كتاب الحجاج والامارة والفيء، وطبعة تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ١٧٠/٣.

وعرياض السلمي أبو نجيح صحابي كان من أهل الصفة ونزل حصص ومات بعد السبعين. تقريب التهذيب ١٧/٢.

«لا ألفين أحذكم متكثرا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا ندري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه»^(٨).

د - وفي مسند أحمد عن المقدم بن معدي كرب قال:

«حرم رسول الله (ص) يوم خيبر أشياء، ثم قال: «يوشك أحذكم أن يكذبني وهو متكئ على أريكته يحدث بحديثي، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه.

ألا وإن ما حرم رسول الله (ص) مثل ما حرم الله».

وفي آخر الحديث من سنن الترمذي: «وان ما حرم رسول الله (ص) كما حرم الله».

وفي سنن ابن ماجه: «مثل ما حرم الله»^(٩).

هـ - في مسند أحمد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ص):

«لا أعرفن أحداً منكم أتاه عني حديث وهو متكئ في أريكته. فيقول: اتل علي به قرآناً...»^(١٠).

وروي موجز الاحاديث القرطبي في تفسيره بقوله: «كان الوحي ينزل

على رسول الله (ص) ومحضره جبريل بالسنة التي تفسر ذلك»^(١١).



(٨) سنن ابي داود باب لزوم السنة من كتاب السنة ٢/٢٥٦، والترمذي ١٠/١٣٢، وابن ماجه المقدمة ٧/١، ومستدرک الحاكم كتاب العلم ١/١٠٨، ومسند احمد ٨/٦.

وعبيد الله بن ابي رافع مولى النبي. تقريب التهذيب ٨/٥٣٢.

(٩) مسند احمد ٤/١٣٢، وسنن الدارمي ١/١٤٠، وسنن الترمذي ١٠/١٣٣، وابن ماجه

مقدمة ٦/١.

(١٠) مسند احمد ٢/٣٦٧ و٤٨٣.

في المتن لا عرفن تصحيف ونرى الصحيح لا أعرفن.

(١١) تفسير القرطبي ١/٣٩.

كان ذلكم كيفية اقراء الرسول (ص) آي القرآن لأصحابه، وتعليمهم معنى الآيات مع تعليم اللفظ واهتمامه بها بينه في أحاديثه من الاحكام وفي ما يأتي ندرس كيفية اهتمامه بإقراء القرآن لأهل الصفة بمسجده وبمن يأتي من خارج المدينة وسلم على يده:

الإقراء لأهل الصفة ولن جاء من خارج المدينة وأسلم:

وكان في مسجد الرسول (ص)، صفة لا يواء الفقراء من المسلمين وكان عبادة بن الصامت يعلم أهل الصفة القرآن^(١٢).

وفي المستدرك عن عبادة بن الصامت انه قال:

إذا قدم الرجل وقد أسلم على يد رسول الله (ص) دفعه إلى رجل منّا ليعلمه القرآن فدفع إليّ رسول الله (ص) رجلاً كان معي في البيت وكنت أقرأته القرآن فرأى ان لي عليه حقاً فأهدى إليّ قوساً ما رأيت أجود منها ولا أحسن منها عطافاً فأنتيت رسول الله (ص) فقلت ما ترى يا رسول الله فيها، فقال: جمرة بين كتفيك تقلدتها أو تعلققتها^(١٣).

وفي رواية عن عبادة بن الصامت قال:

كان الرجل إذا هاجر دفعه النبي (ص) إلى رجل منا يعلمه القرآن، وكان يسمع لمسجد رسول الله (ص) ضجة بتلاوة القرآن حتى أمرهم رسول الله (ص) أن يخفضوا أصواتهم لئلا يتغالطوا^(١٤).

وجاء - أيضاً - في كنز العمال عن الطفيل بن عمرو والدوسي ذي النوران

(١٢) راجع سنن ابي داود ٢٦٤/٣، ومسنند احمد ٣١٥/٥، وسنن ابن ماجه ٧٣٠/٢.

(١٣) مستدرك الحاكم ٣٥٦/٣، ومسنند احمد ٣٢٤/٥، وسنن ابن ابي داود ٢٦٥/٣، وقال

صحيح الاسناد.

(١٤) مناهل العرفان للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني بكلية اصول الدين في الأزهر ط.

دار احياء الكتب العربية بمصر ٢٣٤/١.

قال: أقرأني أبي بن كعب القرآن، فأهديت له قوساً فغدا إلى النبي (ص) مُتقلداً، فقال له النبي (ص): من سلحك هذه القوس يا أبي؟ فقال: الطفيل بن عمرو الدوسي، أقرأته القرآن، فقال له رسول الله (ص): تقلدها شلوّة من جهنم، فقال يا رسول الله: إنا نأكل من طعامهم، فقال: أما طعامٌ صنع لغيرك فحضرت فلا بأس أن تأكله^(١٥).

بمقارنة هذا الخبر بخبر الإقراء بمكة الذي رواه الصحابي الخليفة عمر نرى أن أهل اليسار بمكة كانوا يؤون من يقرئهم من المستضعفين بمكة وفي المدينة كان أهل اليسار يؤون المهاجر الجديد لإقرائه، ونرى أن الرسول يُحذّرهم من أخذ هدية مَن أقرؤه. وعلى هذا يكون الإيواء والإطعام في البلدين على أهل اليسار دون مقابل.

ولم يقتصر تقارئ القرآن بين الصحابة في الحضر دون السفر، فقد روى ابن عمر وقال: سافر النبي (ص) وأصحابه إلى أرض العدو وهم يعلمون القرآن^(١٦).

ففي صحيح مسلم وغيره واللفظ لمسلم قال^(١٧):

جاء أناس إلى رسول الله (ص)، فقالوا: أن ابعث معنا رجلاً يعلمون القرآن والسنة فبعث إليهم سبعين رجلاً من الأنصار يقال لهم القراء - وفي لفظ البخاري^(١٨): من القراء - يقرؤون القرآن ويتدارسون بالليل يتعلمون. وفي كتاب التراتيب الادارية ما موجزه:

(١٥) كنز العمال ٢/ ٣٤٢، الحديث ٤١٩٤.

(١٦) صحيح البخاري ١١٣/٢ كتاب الجهاد باب السفر بالمصاحف إلى أرض العدو.

(١٧) مسلم كتاب الامارة (باب نبوت الجنة للشهيد) ص ١٥١١ الحديث ١٤٧.

(١٨) البخاري ١٣٦/٢ كتاب الجزية باب دعاء الامام علي من نكث عهداً. وجاء الخبر في

خبر بنر معونة بكتب سيرة الرسول (ص) كسيرة ابن هشام ٣/ ١٨٤ - ١٨٥.

أرسل مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف في سيرة ابن إسحاق لما انصرف النبي (ص) من القوم الذين بايعوه في العقبة الأولى قال وهم اثنا عشر بعث معهم مصعباً وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام ويفقههم في الدين وكان يسمى المقرئ بالمدينة^(١٩).

وفي الاستبصار لابن قدامة المقدسي لما قدم مصعب بن عمير المدينة نزل على أسعد بن زرارة فكان يطوف به على دور الانصار يقرئهم القرآن ويدعوهم الى الله عز وجل فأسلم على يديهما جماعة منهم سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وغيرهما.

وفي التهذيب للنووي لدى ترجمة مصعب هذا: هاجر الى المدينة بعد العقبة الأولى ليعلم الناس القرآن، ويصلي بهم بعثه رسول الله (ص) مع الاثني عشر اهل العقبة الثانية ليفقه أهل المدينة، وقرئهم القرآن، فنزل على أسعد بن زرارة، ومنهم معاذ بن جبل في الاكتفاء لأبي الربيع الكلاعي استخلف رسول الله (ص) عتاب بن أسيد على مكة وخلف معه معاذ بن جبل يفقه الناس في الدين ويعلمهم القرآن خرجه ابن سعد في الطبقات عن مجاهد وفي الاستيعاب بعثه النبي (ص) قاضياً على الجند من اليمن يعلم الناس القرآن وشرائع الإسلام ويقضي بينهم وجعل إليه قبض الصدقات من العمال الذين باليمن عام فتح مكة، ومنهم عمرو بن حزم الخزرجي النجاري.

في الاستيعاب استعمله النبي (ص) على نجران ليفقههم في الدين

(١٩) كتاب الحكومة النبوية المعروف بالتراتب الادارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس الدولة الاسلامية في المدينة المنورة لعبد الحمي بن عبد الكبير بن محمد الحسيني الادرسي الكنافي. افست دار الكتاب العربي بيروت ٤٢/١ - ٤٧. وراجع طبقات ابن سعد ط. اوربا ١٠٨/٢/٨. وسيرة ابن هشام ٤٢/٢. والاستبصار لابن قدامة ص ٥٧. والاستيعاب ص ٢٢٧٩، ومسند أحمد ٢١٢/٣.

ويعلمهم القرآن ويأخذ صدقاتهم وذلك سنة عشر بعد أن بعث إليهم خالد بن الوليد فأسلموا وكتب له كتابا في الفرائض والسنن والصدقات والديات يصح أن يستدرك هنا من المعلمين جماعة فمنهم أبو عبيدة بن الجراح أخرج أحمد في مسنده عن أنس قال لما وفد أهل اليمن على رسول الله (ص) قالوا ابعث معنا رجلا يعلمنا السنة والاسلام... وسيّره الى الشام اميرا فكان فتح اكثر الشام على يده .

ثالثاً - نظام المفاضلة بالقرآن:

سنّ رسول الله (ص) نظام المفاضلة بين المسلمين بمقياس القراءة للقرآن ومن جملتها الموارد التي نذكرها في ما يأتي:

أ - تعيين الأكثر قراءة للقرآن إماماً للجماعة.

كثرت الروايات والأخبار في هذا الصدد ونحن نقتصر على ذكر خبر واحد منها كالآتي:

روى أبو داود في سننه وأحمد في مسنده وابن سعد في طبقاته وغيرهم واللفظ لابن سعد قال:

قال عمرو بن سلمة بن قيس الجرّمي:

كنّا بحضرة ماء، ممرّ الناس عليه، وكنا نسألهم ما هذا الأمر؟ - يقصد أنهم كانوا يسألون عن خبر بعثة النبي (ص) - فيقولون: رجلٌ زعم أنه نبيّ وأنّ الله أرسله، وأنّ الله أوحى إليه كذا وكذا - يقصد أنهم كانوا يقرؤون عليهم بعض ما سمعوه من القرآن - قال: كنت أتلقّى الركبان فيقرؤونني الآية.

قال: فجعلت لا أسمع شيئاً من ذلك إلاّ حفظته كأنها يُغرّني في صدري بفراء، حتّى جمعت فيه قرآناً كثيراً^(١).

(١) طبقات ابن سعد ٣٣٦/١ - ٣٣٧. وط. اوربا ٧٠/٢. وسنن أبي داود ١٥٩/١. رقم

الحديث ٥٨٥. ومسند أحمد ٤٧٥/٣ و ٢٩/٥ و ٧١.

وفي مسند أحمد: وكان الناس ينتظرون بإسلامهم فتح مكة.
وفي طبقات ابن سعد:

يقولون: انظروا، فإن ظهر عليهم فهو صادق وهو نبي، فلما جاءتنا وقعة
الفتح - فتح مكة - بادر كل قوم بإسلامهم، فانطلق أبي بإسلام حوائنا ذلك
- الحواء بيوت مجتمعة للناس على ماء - وأقام مع رسول الله (ص)، ما شاء الله
أن يقيم.

قال: ثم أقبل، فلما دنا منا تلقيناه فلما رأيناه قال: جنتكم والله من عند
رسول الله (ص) حقاً ثم قال: إنه يأمركم بكذا وكذا وينهاكم عن كذا وكذا وأن
تصلوا صلاة كذا وكذا في حين كذا وإذا حضرت الصلاة، فليؤذن أحدكم،
وليؤمكم أكثركم قرآناً.

قال: فنظر أهل حوائنا، فما وجدوا أحداً أكثر قرآناً مني للذي كنت
أحفظه من الركبان.

قال: وأنا يومئذ غلام عليّ شملة، فدعوني، فعلموني الركوع والسجود
فقدموني بين أيديهم.

قال وكان عليّ بردة كنت إذا سجدت تقلصت عني، فقالت امرأة من
الحيي: ألا تغطون عنا است قارئكم.

قال: فكسوني قميصاً من معقد البحرين، فما فرحت بشيء أشد من
فرحي بذلك القميص.

وفي سنن أبي داود قال: وأنا ابن سبع سنين أو ثمان سنين.

قال: فما شهدت مجمعا من جرم - يقصد قبيلته - إلا كنت إمامهم وكنت
أصلي على جنازتهم.

وفي رواية: لم يزل يؤمهم إلى زمن معاوية^(٢).

(٢) راجع اسناد الخبر في طبقات ابن سعد (١/٢٣٦ - ٢٣٧) خبر وفد جرم، وسنن أبي

وجاء عن أبي هريرة أنه قال :

بعث رسول الله (ص) بعثاً وهم ذو عدد فاستقرأهم فاستقرأ كل رجل منهم ما معه من القرآن فأتى على رجل منهم من أحدثهم سنناً فقال ما معك يا فلان قال معي كذا وكذا وسورة البقرة قال: أمعك سورة البقرة؟ فقال نعم قال: فاذهب فأنت أميرهم فقال رجل من أشرافهم والله يارسول الله ما منعي أن أتعلم سورة البقرة إلا خشية ألا أقوم بها فقال رسول الله (ص) تعلموا القرآن فأقرأوه وأقرئوه فإن مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه وقام به كمثل جراب محشو مسكاً يفوح بريحه كل مكان ومثل من تعلمه فيرقد وهو في جوفه كمثل جراب وكيء على مسك^(٣).

وفي تفسير السيوطي عن الدلائل للبيهقي: عن عثمان بن أبي العاص قال استعملني رسول الله (ص) وأنا أصغر الستة الذين وفدوا عليه من ثقيف، وذلك اني كنت قرأت سورة البقرة^(٤).

ب - المفاضلة بعد الحياة وفي القبر.

لما كان يوم أحد وأمر رسول الله (ص) بدفن الشهداء في أحد قال (ص) أنظروا أكثر هؤلاء جمعاً للقرآن. فاجعلوه أمام أصحابه في القبر، وكانوا يدفنون الاثنين والثلاثة في القبر الواحد^(٥).

ج - يوم القيامة.

قال رسول الله (ص) اقرؤوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شافعياً

→
داود ١٥٩/١ - ١٦٠ كتاب الصلاة باب من أحق بالامامة الحديث ٥٨٥ و٥٨٧، ومسنند احمد ٣٠/٥.

(٣) سنن الترمذي ط. الاولى بمصر سنة ١٣٥٣هـ - ٧/١١ - ٨، وتفسير سورة البقرة في الدر المنثور ٢١/١، وتفسير ابن كثير ٣٣/١.

(٤) تفسير السيوطي ٢١/١. (٥) مسند احمد ٤٣١/٥.

د - في الجنة.

في مسند احمد والترمذي:

يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارفق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية - أي: يقال ذلك لصاحب القرآن في الجنة^(٧).

وفي سنن الدارمي:

ان الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به، فهو مع السفارة الكرام البررة، والذي يقرؤه وهو يشتد عليه - أو هو عليه شاق - فله أجران^(٨).

من تعلم القرآن، فأستظهره، وحفظه، أدخله الله الجنة، وشفعه في عشرة من أهل بيته^(٩).

وقال: ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده...^(١٠).

واجمع كلام للرسول (ص) في المفاضلة قوله:

إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه.

وفي رواية:

(٦) صحيح مسلم ص ٥٥٣ كتاب صلاة المسافرين باب فضل القرآن، الحديث ٢٥٢.

(٧) مسند احمد ١٩٢/٢، وابي داود ٧٣/٢، والترمذي ٣٦/١١.

(٨) الترمذي ٢٩/١١، والدارمي ٤٤٤/٢ باب فضل من يشتد القرآن عليه - أي لا أقوم

بعمل ما فيها...، ومسلم كتاب صلاة المسافرين، باب الماهر بالقرآن ص ٥٤٩ - ٥٥٠ الحديث ٢٤٤.

(٩) مسند احمد ١٤٩/٥، وقريب منه في ص ١٤٨.

(١٠) صحيح مسلم كتاب الذكر والدعاء باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن ٢٠٧٤/٤

الحديث ٣٨، ومسند احمد ٢٥٢/٢.

خيركم من تعلم القرآن وعلمه^(١١).

وقال: إن أهل القرآن هم أهل الله وخاصته^(١٢).

وفي كنز العمال كتاب الاذكار، باب في فضائل القرآن (٢ / ١٨٧):

عن أنس بن مالك قال قال رسول الله (ص): يا حملة القرآن ان أهل السموات يذكرونكم عند الله فتحببوا إلى الله بتوقير كتاب الله يزدكم حياً ويحببكم إلى عباده.

وفي ص ٥٢٣ منه الحديث

حملة القرآن هم المعلمون كلام الله والمتلبسون بنور الله، من والاهم فقد والى الله، ومن عاداهم فقد عادى الله.

وفي رواية ٢٢٩٥ :

حملة القرآن أولياء الله ...

وحملة القرآن من حفظ جميع القرآن عن ظهر قلب .

وفي ص ٥٣٨ منه الحديث ٢٤١٤:

من ختم القرآن عن ظهر قلبه أو نظراً أعطاه الله شجرة في الجنة.

ونظراً: أي ختم القرآن في المصحف .

وفي ص ٥٣٦ منه: الحديث ٢٤٠٧ :

من قرأ القرآن نظراً متع بصره .

وفي ص ٥٣١ الحديث ٢٠٧٧ :

يا عليّ تعلم القرآن وعلمه الناس فلك بكل حرفٍ عشر حسناتٍ فان

(١١) صحيح البخاري ١٥٤/٣ كتاب فضائل القرآن باب (١٩) خيركم من تعلم القرآن

وعلمه، وابي داود ٧٠/٢، وسنن الدارمي ٤٣٧/٢ باب خياركم من تعلم القرآن وعلمه، وابن ماجه ٧٧/١.

(١٢) ابن ماجه ٧٨/١، ومسند احمد (٣/١٢٧، ١٢٨، ٢٤٢).

مَيْتٌ مَيْتٌ شَهِيداً، يَا عَلِيُّ تَعَلَّمِ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ النَّاسَ فَإِنَّ مَيْتَ حَجَّتِ الْمَلَائِكَةُ إِلَى قَبْرِكَ كَمَا تَحُجُّ النَّاسُ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْعَتِيقِ .

وفي ص ٥٣٨ الحديث ٢٤١٦:

من قرأ القرآن في سبعة كتبه الله من المحسنين ولا تقرؤوا في أقل من ثلاثة فمن وجد منكم نشاطاً فليجعلها في حسن تلاوته.

ومما يتبع باب المفاضلة مانجده في سيرة الرسول (ص) من انتهازه الفرص لنشر الاقراء بين المسلمين مثل ما رواه البخاري وغيره واللفظ للبخاري:

قال: أتت النبي (ص) امرأة، فقالت: انها وهبت نفسها لله ولرسول الله (ص).

فقال: ما لي في النساء من حاجة.

فقال رجل زوجنيها:

قال: اعطها ثوباً.

قال: لا اجد.

قال: اعطها ولو خاتماً من حديد، فاعتل له.

فقال ما معك من القرآن؟

قال: كذا وكذا.

قال: فقد زوجتكها بما معك من القرآن^(١٣).

وكان لكيفية اقراء الرسول (ص) بمكة والمدينة اثراً امتد من عصره إلى

ما بعده كالآتي خبره:

(١٣) صحيح البخاري ١٥٥/٣ كتاب فضائل القرآن باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه.

أثر كيفية إقراء الرسول (ص) في عصره:

كان لما قاله الرسول (ص) وفعله في شأن إقراء القرآن أبلغ الأثر في الصحابة وسائر المسلمين في عصره وبعده. أما في عصره فقد روى عقبه بن عامر الجهني وقال:

خرج علينا رسول الله (ص) ذات يوم ونحن نتدارس القرآن، قال: تعلّموا القرآن، واقتنوه، فإنه أشدّ تفلتاً من المخاض في عقلها. أي: أشدّ تفلتاً من الناقة المشدودة بالعقال ساعة الولادة^(١٤):

وكانوا يقرؤون أبناءهم ونساءهم القرآن، فقد روى أحمد وابن ماجه عن زياد بن ليبي الأنصاري أنه قال:

ذكر النبي (ص) شيئاً، فقال «ذاك عند أوان ذهاب العلم».

قال: قلت: يا رسول الله وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونقرئه أبناءنا ويقرئنا أبناءنا أبناءهم إلى يوم القيامة؟ قال.... أو ليس هذه اليهود والنصارى يقرؤون التوراة والإنجيل لا يعملون بشيء مما فيها^(١٥).

إهتمام الرسول (ص) بالسور الطوال

وكان الرسول (ص) يعني بسورة البقرة عناية خاصة ثم ما بعدها من السور الكبار ومن موارد ذلك ما رواه.

البيهقي وأحمد بسندهما، روي عن أم المؤمنين عائشة أنها قالت:

«كنت أقوم مع رسول الله (ص) في الليل، فيقرأ بالبقرة وآل عمران والنساء فإذا مر بآية فيها استبشار، دعا ورغب، وإذا مر بآية فيها تخويف، دعا

(١٤) مسند احمد ١٥٣/٤.

(١٥) سنن ابن ماجه ١٣٤٤/٢ كتاب الفتن باب ذهاب القرآن والعلم، ومسند احمد

واستعاذ»^(١٦).

وفي سنن البيهقي: عن عوف بن مالك الاشجعي قال: قمت مع رسول الله (ص) ليلة، فقام فقرأ البقرة لا يمر بآية رحمة، إلا وقف، فسأل، ولا يمر بآية عذاب، إلا وقف، فتعوذ، ثم ركع بقدر قيامه يقول في ركوعه: سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة ثم سجد بقدر قيامه ثم قال في سجوده مثل ذلك ثم قام فقرأ بآل عمران ثم قرأ سورة سورة^(١٧).

ويرغب المسلمون في استظهار سورة البقرة كما جاء في صحيح مسلم ومسندهما عن أبي امامة الباهلي قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: اقرؤا القرآن فانه يأتي يوم القيامة شفيحاً لأصحابه.

اقرؤا الزهراوين سورة البقرة وسورة آل عمران، فانها يأتیان يوم القيامة كأنهما غيايتان أو كأنهما غمامتان أو كأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن صاحبهما، اقرؤا سورة البقرة فان أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها بطة^(١٨).

وفي صحيح مسلم وسنن النسائي والبيهقي ومسندهما أحمد بسندهم عن حذيفة قال: صلّيت مع رسول الله (ص) ليلة من رمضان، فافتتح البقرة، فقلت يصلي بها ركعة، ثم افتتح النساء، فقرأها ثم افتتح آل عمران، فقرأها مترسلاً اذا مر بآية فيها تسبيح سبح، واذا مر بسؤال سأل، واذا مر بتعوذ تعوذ، واذا مر بآية فيها تنزيه لله عزوجل سبح^(١٩).

(١٦) سنن البيهقي كتاب الصلاة باب الوقوف ٣١٠/٢، ومسندهما أحمد ٩٢/٦ و١١٩، والدر

المنثور للسيوطي ١٨/١.

(١٧) سنن البيهقي كتاب الصلاة باب الوقوف ٣١٠/٢، والدر المنثور للسيوطي ١٨/١.

(١٨) مسلم ٥٥٣/١ كتاب المسافرين باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، ومسندهما أحمد ١٨٣/٤، والدر المنثور للسيوطي ١٨/١. ولا يستطيعها البطلة: أي لا يقدر على تحصيلها السحرة.

(١٩) سنن البيهقي كتاب الصلاة باب الوقوف عند آية الرحمة وآية العذاب وآية التسبيح

وفي صحيح مسلم وسنن الترمذي ومسنند أحمد بسندهم عن نواس بن سمعان قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: يؤتى بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمهم سورة البقرة وآل عمران قال: وضرب لها رسول الله (ص) ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد قال كأنها غمامتان أو كأنها غيايتان أو كأنها ظلتان سوداوان بينهما شرف أو كأنها فرقان من طير صواف يحاجان عن صاحبها^(٢٠).

وفي صحيح مسلم ومسنند أحمد وسنن الدارمي ومستدرك الحاكم وصححه الذهبي عن بريدة قال: قال رسول الله (ص): تعلموا سورة البقرة فان أخذها بركة وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة ثم سكت ساعة، ثم قال: تعلموا سورة البقرة، وآل عمران فانهما الزهراوان يظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما اقرأ سورة البقرة فان أخذها بركة وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة^(٢١).

وفي صحيح مسلم وسنن الترمذي ومسنند أحمد ومستدرك الحاكم واللفظ للأول عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال: لا تجعلوا بيوتكم مقابر. إن

→

٣٠٩/٢، والنسائي باب تسوية القيام والركوع والقيام بعد الركوع والسجود ٢٢٥/٣ - ٢٢٦، ومسنند أحمد ٣٨٤/٥ و٣٩٧، ومسلم كتاب الصلاة باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل ٥٣٦/١ - ٥٣٧، والدر المنثور للسيوطي ١٨/١.

(٢٠) مسلم كتاب المسافرين باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة ٥٥٤/١، ومسنند أحمد ١٨٣/٤، والترمذي ١٤/١١ باب فضائل القرآن، والدر المنثور للسيوطي ١٨/١.

(٢١) سنن الدارمي كتاب فضائل القرآن باب في فصل سورة البقرة وآل عمران ٤٤٦/٢ و٤٥٠، وصحيح مسلم كتاب المسافرين باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة ٥٥٣/١، ومسنند أحمد ٢٤٩/٥ و٢٥١ و٢٥٥ و٢٥٧ و٣٤٨ و٣٥٢ و٣٦١، ومستدرك الحاكم ٢٨٧/٢ كتاب التفسير، والدر المنثور للسيوطي ١٨/١.

الشیطان ینفر من البیت الذی یقرأ فیہ سورة البقرة ولفظ الترمذی: وإن البیت الذی یقرأ فیہ سورة البقرة لا یدخله الشیطان و فی لفظ الحاکم عن عبد الله عن الرسول (ص) اقرؤا سورة البقرة فی بیوتکم فان الشیطان لا یدخل بیتاً تقرأ فیہ سورة البقرة^(۲۲).

إضافة إلى ما قاله الرسول (ص) لأصحابه فی فضائل استظهار سورة البقرة جعل لمن حفظها عن ظهر قلب ميزة علی غیره و مرّ بنا آنفاً أن أبا هريرة قال:

بعث رسول الله (ص) بعنا وهم ذوو عدد، فاستقرأهم فاستقرأ كل رجل منهم یعنی ما معه من القرآن فاتى على رجل منهم من أحدثهم سنّاً فقال: ما معك یا فلان؟ قال: معي كذا وكذا وسورة البقرة. قال: أمعك سورة البقرة؟ قال: نعم. قال: اذهب فأنت أميرهم. فقال رجل من أشرافهم: والله ما منعی أن أتعلم سورة البقرة إلا خشية أن لا أقوم بها فقال رسول الله (ص) تعلموا القرآن و اقرؤوه فان مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه وقام به كمثل جراب محشو مسكا يفوح ريحه فی كل مكان ومثل من تعلمه فیرقد وهو فی جوفه كمثل جراب أوكى على مسك^(۲۳).

و فی غزوة حنین قال ابن كثير:

كان رسول الله (ص) لما غشيه القوم قام فی الركابین ... و نادى أصحابه فقال ... یا بني الخزرج یا أصحاب سورة البقرة وأمر من أصحابه من ینادی بذلك^(۲۴).

(۲۲) المستدرک کتاب التفسیر ۲/۲۶۰، وصحیح مسلم باب استحباب صلاة النافلة من بیته وجوازها فی المسجد ۱/۵۳۹، والترمذی باب فضائل القرآن ۱۱/۱۰، ومسنّد احمد ۲/۲۸۴ و ۳۳۷ و ۳۷۸ و ۳۸۸، والدر المنثور للسيوطی ۱/۱۹.

(۲۳) مرّ ذکر مصادره فی الصفحة رقم ۱۶۷ الهامش رقم ۳.

(۲۴) تاریخ ابن كثير ط. بیروت سنة ۱۴۰۸هـ ۶/۳۵۷.

وفي عيون الأثر عن العباس بن عبدالمطلب ما موجزه: إني لمع رسول الله (ص) أخذ بحكمة بغلته وقد شجرتها بها. قال وكنت امرأةً جسيماً شديداً الصوت فقال: يا عباس! اصرخ يا معشر الأنصار... (٢٥).

وفي كنز العمال:

فنادى العباس: ابن المهاجرون ابن أصحاب سورة البقرة بصوت عال (٢٦).

هكذا جعل رسول الله (ص) لحفظ سورة البقرة عن ظهر قلب شأناً عظيماً، فاهتم المسلمون بذلك.

وفي مسند أحمد بسنده عن أنس بن مالك قال: كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جدّ فينا، يعني عظم. وفي رواية يعد فينا عظيماً (٢٧).

وجاء في فضل السبع الأول من القرآن الكريم في كنز العمال ٥٧٢/١ الحديث ٢٥٨٤:

«من أخذ السبع الأول من القرآن فهو خير».

وعلى أثر ذلك تسابق الصحابة في استظهار سورة البقرة.

فقد روى القرطبي في تفسير سورة البقرة بسنده وقال:

تعلم عمر البقرة في اثنتي عشرة سنة، فلما ختمها نحر جزورا وفي رواية بعدها شكر الله وان عبد الله بن عمر مكث على سورة البقرة ثماني سنين يتعلمها (٢٨).

وفي موطأ مالك:

(٢٥) عيون الأثر لابن سيد الناس ط. بيروت سنة ١٩٧٤م ١٩١/٢.

(٢٦) كنز العمال ط. بيروت سنة ١٤٠٩هـ ٥٤٥/١٠ رقم الحديث ٣٠٢٦٩.

(٢٧) مسند أحمد ١٢٠/٣.

(٢٨) تفسير القرطبي ٤٠/١، وسيرة عمر لابن الجوزي ص ١٦٥.

عن ابن عمر قال: تعلم عمر البقرة في اثنتي عشرة سنة فلما ختمها نحر جزوراً.

وذكر مالك في الموطأ أنه بلغه أن عبد الله بن عمر مكث على سورة البقرة ثمانين سنة يتعلمها^(٢٩).

وفي تفسير السيوطي:

أخرج عبد الرزاق وابن أبي شيبة معاً في المصنف عن عروة قال كان شعار أصحاب النبي (ص) يوم مسيلمة يا أصحاب سورة البقرة^(٣٠).

وذكر الرسول (ص) أهمية سورة هود وأخواتها وقال كما في كنز العمال (١/ ٥٧٣):

أ - الحديث ٢٥٨٦ - شيبتي هودٌ وأخواتها .

ب - الحديث ٢٥٨٧ - شيبتي هودٌ وأخواتها الواقعة والحاقة وإذا الشمس كورت .

ج - الحديث ٢٥٨٨ - شيبتي هودٌ والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت .

د - الحديث ٢٥٨٩ - شيبتي هودٌ وأخواتها قبل المشيب .

هـ - الحديث ٢٥٩٠ - شيبتي سورة هودٍ وأخواتها الواقعة والحاقة وإذا الشمس كورت وسأل سائل .

و - الحديث ٢٥٩١ - شيبتي هودٌ وأخواتها وما فعل الأمم قبلي .

وذكر (ص) أهمية سور أخرى وقال (ص):

عن وائلة بن الاسقع أن النبي (ص) قال: أعطيت مكان التوراة السبع وأعطيت مكان الزبور المثين وأعطيت مكان الإنجيل المثاني وفضلت

(٢٩) موطأ مالك ٢٠٥/١ كتاب القرآن باب ماجاء في القرآن الحديث ١١.

(٣٠) تفسير السيوطي ٢١/١، وفي تاريخ ابن كثير ٣٥٧/٦ في ذكر خبر قتال مسيلمة.

بالمفصل^(٣١).

وأخرج الدارمي : قال عبد الله السبع الطوال مثل التوراة والمئين مثل الانجيل والمثاني مثل الزبور وسائر القرآن بعد فضل^(٣٢).
وقال السيوطي في خاتمة النوع الثامن عشر لجمع القرآن وترتيبه ما موجزه:

السبع الطوال أولها البقرة وآخرها براءة كذا قال جماعة. وعن ابن عباس قال السبع الطوال البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف والسابع الكهف (والمثون) ما وليها سميت بذلك لأن كل سورة منها تزيد على مائة آية أو تقاربها (والمثاني) ما ولي المئين (والمفصل) ما ولي المثاني من قصار السور وآخره سورة الناس بلا نزاع^(٣٣).

* * *

كان ذلكم بعض أخبار كيفية إقراء الرسول (ص) القرآن لأصحابه وحثه إياهم على حفظه عن ظهر قلب وأخبار اهتمامه ببعض السور وفي ما يأتي نبين بعض أخبار من قرأ القرآن على النبي (ص) وجمعه وكتبه على عهده.

من قرأ القرآن على النبي و من جمعه على عهده و من كتبه من الصحابة:

أقرأ الرسول جميع الصحابة ما تيسر له من القرآن أداءً لواجبه التبليغي وقرأ عليه جميع الصحابة ما تيسر لهم من القرآن أداءً لواجبهم الإسلامي أما من جمع منهم القرآن على عهده (ص) وكتب فلا يمكن إحصاؤهم وما جاء في بعض الروايات من جمع القرآن على عهد الرسول (ص) أو كتب ليس من باب

(٣١) مسند أحمد ٤ / ١٠٧ وكنز العمال ١ / ٥٧٣.

(٣٢) سنن الدارمي ٢ / ٤٥٣.

(٣٣) الاتقان للسيوطي ١ / ٦٥.

الحصر و الاحصاء وإِنما ذكرت أسماؤهم لمناسبة في المقام وما جاء عن الصحابي أنس بن مالك في حصر من جمع القرآن على عهد الرسول (ص) ببعض الأنصار مردود كما نبينه في ما يأتي بأذنه تعالى :

قول الصحابي أنس في من جمع القرآن على عهد النبي (ص)

في صحيح البخاري عن أنس أنه قال:

مات النبي (ص) ولم يجمع القرآن غير أربعة أبو الدرداء ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد قال ونحن ورثناه^(٣٤).

وفي رواية أخرى:

عن قتادة قال: سألت أنس بن مالك: من جمع القرآن على عهد النبي (ص) قال أربعة كلهم من الأنصار: أي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد ابن ثابت وأبو زيد^(٣٥).

وفي رواية :

قال قتادة: قلت: من أبو زيد قال: أحد عمومي^(٣٦).

(٣٤) صحيح البخاري ٣ / ١٥٢؛ والبرهان للزركشي ١ / ٢٤١؛ والانتقان ١ / ٧٢؛ وتذكرة الحفاظ ١ / ٢٥.

وقوله : ونحن ورثناه: أي أبا زيد .

(٣٥) صحيح البخاري ٣ / ١٥٢ كتاب فضائل القرآن باب القراء من أصحاب النبي (ص) وفيه رواية أخرى عن ثمامة عن أنس. طبقات ابن سعد ٢ / ١١٣؛ وتفسير القرطبي ١ / ٥٦ - ٥٧؛ والبرهان للزركشي ١ / ٢٤١؛ والانتقان ١ / ٧٢؛ وعمدة القاري ٢٠ / ٢٦؛ وتذكرة الحفاظ ١ / ٣١؛ وسير أعلام النبلاء ٢ / ٤٣١.

(٣٦) كنز العمال ٢ / ٣٩٠ .

دراسة الحديث:

نرى انه اعتمد أحاديث الصحابي أنس من قال: بحصر جمع القرآن على الأنصار مثل الشعبي^(٣٧) ومحمد بن كعب القرظي^(٣٨) وابن كثير^(٣٩) وغيرهم^(٤٠).

وقد أنكر العلماء على أنس هذا القول وحاول بعضهم توجيهه مثل: السندي في حاشيته على الرواية الأولى في صحيح البخاري حيث قال: «أي لم يجمعه غيرهم في علمي، أو من الأوس، وإلا فقد كان ممن يجمعه إذ ذاك كثير من الصحابة، كما هو معلوم»^(٤١).

وقال القرظي في تفسيره:

قال ابن الطَّيِّب (رض): لا تدل هذه الآثار على أن القرآن لم يحفظه في حياة النبي (ص) ولم يجمعه غير أربعة من الأنصار كما قال أنس بن مالك، فقد ثبت بالطرق المتواترة أنه جمع القرآن عثمان وعليّ وتميم الداريّ وعُباد بن الصامت وعبد الله بن عمرو بن العاص. فقول أنس: لم يجمع القرآن غير أربعة، يحتمل أنه لم يجمع القرآن وأخذه تلقيناً من في رسول الله (ص) غير تلك الجماعة؛ فإن أكثرهم أخذ بعضه عنه وبعضه عن غيره، وقد تظاهرت الروايات بأن الأئمة الأربعة جمعوا القرآن على عهد النبي (ص) لأجل سبقهم إلى الإسلام، وإعظام الرسول (ص) لهم^(٤٢).

وفي البرهان للزركشي:

٣٧ و ٣٨) كنز العمال ٢ / ٣٧٤. الحديث ١٩١٥ و ١٩١٦.

٣٩) راجع ترجمة أبي بن كعب ومعاذ بن جبل في تاريخ ابن كثير ٧ / ٩٧ و ٩٥.

٤٠) راجع ترجمة قيس بن السكن في الاصابة .

٤١) حاشية السندي على صحيح البخاري ط. دار الكتب المصرية سنة ١٣٢٧ هـ.

٣ / ١٥٢، وطبعة الأفتست لبنان، دار المعرفة، سنة ١٣٩٨ هـ، ٣ / ٢٢٨.

٤٢) تفسير القرطبي ١ / ٥٧ .

وقال الماوردي: وكيف يمكن الإحاطة بأنه لم يكمله سوى أربعة،
والصحابة متفرقون في البلاد! وإن لم يكمله سوى أربعة فقد حفظ جميع أجزاءه
مثنون لا يحصون.

قال الشيخ: وقد سمي الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام القراء من
الصحابة في أول كتاب القراءات له، فسمى عدداً كثيراً^(٤٣).

وفي عمدة القارئ في شرح صحيح البخاري:

إن قصارى الأمر أن أنساً قال جمع القرآن على عهده (ص) أربعة قد
يكون المراد إني لا أعلم سوى هؤلاء ولا يلزمه أن يعلم كل الحافظين لكتاب
الله تعالى^(٤٤).

وروى في الاتقان عن البخاري:

وفيه - في الحديث الأول - المخالفة لحديث قتادة من وجهين أحدهما
التصريح بصيغة الحصر في الأربعة والآخر ذكر أبي الدرداء بدل أبي بن كعب
وقد استنكر جماعة من الأئمة الحصر في الأربعة وقال المازري لا يلزم من قول
أنس لم يجمعه غيرهم أن يكون الواقع في نفس الأمر كذلك لأن التقدير أنه
لا يعلم أن سواهم جمعه وإلا فكيف الإحاطة بذلك مع كثرة الصحابة وتفرقهم
في البلاد وهذا لا يتم إلا إن كان لقي كل واحد منهم على انفراده وأخبره عن
نفسه أنه لم يكمل له جمع في عهد النبي (ص) وهذا في غاية البعد في العادة وإذا
كان المرجع إلى ما في علمه لم يلزم أن يكون الواقع كذلك قال وقد تمسك بقول
أنس هذا جماعة من الملاحدة ولا متمسك لهم فيه .

وقال القرطبي قد قتل يوم اليمامة سبعون من القراء وقتل في عهد
النبي (ص) ببئر معونة مثل هذا العدد وإنما خص أنس الأربعة بالذكر لشدة

(٤٣) البرهان للزركشي ١ / ٢٤٢ .

(٤٤) عمدة القاري ٢٠ / ٢٧ - ٢٨ .

تعلقه بهم دون غيرهم أو لكونهم كانوا في ذهنه دون غيرهم^(٤٥).
ويرد على قول أنس بالاضافة إلى ما ذكروا :

إن المهاجرين سبقوا الأنصار إلى الإسلام عشر سنوات وأكثر من ذلك
أو أقل، فكيف لم يكن فيهم مهاجري واحد قد جمع القرآن، وقد كان الصحابة
الآتية أساؤهم ممن جمع القرآن على عهد النبي (ص):

أ - علي بن أبي طالب^(٤٦).

ب - سعد بن عبيد بن النعمان بن زيد.

ج - أبو الدرداء عويمر بن زيد.

د - أبو زيد ثابت بن زيد بن النعمان.

هـ - عبيد بن معاوية بن زيد بن الضحاك.

و - أم ورقة بنت عبد الله.

* * *

ينقسم الذين جمعوا القرآن على عهد الرسول إلى صنفين منهم من
اشتهروا بذلك وهم من مشاهير الصحابة وفي مقدمتهم الإمام علي وفي ما يأتي
نورد مثلاً بخبر واحد من أخبار من اشتهر بالقراءة والإقراء من المهاجرين .
جاء في كنز العمال :

عن زُرِّ بن حُبَيْش قال: قرأتُ القرآن من أوله إلى آخره على علي بن
أبي طالب، فلما بلغتُ الحواميم قال: لقد بلغتُ عرائس القرآن، فلما بلغتُ رأسَ
ثنتين وعشرين آية من جمسق ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ

(٤٥) الاتقان للسيوطي ١/ ٧٢ - ٧٣ .

(٤٦) جاء تفصيل أخذ الامام علي القرآن وتفسير القرآن من الرسول في الجزء الثاني من
معالم المدرستين في بحث أسناد حديثهم إلى جدتهم الرسول (ص) من الفصل الرابع.

الجنات ﴿ الآية بكى حتى ارتفع نحيبه، ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: يا زُرَّامن
على دعائي، ثم قال: اللهم إني أسألك إخبارات المخبتين، وإخلاص الموقنين،
ومرافقة الأبرار...

وقال في آخر الدعاء :

يا زُرَّا إذا ختمت فادع بهذه فإن حبيبي رسول الله (ص) أمرني أن أدعو
بهنَّ عند ختم القرآن .

وزرَّ بن حُبَيْش أبو مريم أبو مطرف الكوفي مخضرم أدرك الجاهلية. روى
عن عمر و عثمان وعلي وأبي ذر .

قال ابن سعد وابن معين: كان ثقة كثير الحديث وكان عالماً بالقرآن توفي
سنة ٨٣ وعمره ١٢٧^(٤٧).

وهذا الحديث يدل على أن الإمام علياً كان قد جمع القرآن كله على عهد
الرسول (ص) أما عن ظهر قلب أو مكتوباً في نسخة ولما علمنا في ما ذكرناه
في المجلد الثاني من معالم المدرستين وما سيأتي ذكره في المجلد الثاني من هذا
الكتاب ان الرسول (ص) والإمام علي كانا يجتمعان يومياً ويملي
الرسول (ص) عليه ما أوحى إليه خلال تغيب أحدهما عن الآخر فلا بد أن
يكون الإمام علي قد أخذ القرآن من الرسول (ص) وعلى أي حال فان
الحديث يدل على أن الإمام علياً كان يختم القرآن على عهد الرسول (ص)، ومن
أقرأ القرآن غيره.

ويضاف إلى المشهورين من القراء في الصحابة القراء السبعون من
أصحاب الرسول (ص) الآتي خبرهم:

(٤٧) كنز العمال ٢ / ٣٥١، رقم الحديث ٤٢٢١؛ وذكر سنة وفاته بترجمته من الإصابة ٢ /
٥٦٠؛ وتهذيب التهذيب ٣ / ٣٢١؛ وحلية الأولياء لأبي نعيم ٤ / ١٨١ .
وزرَّ: بكسر الزاي وتشديد الراء .

خبر القرآء السبعين من أصحاب رسول الله الذين استشهدوا

قال ابن سعد :

في صفر على رأس ستة وثلاثين شهراً من الهجرة قدم عامر بن مالك أبو براء ملاعب الأسنة الكلابي على رسول الله (ص)، فأهدى له فلم يقبل منه و عرض عليه الإسلام فلم يُسلم ولم يُبعد وقال: لو بعثت معي نفرأ من أصحابك إلى قومي لرجوت أن يجيبوا دعوتك ويتبعوا أمرك، فقال: إني أخاف عليهم أهل نجد. فقال: أنا لهم جارٌ إن يعرض لهم أحدٌ. فبعث معه رسول الله (ص) سبعين رجلاً من الأنصار شبيبةً يُسمون القرآء وأمر عليهم المنذر بن عمرو والساعدي، فلما نزلوا بيئر معونة، وهو ماء من مياه بني سليم وهو بين أرض بني عامر وأرض بني سليم، كلا البلدين يُعدّ منه وهو بناحية المعدن، نزلوا عليها وعسكروا بها وسرحوا ظهرهم وقدموا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله (ص)، إلى عامر ابن الطفيل فوثب على حرام فقتله واستصرخ عليهم بني عامر فأبوا وقالوا: لا يُخفّر جوار أبي براء، فاستصرخ عليهم قبائل من سليم عصيةً ورعلاً وذكوان فنفروا معه ورأسوه. واستبطن المسلمون حراماً فأقبلوا في أثره فلقبهم القوم فأحاطوا بهم فكاثروهم فتقاتلوا فقتل أصحاب رسول الله (ص)، وفيهم سليم ابن ملحان والحكم بن كيسان في سبعين رجلاً، فلما أحيط بهم قالوا: اللهم إنا لا نجد من يبلغ رسولك منا السلام غيرك فأقرئه منا السلام. فأخبره جبرائيل (ع) بذلك فقال: وعليهم السلام؛ وبقي المنذر بن عمرو فقالوا: إن شئت آمنك، فأبى وأتى مصرع حرام فقاتلهم حتى قتل؛ وكان معهم عمرو بن أمية الضمري فقتلوا جميعاً غيره، فقال عامر بن الطفيل: قد كان على أمي نسمة فانت حرّ عنها، وجزّ ناصيته. وفقد عمرو بن أمية عامر ابن فهيرة من بين القتلى فسأل عنه عامر بن الطفيل فقال: قتله رجل من بني كلاب يُقال له

جَبَّارُ بْنُ سُلَيْمٍ، لَمَّا طَعَنَهُ قَالَ: فَزْتُ وَاللَّهِ! (٤٨).

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ :

قَالَ أَنَسٌ: كُنَّا نَسْمِيهِمُ الْقُرَّاءَ يَحْطُبُونَ بِالنَّهَارِ وَيَصْلُونَ بِاللَّيْلِ (٤٩).

وَجَاءَ أَكْثَرُ تَفْصِيلًا فِي طَبَقَاتِ ابْنِ سَعْدٍ حَيْثُ قَالَ:

جَاءَ نَاسٌ إِلَى النَّبِيِّ (ص) فَقَالُوا: ابْعَثْ مَعَنَا رِجَالًا يَعْلَمُونَ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ. فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ سَبْعِينَ رِجَالًا مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُمُ الْقُرَّاءُ فِيهِمْ خَالِي حَرَامٌ، كَانُوا يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ وَيَتَدَارَسُونَ بِاللَّيْلِ وَيَتَعَلَّمُونَ، وَكَانُوا بِالنَّهَارِ يَجِئُونَ بِالمَاءِ فَيَضَعُونَهُ بِالمَسْجِدِ وَيَحْتَطُبُونَ فَيَبِيعُونَهُ وَيَشْتَرُونَ بِهِ الطَّعَامَ لِأَهْلِ الصَّفَةِ وَالْفُقَرَاءِ فَبَعَثَهُمُ النَّبِيُّ (ص) إِلَيْهِمْ فَعَرَضُوا لَهُمْ فَقَتَلُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغُوا الْمَكَانَ ... الْحَدِيثُ (٥٠).

وَمِنَ الْقُرَّاءِ مَنْ لَمْ يَشْتَهَرَ فِي عِدَادِ قُرَّاءِ الصَّحَابَةِ مِثْلُ :

أ - عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ .

جَاءَ فِي كَنْزِ الْعَمَالِ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: جَمَعْتُ الْقُرْآنَ، فَقَرَأْتُ بِهِ فِي لَيْلَةٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص): اقْرَأْهُ فِي شَهْرٍ، قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أَسْتَمْتِعَ مِنْ قَوْتِي وَشَبَابِي، قَالَ: اقْرَأْهُ فِي عَشْرِينَ، قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أَسْتَمْتِعَ مِنْ قَوْتِي وَشَبَابِي، قَالَ: اقْرَأْهُ فِي عَشْرِ، قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أَسْتَمْتِعَ مِنْ قَوْتِي وَشَبَابِي، قَالَ: اقْرَأْهُ فِي سَبْعِ لَيَالٍ، قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أَسْتَمْتِعَ مِنْ قَوْتِي وَشَبَابِي فَأَبَى (٥١).

ب - ابْنُ أُمِّ عَبْدِ - عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَسَالِمُ مَوْلَى أَبِي حَذِيفَةَ

(٤٨) طَبَقَاتُ ابْنِ سَعْدٍ ٢ / ٥١ - ٥٢ .

(٤٩) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ٢ / ١٢١ . كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسَّيْرِ ، بَابُ الْعَوْنِ بِالمَدَدِ .

(٥٠) طَبَقَاتُ ابْنِ سَعْدٍ ٢ / ٣ .

(٥١) كَنْزُ الْعَمَالِ ٢ / ٣٥١ ، رَقْمُ الْحَدِيثِ ٤٢٢١ .

روي عن عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله (ص) يقول خذوا القرآن من أربعة من ابن عبد وبدأ به ومن أبي بن كعب ومن سالم مولى أبي حذيفة ومن معاذ بن جبل^(٥٢).

وهذا الحديث يدل على أنّ هؤلاء الأربعة أما أن يكون كل واحد منهم قد جمع القرآن عن ظهر قلب ولاطمئنان الرسول (ص) بذلك يهدي المسلمين أن يأخذوا القرآن منهم أو أن يكون لدى كل واحد منهم نسخة كاملة من القرآن الكريم ودلالة الحديث على الأمر الثاني أقوى وأهم.

د - ه - و - ز - ح - ط: أبي بن كعب وزيد بن ثابت وعشان بن عفان وتميم الداري ومعاذ بن جبل وأبو الدرداء

لما جاء في طبقات ابن سعد^(٥٣)، باب ذكر من جمع القرآن على عهد رسول الله (ص):

أولاً - عن محمد بن سيرين قال: جمع القرآن على عهد النبي (ص)، أبي ابن كعب وزيد بن ثابت وعشان بن عفان وتميم الداري^(٥٤).

ثانياً - عن عامر الشعبي قال: جمع القرآن على عهد رسول الله (ص)، ستة رهط من الأنصار: معاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وأبو الدرداء وأبو زيد وسعد بن عبيد، قال: قد كان بقي على المجمعين جارية سورة أو سورتان حين قبض النبي^(٥٥).

(٥٢) راجع ترجمته في الاستيعاب ١ / ٣٦٠ و ٢ / ٥٦٢ ، وأسد الغابة ٢ / ٣٠٧ ؛ والانتقان للسيوطي ١ / ٧٢ .

(٥٣) طبقات ابن سعد ٢ / ٣٥٥ .

(٥٤) محمد بن سيرين الأنصاري، أبو بكر بن أبي عمرة، البصري، ثقة، ثبت عابد، كبير القدر، كان لا يرى الرواية بالمعنى، من الثالثة - الطبقة الوسطى من التابعين، مات سنة عشر ومائة (تقريب التهذيب ٢ / ١٦٩).

(٥٥) عامر بن شراحيل الشعبي: أبو عمرو، ثقة، مشهور، فقيه فاضل، من الثالثة

وجاء فيه - أيضاً - عن الشعبي:

قال: جمع القرآن على عهد رسول الله (ص)، ستة نفر: أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وأبو الدرداء وزيد بن ثابت وسعد وأبو زيد. قال: وكان يجمع ابن جارية قد جمع القرآن إلا سورتين أو ثلاثاً، وكان ابن مسعود قد أخذ بضعا وتسعين سورة وتعلم بقية القرآن من يجمع.

ي - ثابت بن زيد بن قيس بن زيد الخزرجي الحارثي ويكنى أبا زيد أخبرنا أبو زيد الأنصاري البصري النحوي واسمه سعيد بن أوس بن ثابت بن بشير بن أبي زيد قال: وثابت بن زيد بن قيس هو جدي، وقد شهد أحداً وهو أحد الستة الذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله (ص) وكان قد نزل البصرة واختط بها، ثم قدم المدينة فبات بها في خلافة عمر بن الخطاب فوقف عمر على قبره فقال: رحمك الله أبا زيد، لقد دفن اليوم أعظم أهل الأرض أمانة^(٥٦).

وموجز الخبر بترجمته في الاصابة ٢٢٠/١ وفي أسد الغابة ٢٦٩/١ : وهذا غير أبو زيد الذي جاء اسمه في رواية أنس والذي جمع القرآن على عهد النبي (ص) اختلفوا في اسمه وقد رجعنا في ترجمته إلى الاصابة حيث قال: (أبو زيد) الذي جمع القرآن - وقع في حديث أنس في صحيح البخاري غير مسمى وقال أنس هو أحد عمومي واختلفوا في اسمه فقيل أوس وقيل ثابت بن زيد وقيل معاذ وقيل سعد بن عبيد وقيل قيس بن السكن وهذا هو الراجح كما بينته في حرف القاف . وقال في حرف القاف ما موجزه .

→

- الطبقة الوسطى من التابعين - قال مكحول: ما رأيت أفقه منه، مات بعد المائة، وله نحو من ثمانين (تقريب التهذيب ١/ ٣٨٧).

(٥٦) طبقات ابن سعد ٢/ ٢٧ .

(قيس) بن السكن بن زعوراء وقيل بن السكن وزعوراء قيس آخر الأنصاري - ذكره موسى بن عقبة فيمن شهد بدرًا .

وفي صحيح البخاري عن أنس في تسمية من جمع القرآن أبو زيد قال أنس هو أحد عمومتي وقد أخرجه أبو نعيم في المستخرج عن البخاري وابن حبان وابن السكن وابن منده من الوجه الذي أخرجه منه البخاري وزادوا أن اسمه قيس بن السكن وكان من بني عدي بن النجار ومات ولم يدع عقباً قال أنس فورثناه .

وانما قلنا ان أبا زيد الثاني غير أبي زيد الأول لأن الأول كان له عقب بالبصرة وتوفي في خلافة عمر بن الخطاب وأبو زيد الثاني والمستخرج ترجمته من رواية أنس قال عنه استشهد ببدر ونحن ورثناه وهذا الصحابي لم نجد له ذكراً في غير روايات أنس وعلى ذلك يسوغ لنا أن نعهده من الصحابة المختلفين .

تراجم القراء من الصحابة^(٥٧)

ونبدأ بذكر تراجم من وجدنا أسماؤهم ممن استشهد منهم يوم بئر معونة:
أ - أميرهم: المنذر بن عمرو والساعدي الخزرجي
كان يكتب بالعربية قبل الإسلام وكان أحد النقباء الاثني عشر في بيعة العقبة الثانية أمره رسول الله (ص) على أصحاب بئر معونة فاستشهد كما ذكرناه (طبقات ابن سعد ٣ / ٥٥٥).

ب - أبو شيخ أبي بن ثابت بن المنذر من بني النجار
شهد بدرًا وأحدًا واستشهد يوم بئر معونة (طبقات ابن سعد ٣ / ٥٠٤).
ج و د - أنس وأبي ابني معاذ بن أنس من بني ساعدة

(٥٧) اقتصرنا في إيراد تراجم القراء من الصحابة على إيراد تراجم غير المشهورين من الصحابة ولا حاجة لإيراد تراجم القراء المشهورين مثل الخلفاء.

من الأنصار، شهد أنس بدرًا وأحدًا وشهد معه أحدًا أخوه أبي وشهدا
- أيضاً - بئر معونة وأستشهدا في المعركة (طبقات ابن سعد ٣ / ٥٠٢).

هـ - أبو سعد الحارث بن الصِّمة من بني النجار

كان ممن خرج مع رسول الله (ص) إلى بدر فكسر بالروحاء فردّه
الرسول (ص) وضرب له بسهمه وأجره، شهد أحدًا واستشهد في بئر معونة
(الاستيعاب بهامش الاصابة ٢ / ٢٩٨؛ وأسد الغابة ١ / ٣٣٣ - ٣٣٤؛
والاصابة ٢ / ٢٨٠؛ وطبقات ابن سعد ٣ / ٥٠٨ - ٥٠٩).

ووز - سليم وحرام ابني ملحان الخزرجي من بني النجار

خالا أنس بن مالك، استشهدا في المعركة، جاء رجل خلف حرام قطعنه
برمح فقال حرام فزت وربّ الكعبة (طبقات ابن سعد ٣ / ٥١٤ - ٥١٥؛ وأسد
الغابة ١ / ٢٩٥ و ٢ / ٣٥٠).

ح - عروة بن أساء بن الصلت السلمي

حليف لبني عمرو بن عوف من الأنصار، حرص المشركون بعروة أن
يؤمنوه فأبى وقال: لا أقبل لكم أماناً ولا أرغب بنفسي عن مصرع أصحابي
وقاتل حتى استشهد (طبقات ابن سعد ٤ / ٣٧٧ - ٣٧٨).

ط وي - مالك وسفيان ابنا ثابت

قال ابن سعد: وهما من النبيّ من الأنصار ذكرهما محمد بن عمر في
كتابه في من استشهد يوم بئر معونة... وقال ابن حجر مالك بن ثابت الأنصاري
الأوسي من بني النبيّ وقال الواقدي: قتل يوم بئر معونة (طبقات ابن سعد
٤ / ٣٧١؛ والاصابة ٣ / ٣٢١).

ك - مسعود بن سعد بن قيس من بني زريق

شهد بدرًا وأحدًا ويوم بئر معونة وقتل يومئذ شهيداً (طبقات ابن سعد
٣ / ٥٩٦).

ل - معاذ بن ماعض الأنصاري الزرقى

الثبت انه شهد بدرأ و أحداً و بئر معونة و قتل يومئذ شهيداً (طبقات ابن سعد ٣ / ٥٩٦؛ وراجع الاصابة ٣ / ٤٠٩).

م - المنذر بن محمد بن عقبة الخزرجي
قتل يوم بدر شهيداً ولا عقب له (طبقات ابن سعد ٣ / ٤٧٣؛ وراجع ترجمته في الاصابة).

و من حلفاء الأنصار كان :

ن - عامر بن فهيرة مولى الخليفة أبي بكر
أسلم بمكة قبل أن يدخل رسول الله (ص) دار الأرقم ويدعو فيها
و كان من المستضعفين بمكة و عذب ليترك دينه فلما هاجر إلى المدينة آخى
الرسول (ص) بينه و بين الحارث بن أوس. قتل في بئر معونة و لم يوجد جسده
حين دفن و كانوا يرون إن الملائكة هي التي دفنته (طبقات ابن سعد ٣ / ٢٣٠ -
٢٣١؛ وراجع ترجمته في الاصابة).

و كان من ضمنهم من غير الأنصار :

س - الحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة
والد أبي جهل و أسر في غير قريش التي أصابها عبدالله بن جحش بنخلة
في أول سرية بعثها رسول الله (ص) أسره المقداد بن عمرو و أراد أمير السرية
أن يضرب عنقه، فقال له المقداد دعه تقدم به على رسول الله (ص) فلما قدموا
عليه جعل رسول الله (ص) بدعوه إلى الإسلام، فأطال، فقال عمر : علامَ
تُكَلِّمُ هذا يا رسول الله ؟ و الله لا يُسَلِّمُ هذا آخر الأبد، دعني أضرب عنقه
و يقدم إلى أمه الهاوية. فجعل النبي (ص) لا يُقْبِلُ على عمر حتى أسلم الحكم
فقال عمر : فما هو إلا أن رأته قد أسلم حتى أخذني ما تقدم و ما تأخر و قلت:
كيف أردت على النبي (ص)، أمراً هو أعلم به مني ثم أقول إنها أردت بذلك
النصيحة لله و لرسوله ؟ فقال عمر : فأسلم و الله فحسن إسلامه و جاهد في الله

حتى قُتِلَ شهيداً ببئر معونة، ورسول الله (ص) راضٍ عنه ودخل الجنان (طبقات ابن سعد ٤/ ١٣٧؛ والاصابة ١/ ٣٤٩).

ع - نافع بن بديل بن ورقاء الخزاعي
شهد بئر معونة واستشهد فقال ابن رواحة بنعى نافعاً:
رحم الله نافع بن بديل رحمة المبتغين ثواب الجهاد
(طبقات ابن سعد ٤/ ٢٩٤؛ والاصابة ٣/ ٥١٤).

ف - عبد الله بن قيس بن صرمة بن أبي أنس
استشهد يوم بئر معونة (الاستيعاب ١/ ٣٨٠).
و نجي منيهم :

ص - عمرو بن أمية بن خويلد من بني عبد مناة بن كنانة
أسرته بنو عامر وقال له عامر بن الطفيل - رئيس المشركين - انه كان
على أمي نسمة فأنت حرّ عنها وحرّ ناصيته فقدم المدينة وأخبر رسول
الله (ص) بقتل من قتل فسرّ رسول الله (ص) بقدومه ودعا له بخير (طبقات
ابن سعد ٤/ ٢٤٨ - ٢٤٩؛ واختصر ترجمته في الاصابة).

* * *

كان ذلكم ما وجدنا من تراجم السبعين من القراء في يوم بئر معونة وفي
ما يأتي تراجم غيرهم من قراء الصحابة:

١ - أبو الطفيل وأبو المنذر أبي بن كعب بن قيس الخزرجي من بني

النجار

شهد بيعة العقبة وهدراً والمشاهد كلها مع رسول الله (ص).
و ترجمته في طبقات ابن سعد (٢/ ٤٩٨ - ٥٠٢) وتاريخ ابن عساكر
وتهذيبه ومختصره (٤/ ١٩٧ - ٢٠٤) ما موجزه:

كان أبي بن كعب يكتب في الجاهلية قبل الإسلام وكتب الوحي لرسول
الله (ص) وقرأ القرآن عليه وقال للخليفة عمر: إني تلقيت القرآن ممن تلقا

من جبرائيل وهو رطب.

وفي طبقات ابن سعد عن أبي أنه كان يختم القرآن في ثباني ليالي وكان تميم الداري يختمه في سبع.

وفي تاريخ ابن عساكر خطب عمر فقال :

من كان يُريد أن يسأل عن القرآن فليأت أباي بن كعب، ومن كان يريد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذ بن جبل، ومن كان يريد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت، ومن كان يريد أن يسأل عن المال فليأتني، فإن الله جعلني له خازناً وقاسماً ... الحديث.

ورويَا بسندهما عن جندب بن عبد الله البجلي ما موجه:

قال: أتيت المدينة ابتغاء العلم، وإذا الناس في مسجد رسول الله (ص) حَلَقُ حَلَقٍ يتحدثون؛ قال: فجعلت أمضي الحلق حتى أتيت حلقة فيها رجل شاحب، عليه ثوبان كأنها قدم من سفر، فسمعتُه يقول: هلك أصحاب العقدة وربُّ الكعبة، ولا آسا عليهم، قالها ثلاث مرّات؛ قال: فجلستُ إليه فتحدث بها قضي له، ثم قام، فلما قام سألت عنه، قلت: من هذا؟ قالوا: هذا أبي بن كعب سيّد المسلمين؛ فتبعته حتى أتى منزله، فإذا هو رثّ المنزل، ورثّ الكسوة يُشبهه بعضه بعضاً، فسلمت عليه، فردّ عليّ السّلام، ثم سألتني: من أنت؟ قلت: من أهل العراق؛ قال: أكثر شيءٍ سؤالاً قال: فلما قال ذلك غضبتُ فجتوتُ على ركبتيّ، وأسفيلت القبلة، ورفعتم يدي، فقلت: اللّهم إنّنا نشكوهم إليك، إنّنا ننفق نفقاتنا، وننصب أبداننا، ونرحل مطايانا ابتغاء العلم، فإذا لقيناهم تجهّمونا وقالوا لنا؛ قال: فبكى أباي، وجعل يترضاني، وقال: ويحك، لم أذهب هناك؛ ثم قال: إنّني أعاهدك لئن أبقيتني إلى يوم الجمعة لأتكلمن بها سمعت من رسول الله (ص) ولا أخاف فيه لومة لائم؛ ثم أراه قام، فلما قال ذلك أنصرفت عنه وجعلت أنتظر الجمعة لأسمع كلامه؛ قال: فلما كان يوم الخميس خرجت لبعض حاجاتي فإذا السكك غاصّة من الناس لا آخذ في سكة إلا تلقاني الناس. فقلت

ما شأن الناس قالوا: نحسبك غريباً قلت: أجل قالوا: مات سيد المسلمين
أبي بن كعب.

قال: فلقيت أبا موسى بالعراق فحدثته بالحديث، فقال: واليهفاء ! ألا
كان بقي حتى يُبلغنا مقالة رسول الله (ص) انتهى.
لست أدري: هل اغتيل أبي بن كعب من قبل أهل العقدة كي لا يفشي
سرهم؟!

اختلفوا في سنة وفاته فقالوا كان في سنة ١٩ و ٢٠ و ٢٢ و ٢٣ راجع
ترجمته في طبقات ابن سعد والاستيعاب و اسد الغابة و الاصابة .
٢ - أم ورقة بنت عبد الله نسبت إلى جدّها الأعلى نوفل الأنصاري،
قالوا في ترجمتها بأسد الغابة:

ان رسول الله (ص) لما غزا بدرأ قالت له ائذن لي فأخرج معك فامرض
مرضاكم لعل الله يرزقني الشهادة قال قري في بيتك فان الله يرزقك الشهادة
قال فكانت تسمى الشهيدة قال وكانت. قد قرأت القرآن فاستأذنت
النبي (ص) في أن تتخذ في دارها مؤذناً فأذن لها قال وكانت قد دبرت غلاما لها
وجارية فقاما إليها بالليل فغمياها بقطيفة لها حتى ماتت وذهباً فأصبح عمر
فقام في الناس فقال من عنده من هذين علم أو من رأها فليجيء بها فأمر بها
فصلبا فكانا أول مصلوب بالمدينة فقال عمر : صدق رسول الله (ص) حين كان
يقول انطلقوا بنا نزور الشهيدة.

٣ - تميم بن أوس الداري

كان راهب أهل فلسطين ثم سكن المدينة على عهد النبي وأسلم سنة
تسع من الهجرة وقصّ على عهد الخليفتين عمر و عثمان في مسجد
الرسول (ص) وفي ترجمته بتاريخ ابن عساكر و تهذيبه و مختصره (٣١٩/٥): انه
كان ممن جمع القرآن على عهد رسول الله (ص) و كان يختم القرآن في
سبع ليالٍ و ان رجلاً أتى تميم الداري فتحدث إليه حتى استأنس إليه فقال

له:

كم جزءاً تقرأ القرآن في ليلة؟ فغضب وقال: لملك من الذين يقرأ أحدهم القرآن في ليلة ثم يصبح فيقول: قد قرأت القرآن في هذه الليلة؟ فوالذي نفس تميم بيده لأن أصلي ثلاث ركعات نافلة أحب إليّ من أن أقرأ القرآن في ليلة ثم أصبح فأقول: قرأت القرآن الليلة. قال: فلما أغضبني قلت: والله إنكم معاشر صحابة رسول الله (ص) - من بقي منكم - لجديرون أن تسكتوا فلا تعلموا وأن تُعنّفوا من سألكم! فلما رأني قد غضبت لأن وقال: ألا أحدثك يا بن أخي؟ قلت: بلى، والله ما جئتك إلا لتحدثني؛ قال: رأيت إن كنت أنا مؤمناً قوياً، وأنت مؤمن ضعيف. فتحمل قولي على ضعفك فلا تستطيع، فتنبت، أو رأيت إن كنت مؤمناً قوياً وأنا مؤمن ضعيف أتيتك ببساطي حتى أحمل قوتك على ضعفي فلا أستطيع فأنت؟ ولكن خذ من نفسك لدينك أو من دينك لنفسك حتى يستقيم بك الأمر على عبادة تطيقها.

٤ - زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري الخزرجي النجاري

بترجمته من مختصر تاريخ دمشق لابن منظور وطبقات ابن سعد ما

موجزه:

قال زيد: قدم النبي المدينة وأنا ابن إحدى عشرة سنة وقرأت عليه سبع عشرة سورة فأعجبه ذلك فقال: يا زيد تعلم لي كتاب يهود فتعلمته وكنتم أكتب له إذا كتب إليهم وإذا كتبوا إليه أقرأه.

وفي مختصر تاريخ دمشق:

قال: وكانت راية بني مالك بن النجار في تبوك مع عمارة بن حزم، فأدركه رسول الله (ص) فأخذها منه، فدفعتها إلى زيد بن ثابت، فقال عمارة: يا رسول الله، بلغك عني شيء؟ قال: لا ولكن القرآن يُقدّم، وكان زيد أكثر أخذاً منك للقرآن.

وفي حديث آخر بمعناه: والقرآن يقدم وإن كان عبداً أسود مجدعاً.

وعن أبي سعيد قال:

لما توفي رسول الله (ص) قام خطباء الأنصار، فجعل بعضهم يقول: يا معشر المهاجرين إن رسول الله (ص) كان إذا بعث رجلاً منكم قرنه برجل منا، فنحن نرى أن يلي هذا الأمر رجلان: رجل منكم، ورجل منا، فقام زيد بن ثابت فقال: إن رسول الله (ص) كان من المهاجرين، وكنا أنصار رسول الله (ص)، وإنما يكون الإمام من المهاجرين، ونحن أنصاره كما كنا أنصار رسول الله (ص). فقال أبو بكر: جزاكم الله خيراً من حيي يا معشر الأنصار، وثبت قائلكم، والله لو قلت غير هذا ما صالحناكم.

وفيه وفي صحيح البخاري باب جمع القرآن من كتاب فضائل القرآن: (إن زيد بن ثابت (رض) قال: أرسل إلي أبو بكر بعد مقتل أهل اليمامة) (قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله (ص) ففتتبع القرآن فاجمعه).

فكانت المصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة بنت عمر.

(فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلني إلينا بالمصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت و... فنسخوها في المصاحف) (وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بها سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق)^(٥٨).

وفي مختصر تاريخ ابن عساكر:

كان عمر يستخلف زيد بن ثابت في كل سفر - أو كل سفر يسافره - وكان يفرق الناس في البلدان، ويوجهه في الأمور المهمة، ويطلب إليه الرجال المسمون، فيقال له: زيد بن ثابت. فيقول: لم يسقط علي مكان زيد، ولكن أهل

(٥٨) صحيح البخاري ٣/ ١٥٠ - ١٥١.

البلد يحتاجون إلى زيد فيما يجدون عنده فيما يحدث لهم ما لا يجدون عند غيره .
يعني انه يعلم بمكان زيد ولكن أهل المدينة يحتاجونه ولا يجدون ما عنده
من العلم عند غيره .

وقال :

استعمل عمر بن الخطاب زيد بن ثابت على القضاء، و فرض له رزقاً .
وقال :

إنَّ عمر بن الخطاب (رض) كان يستخلف زيد بن ثابت إذا خرج إلى
بعض أسفاره، فقلما رجع إلاَّ أقطع زيدا حديقة من نخل .
وقال :

كان مع عمر بن الخطاب لما قدم الشام و خطب بالجمالية عند خروجه
لفتح بيت المقدس، وهو الذي تولَّى قِسمة غنائم اليرموك .
وقال :

ما كان عمر و عثمان يقدمان على زيد بن ثابت أحداً في القضاء،
والفتوى، والفرائض، والقراءة .
وقال :

لما ردَّ عبد الله بن الأرقم المفتاح استخزن عثمان زيد بن ثابت^(٥٩) .
كان بنو عمرو بن عوف قد أجلبوا على عثمان، وكان زيد بن ثابت يذبُّ
عنه، فقال له قائل منهم: وما يمنعك؟! ما أقلُّ واللَّه من الخزرج من له من
عُضدانِ العجوة ما لك !
قال: فقال له زيد بن ثابت: اشتريتُ بهالي، و قطع لي إمامي عمر بن
الخطاب، و قطع لي إمامي عثمان بن عفان .

(٥٩) بالاضافة إلى مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر راجع تراجمه في طبقات ابن سعد
والاستيعاب وأسد الغابة والاصابة.

فقال له ذلك الرجل: أعطاك عمر بن الخطاب عشرين ألف دينار؟ قال: لا، ولكن عمر كان يستخلفني على المدينة، فوالله ما رجعت من مغيب قط إلا قطع لي حديقة من نخل.

ولما حُصر عثمان أتاه زيد بن ثابت، فدخل عليه الدار، فقال له عثمان: أنت خارج أنفع لي منك ههنا، فذُبت عني. فخرج، فكان يذبُّ الناس، ويقول لهم فيه، حتى رجع لقوله أناس من الأنصار، وجعل يقول: يا للأنصار! كونوا أنصار الله - مرتين - انصروه، والله إن دمه لحرام. فجاء أبو حبة المازني مع ناس من الأنصار، فقال: ما يصلح لنا معك أمر، فكان بينهما كلام، ثم أخذ تلبيب زيد ابن ثابت هو وأناس معه، فمرَّ به ناس من الأنصار، فلما رأوهم أرسلوه. توفي بالمدينة سنة ٤٥ أو ٤٨ أو ٥٥.

٥ - سالم مولى أبي حذيفة القرشي العبشمي

بترجمته في أسد الغابة: (كان من أهل فارس من اصطرخ) (وهو معدود في المهاجرين لأنه لما اعتقته ثببتة الأنصارية زوج أبي حذيفة) (تبناه أبو حذيفة) (وهو معدود في الأنصار لعتق مولاته) (وهو معدود في قريش لما ذكرناه).

و بترجمته في طبقات ابن سعد (٨٧/٣ - ٨٨):

(أقبل سالم مولى أبي حذيفة يؤم المهاجرين من مكة حتى قدم المدينة لانه كان أقرأهم) (كان سالم مولى أبي حذيفة يؤم المهاجرين بقباء فيهم عمر ابن الخطاب قبل أن يقدم رسول الله (ص)).

آخى رسول الله (ص) بينه وبين أبي عبيدة بن الجراح وبينه وبين معاذ ابن معاص الأنصاري.

و بترجمته في أسد الغابة (٣٠٧ / ٢) و الاصابة (٥٧ / ٣):

إنه قيل له يوم اليمامة في اللواء أن يحفظه وقال غيره: نخشى من نفسك شيئاً فنوئي اللواء غيرك فقال بشس حامل القرآن أنا إذاً وقاتل حتى قتل.

٦ - سعد أو سعيد الملقب بالقارئ ابن عبيد بن النعمان

الأنصاري، الأوسي، وكان يدعى في زمن النبي بالقارئ وهو أول من جمع القرآن من الأنصار وكان إمام مسجد عمرو بن عوف فلما قتل بالقادسية سنة خمس عشرة اختصموا في الامامة إلى عمر بن الخطاب (طبقات ابن سعد ٣٥٥/٢ و ٣٧٢/٤؛ وأسد الغابة ٣٥٩/٢ - ٣٦٠ بترجمة سعد وسعيد؛ والاستيعاب ص ٥٥٠).

٧ - عبادة بن صامت أبو الوليد الخزرجي

بايع رسول الله (ص) في بيعة العقبة الأولى وفي الثانية جعله رسول الله (ص) من النقباء الاثني عشر شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله (ص) (٦٠).

كان ممن جمع القرآن على عهد رسول الله (ص) (٦١).
ويعلم أهل الصفة القرآن (٦٢).

وبترجمة أبي الدرداء، عويمر بتاريخ ابن عساكر ومختصره (١٩/١٩ - ٢٠) ما موجزه:

في زمان الخليفة عمر كتب إليه يزيد بن أبي سفيان واليه على الشام: إن أهل الشام قد كثروا ورتلوا (٦٣) وملئوا المدائن، واحتاجوا إلى من يعلمهم القرآن ويفقههم؛ فأعني يا أمير المؤمنين برجال المؤمنين برجال يعلمونهم فأرسل إلى الشام معاذ وعبادة وأبو الدرداء وقال لهم: ابدؤوا بحمص، فإنكم ستجدون الناس على

(٦٠) بترجمته في مختصر تاريخ دمشق .

(٦١) في باب من جمع القرآن على عهد رسول الله (ص) بطبقات ابن سعد ٣٥٦/٢ .

وبترجمته من الاصابة عن طبقات ابن سعد وتاريخ البخاري.

(٦٢) بترجمته في أسد الغابة .

(٦٣) رتلوا : كثر عددهم ونموا .

وجوه مختلفة، منهم مَنْ يَلْقَنُ^(٦٤)، فإذا رأيتم ذلك فوجهوا طائفة من الناس، فإذا رضيتم منهم، فليقم بها واحد وليخرج واحد إلى دمشق والآخر إلى فلسطين. فقدموا حمص فكانوا بها، حتى إذا رضى من الناس أقام بها عبادة وخرج أبو الدرداء إلى دمشق، ومعاذ إلى فلسطين؛ وأما عبادة فصار بعد إلى فلسطين فمات بها؛ وأما أبو الدرداء فلم يزل بدمشق حتى مات. ولما توفي يزيد وولي الشام أخوه معاوية بن أبي سفيان جرى بين عبادة ومعاوية ما جاء بترجمته في تاريخ ابن عساکر ومختصره (٣٠٦/١١ - ٣٠٧) فرجع إلى المدينة فأعاده عمر إلى محل عمله ولما استخلف عثمان جرى بينه وبين معاوية - أيضاً - ما جاء بترجمته وقالوا توفي سنة ٣٤.

٨ - عبد الله بن عمرو بن العاص القرشي السهمي

مرّ بنا الدليل على كونه من القرآء على عهد رسول الله (ص) وله خبر مع الإمام الحسين (ع) ذكره ابن الأثير بترجمته من أسد الغابة بسنده عن إسماعيل بن رجاء، عن أبيه قال: «كنت في مسجد الرسول (ص)، في حلقة فيها أبو سعيد الخدري وعبد الله بن عمرو، فمر بنا حسين بن علي، فسلم، فرد القوم السلام، فسكت عبد الله حتى فرغوا، رفع صوته وقال: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته. ثم أقبل على القوم فقال: ألا أخبركم بأهل الأرض إلى أهل السماء؟ قالوا: بلى. قال: هو هذا الماشي، ما كلمني كلمة منذ ليالي صيفين، ولأن يرضى عني أحب إلي من أن يكون لي حُرُّ النعم. فقال أبو سعيد: ألا تعتذر إليه؟ قال: بلى. قال: فتواعدا أن يغدوا إليه. قال: فغدوت معها، فاستأذن أبو سعيد، فأذن له، فدخل، ثم استأذن لعبد الله، فلم يزل به حتى أذن له، فلما دخل قال أبو سعيد: يا ابن رسول الله، إنك لِمَا مررت بنا أمس ... فأخبره بالذي كان من قول عبد الله بن عمرو، فقال حسين: أعلمت يا عبد الله أني أحب أهل

(٦٤) يلقن: يفهم بسرعة.

الأرض إلى أهل الساء؟ قال: إي ورب الكعبة! قال: فما حملك على أن قاتلني وأبي يوم صفين؟ فوالله لأبي كان خيراً مني. قال: أجل، ولكن عمرو وشكاني إلى رسول الله (ص). فقال: يا رسول الله، إن عبد الله يقوم الليل ويصوم النهار، فقال لي رسول الله (ص): يا عبد الله، صلّ ونمّ وصمّ وأفطر، وأطع عمراً. قال: فلما كان يوم صفين أقسم عليّ فخرجت، أما والله ما أخترت سيفاً، ولا طعنت برمح، ولا رميت بسهم. قال: فكانه» وقال:

وتوفي عبد الله سنة ثلاث وستين، وقيل: سنة خمس وستين بمصر.
وقيل: سنة سبع وستين بمكة. وقيل: توفي سنة خمس وخمسين بالطائف. وقيل:
سنة ثمان وستين. وقيل: سنة ثلاث وسبعين. وكان عمره اثنتين وسبعين سنة.
وقيل: اثنتان وتسعون سنة^(٦٥).

٩ - أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري

بترجمته من أسد الغابة ما موجزه:

ركب من اليمن مع جماعة من قومه في سفينة للهجرة إلى المدينة فألقتهم
الريح إلى الحبشة فوافقوا خروج جعفر بن أبي طالب وأصحابه منها وقدمت
السفينتان معاً، سفينة جعفر وسفينة الأشعريين على النبي (ص) حين فتح
خيبر.

وفي ترجمته بمختصر تاريخ ابن عساكر فأطعمهم النبي (ص) طعمة
يقال لها: طعمة الأشعريين.

واتفقت الروايات في تراجمه أنه كان حسن الصوت بالقرآن فكان
يستقرؤه الخليفة وغيره، وعينه الخليفة عمر سنة سبع عشرة والياً ومقرناً
لأهل البصرة فقال لهم:

إن أمير المؤمنين عمر بعثني إليكم أعلمكم كتاب ربكم عزّ وجلّ، وسنة

(٦٥) أسد الغابة ٣/ ٣٥٦.

نبيكم، وأنظف لكم.

وفي تاريخ ابن عساكر :

كان إذا صلى الصبح أمر الناس فثبتوا في مجالسهم، ثم استقبل الصفوف رجلاً رجلاً يقرئه القرآن حتى يأتي على الصفوف.
وكان هو الذي فقه أهل البصرة وقرأهم.

وفي طبقات ابن سعد (٢/ ٣٥٤ و ٤/ ١٠٨) عن أنس قال: بعثني الأشعري إلى عمر فقال لي عمر: كيف تركت الأشعري فقلت له: تركته يعلم الناس القرآن.

وفي سنة سبع وعشرين عزله عنها الخليفة عثمان وولي عليها عبد الله ابن عامر كريض فسكن الكوفة.

وفي سنة أربع وثلاثين أخرج أهل الكوفة واليهام سعيد بن العاص ولوا عليها أبا موسى وكتبوا إلى الخليفة يسألونه أن يولي عليهم أبا موسى فولاه وبقي عليها إلى واقعة الجمل فثبط أهل الكوفة عن الإلتحاق بجيش الإمام علي فعزله. وفي واقعة الحكمين ألحوا على الإمام علي أن يعينه من قبله ففعل وكان من أمره ما هو مشهور. وتوفي في الكوفة في خلافة معاوية سنة ٤٢ أو ٤٤ أو ٤٩ أو ٥٠ أو ٥٥^(٦٦).

١٠ - ابن أم . عبد الله بن مسعود الهذلي حليف بني زهرة

أسلم قبل دخول رسول الله دار الأرقم، قال كنت سادس ستة ممن أسلم وكان أول من أجهر بالقرآن بمكة من الصحابة وهاجر المجرتين إلى الحبشة والمدينة وكان في المدينة يخدم رسول الله (ص).

قال ابن مسعود قال لي رسول الله (ص): اقرأ عليّ. قلت: اقرأ عليك وعليك أنزل. قال: إني أحب أن أسمع من غيري فقرأت سورة النساء عليه

(٦٦) راجع ترجمته بتاريخ ابن عساكر ومختصره .

حتى بلغت ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾
إلى آخر الآية فاضت عيناه (ص).

قال الإمام علي في حقه: علم القرآن والسنة.
وقال: قرأ القرآن فاحلّ حلاله وحرّم حرامه.
وقال: بينا نحن عنده (ص) على حراء إذ نزلت عليه (ص) سورة
المرسلات فأخذتها وإنّ فاه ليرطب بها.

* * *

كان ذلكم بعض أخبار ابن مسعود على عهد الرسول (ص) ومن
أخباره بعده ما رواه الذهبي بترجمة الخليفة عمر من تذكرة الحفاظ وقال:
إنّ عمر حبس ثلاثة ابن مسعود وأبا الدرداء وأبا مسعود الأنصاري
فقال: أكثرتم الحديث عن رسول الله (ص) (٦٧).

يعني حبسهم في المدينة ومنعهم عن الخروج منها ونرى أنه كان من أثر
ذلك ما جاء بترجمة ابن مسعود في تاريخ ابن عساكر ومختصره:
أ - كان عبد الله بن مسعود يأتي عليه الحول قبل أن يحدثنا عن رسول
الله (ص).

ب - بعثه عمر بن الخطاب إلى أهل الكوفة معلماً ووزيراً وهو أفقهم
وأقراهم للقرآن وولاه عمر بيت المال.

ج - جاء رجل من الكوفة إلى الخليفة عمر فقال: جئت يا أمير المؤمنين
من الكوفة فتركت بها رجلاً يملئ المصاحف عن ظهر قلبه فغضب وانتفخ فقال:
ومن هو ويحك، قال عبد الله بن مسعود فما زال يطفأ ويسير عنه الغضب حتى
عاد إلى حاله التي كان عليها، ثم قال: ويحك، والله ما أعلم بقي من الناس أحد
هو أحق بذلك... الحديث.

(٦٧) راجع ترجمة ابن مسعود بتاريخ ابن عساكر ومختصره؛ وتذكرة الحفاظ ٧/٨.

وسياقي موجز أخباره في زمن الخليفة عثمان - إن شاء الله تعالى - في بحث اختلاف المصاحف من المجلد الثاني من هذا الكتاب وتوفي سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة.

١١ - أبو الدرداء عويمر بن زيد بن قيس الأنصاري الخزرجي شهد مع رسول الله أحداً فما بعدها وأخى بينه وبين سلمان الفارسي وكان ممن جمع القرآن على عهد رسول الله (ص).

وفي ترجمته بتاريخ ابن عساكر ومختصره (١٩ / ١٠ - ٤٣) ما موجزه: قال رجل لأبي الدرداء: يا معشر القراء ما بالكم أجبن منا وأبخل إذا سئلتهم، وأعظم لُقماً إذا أكلتم؟ فأعرض عنه أبو الدرداء ولم يرد عليه شيئاً، فأخبر بذلك عمر بن الخطاب، فسأل أبا الدرداء عن ذلك؟ فقال أبو الدرداء: اللهم غفراً! وكل ما سمعناه منهم نأخذهم به! فانطلق عمر إلى الرجل الذي قال لأبي الدرداء ما قال، فقال بثوبه وخنقه، وقاده إلى النبي (ص) فقال الرجل: إنا كنا نخوض ونلعب، فأوحى الله تعالى إلى نبيه (ص) ﴿ وَكُنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ (التوبة/٦٥).

وروى انه كان ممن بعثه عمر إلى الشام لتعليم القرآن ثم ولاه على القضاء - يعني بدمشق - وكان القاضي يكون خليفة الأمير إذا غاب. وقال: كان عبد الله بن مسعود يقول: علماء الناس ثلاثة: واحد بالعراق، وآخر بالشام - يعني أبا الدرداء - يحتاج إلى الذي بالعراق - يعني نفسه - والذي بالشام والعراق يحتاجان إلى الذي بالمدينة - يعني علي بن أبي طالب - ولا يحتاج إلى واحدٍ منها. قالوا توفي سنة ٣١ أو ٣٢ في الشام.

١٢ - أبو عبد الرحمن معاذ بن جبل الأنصاري الخزرجي شهد بيعة العقبة وهدراً والمشاهد كلها مع رسول الله (ص). جاء بترجمته من تاريخ ابن عساكر ومختصره ما موجزه: لما فتح رسول الله (ص) مكة و سار إلى حنين استخلف عليها عتاب

ابن أسد يصلي بهم وخلف معاذ بن جبل يقرئهم القرآن ويفقههم، ثم بعثه مع
أبي موسى إلى اليمن وقال لها: يسرا ولا تعسرا .
وبترجمته من الاستيعاب :

فقال معاذ لأبي موسى: كيف تقرأ القرآن، قال: أقرؤه في صلاتي وعلی
راحلتي قائماً وقاعداً ومضطجعاً أتفوقه تفوقاً. فقال معاذ: لكني أنام ثم أقوم
فاحتسب نومتي كما احتسب قومتي.

وتوفي في طاعون عمواس بناحية الأردن من الشام سنة ثنائي عشرة في
خلافة عمر وهو ابن ثمان وثلاثين سنة^(٦٨).

ومن أخبار القرآن ان النبي (ص) كان يفضل في تعيين الولاة والامراء
ولاقامة الجمعة والجماعة أقرأهم للقرآن.

وقد مر بنا خبر عمرو بن سلمة الجرمي الذي كان سكنى قومه على ماء
ممر الناس عليه وكانوا يسألون القادمين من الحرم عن أخبار الرسول (ص)
فيخبروهم انه يقول: « أوحى إلي كذا وكذا » يُعنون ما سمعوه من السور المكية
التي كان الرسول (ص) يقرؤها في صلاته في الحرم وفي غيرها قال: كنت أتلقى
الركبان فيقرؤني فجعلت لا أسمع شيئاً إلا حفظته حتى جمعت فيه قرآن كثيراً
ولما وفد قومه على النبي (ص) بعد فتح مكة فاصبح امام جماعتهم واستمر على
ذلك حتى عصر معاوية، ونظير هذا الخبر خبر عثمان الثقفي الآتي:

أبو عبد الله عثمان بن أبي العاص الثقفي

بترجمته من طبقات ابن سعد (٧ / ٤٠) ما موجهه :

قدم على رسول الله (ص) المدينة في وفد ثقيف فأسلموا وكان عثمان من
أصغرهم فجاء إلى النبي (ص)، قبلهم فأسلم وأقرأه قرآناً ولزم أبي بن كعب

(٦٨) راجع ترجمته في تاريخ ابن عساكر ومختصره ٢٤ / ٣٦٩ - ٣٨٣؛ وطبقات ابن سعد

٣ / ٥٨٣ - ٥٩٠؛ والاستيعاب ١ / ٢٣٨.

فكان يُقرئه فلماً أراد وفد ثقيف الانصراف إلى الطائف قالوا: يا رسول الله أمر علينا، فأمر عليهم عثمان بن أبي العاص الثقفي، وقال إنه كيس وقد أخذ من القرآن صدراً، فقدم معهم الطائف، فكان يصلي بهم ويُقرئهم القرآن. وعلى عهد عمر كتب إليه أن استخلف على الطائف ويقبل إليه فاستخلف أخاه الحكم بن أبي العاص وأقبل إليه فوجهه إلى البصرة. و ترجمته من الاستيعاب والاصابة :

ولاه عمر سنة خمس عشرة على عمان والبحرين وسكن في زمان معاوية البصرة وتوفي في خلافة معاوية.

وكان النبي (ص) يعين الولاة على الجيوش والامراء والقضاة في البلاد ممن برز في قراءة القرآن وحفظه وجمعه وكان ممن عينه كذلك: أ - الصحابي معاذ بن جبل بعد فتح مكة يعلم أهلها القرآن ويفقههم في الدين وبعد ذلك بعثه إلى الجند من بلاد اليمن ليقرئهم ويفقههم ويقضي بينهم ويقبض الصدقات.

ب - الصحابي عمرو بن حزم استعمله على نجران ليفقههم في الدين ويعلمهم القرآن.

ج - إلى الطائف عثمان بن أبي العاص^(٦٩).

د وه - معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري إلى اليمن^(٧٠).

* * *

كان ذلكم فهرساً لأخبار الاقراء والقرآن في عصر الرسول في المدينة وفي ما يأتي فهرس أخبار تدوين القرآن يومذاك.

(٦٩) طبقات ابن سعد ٥ / ٥٠٨ .

(٧٠) حلية الأولياء لأبي نعيم ١ / ٢٥٦ و ترجمته بطبقات ابن سعد.

رابعاً - تدوين القرآن في المدينة

ندرس في هذا البحث الأمور الآتية:

أ - أمر الكتابة في المدينة قبل الاسلام:

قال البلاذري في فتوح البلدان:

كان الكتاب بالعربية في الأوس والخزرج قليلاً، وكان بعض اليهود قد علّم كتاب العربية، وكان تعلّمه الصبيان في المدينة في الزمن الأول، فجاء الاسلام وفي الأوس والخزرج عدة يكتبون وهم سعد بن عبادة بن دُلَيْم والمنذر بن عمرو وأبي بن كعب وزيد بن ثابت، فكان يكتب العربية والعبرانية، ورافع بن مالك، وأسيد بن حضير، ومعن بن عَدِيّ البَلَوِيّ حليف الانصار، وبشير بن سعد، وسعد بن الربيع وأوس بن خَوَلِيّ وعبد الله بن ابي المنافق.

قال: فكان الكملة منهم والكامل من يجمع الى الكتاب الرمي والعموم: رافع بن مالك، وسعد بن عبادة وأسيد بن حُضَيْر، وعبد الله بن أبي، وأوس ابن خَوَلِيّ، وكان من جمع هذه الأشياء في الجاهلية من أهل يثرب: سُويد بن الصامت وحُضَيْر الكتائب^(١).

قال: كانت الشفاء كاتبة في الجاهلية^(٢).

(١) فتوح البلدان ط. بيروت دار النشر للجامعيين سنة ١٣٧٧ هـ ص ٦٦٣ - ٦٦٤.

(٢) فتوح البلدان ص ٦٦١ - ٦٦٢.

بترجمتها من الاستيعاب والاصابة: أسلمت الشفاء قبل الهجرة وهي من المهاجرات الأوائل، بايعت النبي (ص) قبل الهجرة وكانت من عقلاء الناس وكانت ترقى النملة.

ب - أمر الكتابة في المدينة بعد الاسلام:

١ - من كان يقرأ ويكتب من الصحابييات:

قال البلاذري في فتوح البلدان:

وكانت حفصة زوج النبي تكتب.

وان أم كلثوم بنت عقبة كانت تكتب.

وان عائشة بنت سعد قالت: علمني أبي الكتاب.

وان كريمة بنت المقداد كانت تكتب.

وقال ان عائشة كانت تقرأ المصحف، ولا تكتب.

وكانت أم سلمة تقرأ ولا تكتب^(٣).

٢ - اهتمام الرسول (ص) بتعليم الكتابة بين المسلمين:

في امتاع الاسماع:

وكان في الأسرى من يكتب، ولم يكن في الأنصار من يحسن الكتابة، وكان منهم من لا مال له، فيقبل منه أن يعلم عشرة من الغلمان الكتابة ويخلي سبيله. فيومئذ تعلم زيد بن ثابت الكتابة في جماعة من غلمان الأنصار. خرج الإمام أحمد من حديث عكرمة عن ابن عباس قال: كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء، فجعل رسول الله (ص) فداءهم أن يعلموا أولاد الانصار الكتابة، قال: فجاء غلام يبكي إلى أبيه فقال: ما شأنك؟ قال: ضربني معلمي.

(٣) فتوح البلدان للبلاذري ص ٦٦١ - ٦٦٢.

قال: الخبيث!! يطلب بدخل بدر؛ والله لا تأتبه أبداً^(٤).

وفي ترجمة الحكم وعبد الله بن سعيد بن العاص الأموي من أسد الغابة والاصابة أنه قدم على النبي (ص) مهاجراً وكان اسمه الحكم فسماه النبي (ص) عبد الله وكان يكتب في الجاهلية فأمره رسول الله (ص) أن يُعلم الكتاب بالمدينة وكان كاتباً محسناً.

ج - من كتب لرسول الله (ص):

قال البلاذري في فتوح البلدان:

أول من كتب لرسول الله (ص) مقدمه المدينة أبي بن كعب الانصاري، وهو أول من كتب في آخر الكتاب، وكتب فلان، فكان أبي، إذا لم يحضر دعا رسول الله (ص) زيد بن ثابت الانصاري، فكتب له فكان أبي وزيد يكتبان الوحي بين يديه، وكتبه الى من يُكاتب من الناس، وما يُقطع وغير ذلك.

قال الواقدي: وأول من كتب له من قريش عبد الله بن سعد بن ابي سرح، ثم ارتدَّ ورجع الى مكة، وقال لقريش: انا آتي بمثل ما يأتي به محمد، وكان يمل عليه الظالمين، فيكتب الكافرين، يمل عليه سميع عليهم، فيكتب غفور رحيم وأشبه ذلك، فأنزل الله:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ
وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ (الانعام/٩٣)

فلما كان يوم فتح مكة أمر رسول الله (ص) بقتله، فكلّمه فيه عثمان بن عفان وقال: أخي من الرضاع، وقد أسلم فأمر رسول الله (ص) بتركه، وولاه عثمان مصر، فكتب لرسول الله (ص) عثمان بن عفان وشرحبيل بن حسنة الطابخي من خندف حليف قريش، ويقال بل هو كندي. وكتب له جهيم بن

(٤) امتاع الاسماع للمقريزي ص ١٠١، ومسنند احمد ١/٣٤٧.

الصّلت بن مخزّمة، وخالد ابن سعيد وابان بن سعيد بن العاصي، والعلاء بن الحضرمي، فلما كان عام الفتح اسلم معاوية، كتب له ايضاً، ودعاه يوماً وهو يأكل فابطأ، فقال: لا أشبع الله بطنه، فكان يقول: لحقتني دعوة رسول الله (ص) وكان يأكل في اليوم سبع أكلات وأكثر وأقل.

وقال كتب حنظلة بن الربيع بن رباح الأسدي من بني تميم بين يدي رسول الله (ص) مرّة، فسَمّي حنظلة الكاتب.

تعلم كتابة اليهود:

وقال: زيد بن ثابت: أمرني رسول الله (ص) أن أتعلّم له كتاب يهود، وقال لي: اني لا آمن يهوداً على كتابي، فلم يمرّ بي نصف شهر حتّى تعلمته، فكنت اكتب له الى يهود وإذا كتبوا إليه قرأت كتابهم^(٥).
وفي فتوح البلدان:

قال الرسول (ص) لزيد بن ثابت: «يازيد: تعلم لي كتابة يهود فإني ما آمنهم على كتابي».

قال: فحدّثته في نصف شهر^(٦).

* * *

واهتم الرسول بنشر الكتابة في المدينة، وجعل فدية من يعرف الكتابة من سبعين أسيراً في غزوة بدر تعليم كل واحد منهم عشرة من صبيان المدينة الكتابة.

ومن النساء كانت تكتب حفصة زوجة الرسول وأم كلثوم ابنة عقبة وعائشة ابنة سعد وكريمة ابنة المقداد وزوجتا الرسول عائشة وأم سلمة كانتا

(٥) فتوح البلدان ص ٦٦٢ - ٦٦٤، وعميون الاثر ص ٨٤ - ٨٦.

(٦) أمر الخط في آخر فتوح البلدان ص ٦٦٣ - ٦٦٤، ترجمة زيد من تذكرة الحفاظ للذهبي

تقرءان ولا تكتبان^(٧).

كان في الصحابة جمع يكتبون لرسول الله (ص) في المدينة عدّ منهم البلاذري من ذكرناه في فصل من كتب لرسول الله (ص) وأضاف إليهم ابن سيد الناس (ت: ٧٣٤هـ) في فصل ذكر كتابه (ص) من عيون الأثر وقال:

أبو بكر وعمر وعلي وعامر بن فهيرة وعبد الله بن الأرقم وثابت بن قيس ابن شماس والمغيرة بن شعبة وعبد الله بن زيد وجهيم بن الصلت والزبير بن العوام وخالد بن الوليد وعمر بن العاص وعبد الله بن رواحة ومحمد بن مسلمة وعبد الله بن عبد الله بن أبي ومعيقب بن أبي فاطمة وطلحة بن عبيد الله ويزيد ابن أبي سفيان والأرقم بن أبي العلاء بن عتبة وأبو أيوب الأنصاري خالد بن زيد وبريدة بن الحصيب والحصين بن نمير وأبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد وحويطب بن عبد العزي وأبو سفيان بن حرب وحاطب بن عمر وكتب له عبد الله بن سعد بن أبي سرح، ثم ارتد ورجع إلى مكة وكذب على رسول الله، فنزلت فيه: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾^(٨).

وبين المؤرخ الثبت المسعودي في التنبيه والاشراف (ص/ ٢٤٥ - ٢٤٦) ما كان يكتب كل منهم وقال:

كان خالد بن سعيد بن العاص بن امية يكتب بين يديه في سائر ما يعرض من أموره والمغيرة بن شعبة والحصين بن نمير يكتبان أيضاً فيما يعرض من حوائجه، وعبد الله بن الأرقم بن عبد يغوث الزهري، والعلاء بن عقبة يكتبان بين الناس المدائيات وسائر العقود والمعاملات، والزبير بن العوام، وجهيم ابن الصلت يكتبان أموال الصدقات، وحذيفة بن اليمان يكتب خرص الحجاز، ومعيقب بن أبي فاطمة الدوسي يكتب مغانم رسول الله (ص)، وكان عليها من

(٧) أمر الخط في فتوح البلدان ص ٦٦١ - ٦٦٢.

(٨) عيون الأثر ٢ / ١٩١.

قبله وزيد بن ثابت الأنصاري ثم الخزرجي ثم بني غنم بن مالك بن النجار يكتب الى الملوك، ويحيب بحضرة النبي (ص) وكان يترجم للنبي (ص) بالفارسية والرومية والقبطية والحبشة، تعلم ذلك بالمدينة من أهل هذه الألسن، وكان حنظلة بن الربيع بن صيفي الاسيدي التميمي يكتب بين يديه (ص) في هذه الأمور اذا غاب من سمينا من سائر الكتاب ينوب عنهم في سائر ما ينفرد به كل واحد منهم، وكان يدعى حنظلة الكاتب، توفي في خلافة عمر بن الخطاب. وكتب له عبد الله بن أبي سرح من بني عامر بن لؤي بن غالب ثم لاحق بالمشركين بمكة مرتدا، وكتب له شرحبيل بن حسنة الطابخي، وكان أبان بن سعيد والعلاء بن الحضرمي ربما كتبا بين يديه، وكتب له معاوية قبل وفاته با شهر، وإنسا ذكرنا من أسماء كتابه (ص) من ثبت على كتابته واتصلت أيامه فيها وطالت مدته وصحت الرواية على ذلك من أمره من كتب الكتاب والكتابين والثلاثة إذ كان لا يستحق بذلك ان يسمى كاتباً ويضاف إلى جملة كتابه.

دراسة الخبر:

وصف العلماء هذا العدد الكبير بكتاب الوحي وأحيانا وصفوا الواحد منهم بكتاب الوحي ويصدق هذا الوصف عليهم جميعاً وعلى الواحد منهم كذلك في ما اذا كان رسول الله (ص) قد عينهم لتدوين القرآن بينها نجد المسعودي عندما يذكر نوع عملهم في الكتابة لم يخص أحداً بذكر كتابة القرآن ومن ثم نعرف أنهم جميعاً كانوا يكتبون ما نزل من القرآن كسائر الكتبة من الصحابة وسنذكر في ما يأتي أن نسخة من القرآن كان في بيت الرسول (ص) وأمر الامام علي بجمعه بعد وفاته ولعله كان قد أمره في حال حياته بكتابة تلك النسخة ثم أمره بعد وفاته بجمعها بعد أن كانت مكتوبة على قطع مختلفة. كان ذلك شأن الكتابة والكتاب على عهد رسول الله (ص) في المدينة وفي ما يأتي خبر النظام الذي سنه الرسول في تدوين القرآن.

د - كيفية تدوين القرآن بأمر الرسول (ص):

في مسند أحمد بسنده عن ابن عباس أنه قال في حديثه عن الخليفة عثمان أنه قال:

إن رسول الله (ص) كان مما يأتي عليه الزمان يُنزل عليه من السور ذوات العدد، وكان إذا أنزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده، يقول: ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، ويُنزل عليه الآيات فيقول: ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، ويُنزل عليه الآية فيقول: ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا^(٩).

وفي لفظ آخر قال:

كان رسول الله (ص) مما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه من السور ذوات العدد، فكان إذا أنزل عليه الشيء دعا بعض من يكتب له فيقول: ضعوا هذه في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وإذا أنزلت عليه الآيات قال: ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وإذا أنزلت عليه الآية قال: ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا^(١٠).

ولفظ الحديث في سنن أبي داود كالآتي:

قال عثمان: كان النبي (ص) مما ينزل عليه الآيات فيدعو بعض من كان يكتب له ويقول له «ضع هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا» وتنزل عليه الآية والآيات فيقول مثل ذلك^(١١).

وفي سنن الترمذي:

(٩) مسند أحمد ٥٧/١، وكنز العمال الحديث ٤٧٧٠.

(١٠) مسند أحمد ٦٩/١، ومستدرک الحاكم، كتاب التفسير، ٢/٢٢١. ذكر ابن الجوزي

بعض الحديث في تفسيره زاد المسير تفسير سورة التوبة ٣/٣٨٩ - ٣٩٠.

(١١) سنن أبي داود ٢٠٩/١ كتاب الصلاة باب من جهر بها.

قال عثمان: كان رسول الله (ص) مما يأتي عليه الزمان وهو تنزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه الشيء، دعا بعض من كان يكتب فيقول ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا. وإذا نزلت عليه الآية فيقول ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا.

قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح^(١٢).
وفي مستدرک الحاكم وتلخيصه:

فقال عثمان (رض) ان رسول الله (ص) كان يأتي عليه الزمان تنزل عليه السور ذوات عدد، فكان إذا نزل عليه الشيء يدعو بعض من كان يكتبه، فيقول: ضعوا هذه في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا. وتنزل عليه الآية، فيقول: ضعوا هذه في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا^(١٣).

ووضع له رمز البخاري ومسلم أي أن الحديث صحيح على شرطهما.
وفي تفسير القرطبي بسنده عن ابن وهب قال:

سمعت مالكا يقول: إنا ألف القرآن على ما كانوا يسمعون من رسول الله (ص). وذكر أبو بكر الأنباري في كتاب الرد: أن الله تعالى أنزل القرآن جملة إلى سماء الدنيا، ثم فرق على النبي (ص) في عشرين سنة، وكانت السورة تنزل في أمر يحدث، والآية جواباً لمستخبر يسأل، ويقف جبريل رسول الله (ص) على موضع السورة والآية، فاتساق السورة كاتساق الآيات والحروف، فكله عن محمد

(١٢) سنن الترمذي ط. مصر سنة ١٣٥٣هـ - ٢٢٦/١١ - ٢٢٧ في تفسير سورة التوبة، وفي تفسير ابن كثير ٣٣١/٢، وفي فضائل القرآن ١١/٤، وفي كتاب المصاحف لابن ابي داود ص ٣١، والسيوطي ٢٠٧/٣ - ٢٠٨، وكنز العمال الحديث ٤٧٧٠.
(١٣) مستدرک الحاكم وتلخيصه للذهبي ٢٢١/٢.

خاتم النبيين عليه السلام، عن رب العالمين؛ فمن آخر سورة مقدّمة أو قدّم
أخرى مؤخره، فهو كمن أفسد نظم الآيات، وغير الحروف والكلمات^(١٤).

وفي كنز العمال: عن عَسَس بن سلامة قال:

قلت لعثمان: يا أمير المؤمنين ما بال الانفال وبراءة ليس بينها ﴿بسم الله
الرحمن الرحيم﴾؟ قال كانت تنزل السورة فلا تزال تكتب حتى تنزل ﴿بسم
الله الرحمن الرحيم﴾ فإذا جاءت ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ كتبت سورة
أخرى. فنزلت الانفال ولم تكتب ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾^(١٥).

وفي ترجمة رافع بن مالك من أسد الغابة ما موجه:

إن رافع بن مالك بن العجلان الانصاري الخزرجي تعلم من رسول الله
في مكة سورة طه ثم كتبها ثم أقبل بها الى المدينة، فقرأها على بني زريق.
وفي ترجمته من الاصابة: انه أول من قوم كتابهم.

هـ - نظام تدوين القرآن:

أ - كان الوحي يعين مكان الآيات في السور.

في حديث عثمان بن ابي العاص بمسند أحمد:

قال: كنت عند رسول الله (ص) اذ شخص يبصره... فقال: اتاني

جبريل (ع) فأمرني أن أضع هذه الآية بهذا الموضع من هذه السورة: ان الله
يأمر بالعدل والاحسان...^(١٦).

(١٤) تفسير القرطبي ٦٠/١.

وابن وهب هو ابو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي المصري الفقيه.
قال علي بن الحسين بن الجنيد: مسائل ابن وهب عن مالك صحيحة. تهذيب التهذيب
بترجمته، ٧١/٦ - ٧٤.

(١٥) كنز العمال ط ٢، ٣٦٧/٢ - ٣٦٨.

(١٦) مسند احمد ٤/٤١٨.

ب - كان الرسول يأمر بتدوين الآيات في السورة.

ذكرنا حديث عثمان في بحث كيفية تدوين القرآن السابق.

وفي حديث البراء بن عازب:

ان رسول الله (ص) نزلت عليه آية فقال: ادع لي زيداً وليجئ باللوح

والدواة والكتف أو الكتف والدواة قال: ثم اكتب... الحديث^(١٧).

وفي مستدرك الحاكم وتلخيصه:

عن زيد بن ثابت قال: كنا حول رسول الله (ص) نؤلف القرآن...

وفي رواية: كنا عند رسول الله (ص) نؤلف القرآن من الرقاع...

قال الحاكم: (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين - البخاري

ومسلم - ولم يخرجاه وفيه البيان الواضح ان جمع القرآن لم يكن مرة واحدة

فقد جمع بحضرة رسول الله (ص) ثم جمع بعضه بحضرة أبي بكر الصديق والجمع

الثالث هو في ترتيب السورة كان في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن

عفان (رض))^(١٨).

و - القلم الذي خط به القرآن:

اطنب المستشرقون ومن تبعهم من المشاركة في التفكير في وصف الخط

الذي كتب به القرآن في صدر الاسلام.

أما المستشرقون منهم، فإنهم أرادوا بعملهم التشكيك من طرف خفي

يثبت النص القرآني كما سنشرحه في آخر هذا الباب ان شاء الله تعالى.

وسار أتباعهم من الشرقيين في طريقهم دوننا تنبه لهدفهم المنشود.

(١٧) صحيح البخاري ١٥١/٣ كتاب فضائل القرآن باب كاتب النبي.

(١٨) مستدرك الحاكم وتلخيصه كتاب التفسير ٢/٢٢٩. الاتقان للسيوطي ١/٥٩.

أما نحن فنقول: إن كل ما فعلوه باسم البحث العلمي لا جدوى فيه
بتاتا ويكفيها في هذا الصدد أن نعلم أن الخط الذي دون المسلمون به قرآنهم
كآلاتي تصويره:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
صَدَقَ وَعْدَهُ وَجَاءَ بِالْحَقِّ وَبَشَّرَ الْمُبْرِينَ ﴿٣﴾ وَجَاءَ بِالْحَقِّ وَبَشَّرَ الْمُبْرِينَ
﴿٤﴾ وَجَاءَ بِالْحَقِّ وَبَشَّرَ الْمُبْرِينَ ﴿٥﴾ وَجَاءَ بِالْحَقِّ وَبَشَّرَ الْمُبْرِينَ ﴿٦﴾
﴿٧﴾ وَجَاءَ بِالْحَقِّ وَبَشَّرَ الْمُبْرِينَ ﴿٨﴾ وَجَاءَ بِالْحَقِّ وَبَشَّرَ الْمُبْرِينَ ﴿٩﴾
﴿١٠﴾ وَجَاءَ بِالْحَقِّ وَبَشَّرَ الْمُبْرِينَ ﴿١١﴾ وَجَاءَ بِالْحَقِّ وَبَشَّرَ الْمُبْرِينَ ﴿١٢﴾
﴿١٣﴾ وَجَاءَ بِالْحَقِّ وَبَشَّرَ الْمُبْرِينَ ﴿١٤﴾ وَجَاءَ بِالْحَقِّ وَبَشَّرَ الْمُبْرِينَ ﴿١٥﴾
﴿١٦﴾ وَجَاءَ بِالْحَقِّ وَبَشَّرَ الْمُبْرِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءَ بِالْحَقِّ وَبَشَّرَ الْمُبْرِينَ ﴿١٨﴾
﴿١٩﴾ وَجَاءَ بِالْحَقِّ وَبَشَّرَ الْمُبْرِينَ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَ بِالْحَقِّ وَبَشَّرَ الْمُبْرِينَ ﴿٢١﴾
﴿٢٢﴾ وَجَاءَ بِالْحَقِّ وَبَشَّرَ الْمُبْرِينَ ﴿٢٣﴾ وَجَاءَ بِالْحَقِّ وَبَشَّرَ الْمُبْرِينَ ﴿٢٤﴾
﴿٢٥﴾ وَجَاءَ بِالْحَقِّ وَبَشَّرَ الْمُبْرِينَ ﴿٢٦﴾ وَجَاءَ بِالْحَقِّ وَبَشَّرَ الْمُبْرِينَ ﴿٢٧﴾
﴿٢٨﴾ وَجَاءَ بِالْحَقِّ وَبَشَّرَ الْمُبْرِينَ ﴿٢٩﴾ وَجَاءَ بِالْحَقِّ وَبَشَّرَ الْمُبْرِينَ ﴿٣٠﴾



بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله الى المنذر بن ساوى

سلام عليك فاني احمد الله الذي لا اله غيره واشهد ان لا اله الا

الله وان محمداً عبده ورسوله

أما بعد فإني أذكرك الله عز وجل، فإنه من ينصح فانما ينصح لنفسه، وانه من يطع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني، ومن نصح لهم فقد نصح لي. وإن رسلي قد أثنوا عليك خيراً. وإني قد شفعتك في قومك فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه، و عفت عن أهل الذنوب فاقبل منهم. وإنك مهما تصلح فلن نغزلك عن عملك. ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية.

(محل الختم)

رسول الله محمد^(١٩)

وهذا الخط خال من الاعجام ولا فرق في خطه بين الباء والتاء والثاء والنون والياء في وسط الكلام وآخره وأوله وخال من الإعراب لأي علامات الفتحة والكسرة والضمة والسكون - منها ثم أدخل كل منها في رسم الخط القرآني ابتداء من النصف الثاني من القرن الأول الهجري متدرجا كما سنبينه في ما يأتي ان شاء الله تعالى.

(١٩) مجموعة الوثائق السياسية د. محمود.

خامساً - أخبار السيرة في القرآن الكريم:

مقدمة البحث:

نورد في هذا البحث من الآيات والروايات في شأن نزولها وبيانها وتفسيرها ما نحتاج الى دركها واستيعابها في بحث اختلاف المصاحف وزيادة القرآن ونقصانه - معاذ الله - الآتين^(١).

الآيات و شأن نزولها وتفسيرها و بيانها في الروايات

أ - ما يخص الرسول (ص) وأهل بيته:

١ - آية التطهير:

قال الله سبحانه في سورة الاحزاب/٣٣:

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾

شأن نزول الآية وما صنع الرسول (ص) بهذه المناسبة:

روى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب^(٢) قال:

(١) سوف نستدل باذنه تعالى في اليايين المذكورين عن اثر هذه الاخبار فيها.

(٢) بمستدرك الصحيحين ١٤٧/٣.

وعبد الله بن جعفر ذو الجناحين: ابن عم النبي أبي طالب وآمه أسماه بنت عميس الخثعمية

لَمَّا نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) إِلَى الرَّحْمَةِ هَابِطَةً، قَالَ: «أَدْعُوا لِي، ادْعُوا لِي»^(٣) فقالت صفية^(٣): من يا رسول الله؟
قال: «أهل بيتي علياً وفاطمة والحسن والحسين»^(٤).

→

ولد بأرض الحبشة في هجرة أبويه إليها، وهاجر أبوه به إلى المدينة. وكان حليماً كريماً يقال له: بحر الجود، توفي بالمدينة سنة ثمانين عام الهجرات - عام جاء فيه سيل عظيم بهطن مكة جحف الحاج وذهب بالإبل عليها أحاملاً - وروى عنه أصحاب الصحاح ٢٥ حديثاً. ترجمته بأسد الغابة وجوامع السيرة ص ٢٨٢.

(٣) صفية بنت حُيَي بن أخطب: من سبط هارون بن عمران من بني إسرائيل، وأمها برة بنت السموأل من بني قريظة. كانت زوجة كنانة بن الربيع من يهود بني النضير فقتل عنها يوم خيبر فاصطفاه النبي وقال لها: «إن اخترت الإسلام أسكنك لنفسي وإن اخترت اليهودية فعسى أن أعتقك فتلتقي بقومك». فقالت: يا رسول الله لقد هويت الإسلام وصدقت بك قبل أن تدعوني حيث صرت إلى رحلك، ومالي في اليهودية إرب ومالي فيها والد ولا أخ، وخيرتني الكفر والإسلام، فآله ورسوله أحب إلي من العتق وأن أرجع إلى قومي. فاعتدت ثم تزوجها النبي وتوفيت في سنة ٥٢ هـ وروى عنها أصحاب الصحاح ١٠ أحاديث. ترجمتها بطبقات ابن سعد ٨/١٢٠ - ١٢٩. وجوامع السيرة ص ٢٨٥.

(٤) فاطمة بنت رسول الله (ص) وأمها أم المؤمنين خديجة (ع). في ترجمتها بأسد الغابة والإصابة: أن كنيته أم أبيها وأنه انقطع نسل رسول الله إلا منها، وقال رسول الله (ص) لفاطمة: «إن الله يفضب لفضبك ويرضى لرضاك» أخرجه - أيضاً - الحاكم في مستدركه ٣/١٥٣. وبميزان الاعتدال ٢/٧٧. وتهذيب التهذيب ١٢/٤٤١. وفي باب مناقب فاطمة بصحيح البخاري ٤/٢٠٠ و ٢٠١ و ٢٠٥: قال رسول الله (ص): «فاطمة بضعة مني، من أغضبها أغضبني».

وفي رواية أخرى فيه بهاب ذب الرجل عن ابنته من كتاب النكاح ٣/١٧٧، وباب فضائل فاطمة من صحيح مسلم، والترمذي. وبمسند أحمد ٤/٣٢٨. ومستدرك الصحيحين ٣/١٥٣: «يؤذني ماآذاها، أو يؤذيها».

وكان آخر الناس عهداً برسول الله إذا سافر فاطمة، وإذا قدم من سفر كان أول الناس عهداً به فاطمة، كما في مستدرك الصحيحين ٣/١٥٥ و ١٥٦ و ٤٨٩/١. وبمسند أحمد ٥/٢٧٥. وسنن البيهقي ١/٢٦١.

←

فجيء بهم. فألقى عليهم النبي (ص) كساءه، ثم رفع يديه، ثم قال:

→ وفي باب فرض الخمس من صحيح البخاري ١٢٤/٢، عن عائشة أن فاطمة سألت أبا بكر الصديق بعد وفاة رسول الله (ص) أن يقسم لها ميراثها ما ترك رسول الله سبحانه وآفاه الله عليه، فقال أبو بكر: إن رسول الله قال: «لا نورث ما تركنا صدقة». فغضبت فاطمة بنت رسول الله فهجرت أبا بكر، فلم تزل مهاجرته حتى توفيت، وعاشت بعد رسول الله (ص) ستة أشهر.

وفي باب غزوة خيبر منه ٣٨/٣: فلما توفيت دفنها زوجها عليّ ليلاً، ولم يؤذن بها أبا بكر، وصلى عليها، وكان لعليّ وجه حياة فاطمة، فلما توفيت استنكر عليّ وجوه الناس فالتمس مصالحة أبي بكر...

ورواه مسلم كذلك في صحيحه بكتاب الجهاد ١٥٤/٥. ومسند أحمد ٩/١. وسنن البيهقي ٣٠٠/٦.

وبترجمتها في أسد الغابة: وأوصت إلى أسباء أن تغسلها ولا تدخل عليها أحداً، فلما توفيت جاءت عائشة فمنعتها أسباء.

قال المؤلف:

ولم يعرف موضع قبرها حتى اليوم.

وروى عنها أصحاب الصحاح ١٨ حديثاً. جوامع السيرة ص ٢٨٣.

والحسنان سبطا رسول الله وأبنا علي وفاطمة.

ولد الحسن في النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة، وولد الحسين لثلاث خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة.

قال رسول الله (ص): الحسن والحسين سيديا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما. في سنن ابن ماجه باب فضائل أصحاب رسول الله (ص) ص ٥١ - ٥٢. ومستدرك الصحيحين ١٦٧/٣. ومصادر كثيرة غيرها.

يباع المسلمون الحسن بعد وفاة أبيه سنة أربعين وبقي أكثر من ستة أشهر في الخلافة، ثم اقتضت مصلحة الإسلام العلياً أن يصالح معاوية. ولما أراد معاوية أن يأخذ البيعة لابنه يزيد دس إليه السم فقتله سنة خمسين. أحاديث أم المؤمنين عائشة ٢٥١/١ - ٢٦٦.

وفي سنة ستين أبي الحسين أن يبايع يزيد وقال: «وعلى الإسلام السلام إذا بليت الأمة براع مثل يزيد». فقتله جيش يزيد بكر بلاء عاشوراء سنة إحدى وستين. اللهوف لابن طاووس.

روى أصحاب الصحاح عن الحسن ١٣ حديثاً، عدا البخاري ومسلم، وعن الحسين ٨ أحاديث. جوامع السيرة ص ٢٨٤ و٢٨٦. وتقريب التهذيب ١٦٨/١.

«اللهم هؤلاء آلي فصل على محمد وآل محمد».

نزل الله عز وجل:

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾

وفي رواية أم المؤمنين عائشة: أن الكساء كان مرطاً مرحلاً من شعر أسود^(٥).

وفي رواية الصحابي وائلة بن الأسقع: إن رسول الله أدنى علياً وفاطمة وأجلسها بين يديه وأجلس حسناً وحسيناً كل واحد منها على فخذه... الحديث^(٦).

وفي رواية أم المؤمنين أم سلمة قالت: نزلت هذه الآية في بيتي: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ... ﴾ وفي البيت سبعة: جبرئيل وميكائيل (ع) وعلي وفاطمة والحسن والحسين (رض) وأنا على باب البيت، قلت: يا رسول الله ألسنت من أهل البيت؟

(٥) المرط: كساء من صوف أو خز، والمرحل من الثياب: ما أشبهت نقوشه رحال الإبل. وعائشة بنت أبي بكر وأمها أم رومان. ولدت في السنة الرابعة بعد البعثة، بنى بها الرسول (ص) بعد ثمانية عشرة شهراً من هجرته إلى المدينة. وتوفيت سنة ٥٧ أو ٥٨ أو ٥٩، وصلى عليها أبو هريرة. وروى عنها أصحاب الصحاح ٢٢١٠ أحاديث، راجع كتابنا أحاديث عائشة. وروايتها في شأن نزول آية التطهير في صحيح مسلم ١٣٠/٧، باب فضائل أهل بيت النبي. ومستدرک الصحيحین ١٤٧/٣. وبتفسير الآية في تفسير ابن جرير والدر المنثور للسيوطي وآية المباحلة في تفسير الزمخشري والرازي. وسنن البيهقي ١٤٩/٢.

(٦) وائلة بن الأسقع اللثمي: أسلم والنبي يتجهز إلى تبوك، وقيل إنه خدم النبي ثلاث سنوات ومات سنة خمس وثمانين أو ثلاث وثمانين بدمشق أو ببيت المقدس. روى عنه أصحاب الصحاح ٥٦ حديثاً. ترجمته بأسد الغابة وجوامع السيرة ص ٢٧٩. وروايتها في شأن آية التطهير بسنن البيهقي ١٥٢/٢، ورواية أخرى منه بمسند أحمد ١٠٧/٤. ومستدرک الصحيحین ٤١٦/٢ و ١٤٧/٣. وجمع الزوائد ١٦٧/٩. وابن جرير والسيوطي في تفسير الآية من تفسيرها. وأسد الغابة ٢٠/٢.

قال: «إنك إلى خير. إنك من أزواج النبي»^(٧).
وقد روى شأن نزول آية التطهير غير من ذكرنا كل من:

أ - عبد الله بن عباس^(٨).

ب - عمر بن أبي سلمة^(٩) ربيب النبي (ص).

ج - أبو سعيد الخدري^(١٠).

د - سعد بن أبي وقاص^(١١).

(٧) رواية أم سلمة في تفسير الآية بتفسير السيوطي ١٩٨/٥ و ١٩٩.
ورواية أخرى في سنن الترمذي، ٢٤٨/١٣. ومسنند أحمد ٣٠٦/٦. وأسد الغابة ٢٩/٤.
و ٢٩٧/٢. وتهذيب التهذيب ٢/٢٩٧.

وأخرى بمسندك الصحيحين ٤١٦/٢ و ١٤٧/٣. وسنن البيهقي ١٥٠/٢. وأسد
الغابة ٥٢١/٥ و ٥٨٩. وفي تاريخ بغداد ١٢٦/٩.
وأخرى: بمسنند أحمد ٢٩٢/٦.

(٨) رواية ابن عباس بمسنند أحمد ٣٣٠/١، وخصائص النسائي ص ١١. والرياض النضرة
٢٦٩/٢. وجمع الزوائد ١١٩/٩ و ٢٠٧، وتفسير الآية بالدر المنثور

(٩) عمر بن أبي سلمة بن عبد الأسد أبو حفص المخزومي: ربيب رسول الله، أمه أم سلمة.
ولد في الحبشة. شهد مع عليّ الجمل، واستعمله على البحرين وعلّ فارس. توفي سنة ٨٣هـ روى
عنه أصحاب الصحاح ١٢ حديثاً. ترجمته بأسد الغابة وجوامع السيرة ص: ٢٨٤. وحديثه بشأن
آية التطهير في: «فضائل الخمسة» ٢١٤/١ عن صحيح الترمذي ٢/٢٠٩.

(١٠) رواية أبي سعيد في تفسير الآية بتفسير ابن جرير والسيوطي وتاريخ بغداد
٢٧٨/١٠. وجمع الزوائد ١٦٧/٩ و ١٦٩.

(١١) سعد بن أبي وقاص.. مرّت ترجمته في بحث (خصائص المجتمع الاسلامي على عهد
عمر) وأبى أن يبايع عليّاً، وأبى على معاوية أن يسبّ عليّاً. ودسّ إليه معاوية السمّ لئلاّ أراد أن
يبايع ليزيد، فمات. وروى عنه أصحاب الصحاح ٢٧١ حديثاً. ترجمته بأسد الغابة وصحيح مسلم
١٢٠/٧. وأحاديث أم المؤمنين عائشة ٣٥٦/١ ط. بيروت ١٤٠٥هـ.

وروايته بشأن آية التطهير في خصائص النسائي ص ٤ - ٥. وسنن الترمذي ١٧١/١٣ -

١٧٢

هـ - أنس بن مالك^(١٢)، وغيرهم^(١٣).

وأستشهد بها الحسن السبط (ع) على المنبر^(١٤)، وعليّ بن الحسين (ع) في السّام^(١٥).

كان رسول الله بعد نزول هذه الآية عدّة أشهر يأتي إلى باب دار عليّ وفاطمة يسلم عليهم ويقرأ الآية. قال ابن عباس:

شهدت رسول الله (ص) تسعة أشهر يأتي كلّ يوم باب عليّ بن أبي طالب عند وقت كلّ صلاة فيقول: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهل البيت، إنّنا يريد الله... الصّلاة رحمكم الله» كلّ يوم خمس مرّات^(١٦).

وعن أبي الحمراء، قال: حفظت رسول الله ثمانية أشهر بالمدينة ليس من مرّة يخرج إلى صلاة الغداة، إلّا أتى باب عليّ، فوضع يده على جنبي الباب، ثم قال: «الصّلاة، إنّنا يريد الله...»^(١٧).

(١٢) رواية أنس بن مالك في سنن الترمذي ٢٤٨/١٣. ومجمع الزوائد ٢٠٦/٩.

(١٣) مثل قتادة في تفسير الآية عند ابن جرير والسيوطي وعطية بترجمته بأسد الغابة

٤١٣/٣، ومقل بن يسار، راجع سنن الترمذي ٢٤٨/١٣.

(١٤) روي استشهد السبط بمستدرك الصحيحين ١٧٢/٣. ومجمع الزوائد ١٤٦/٩

و١٧٢.

(١٥) علي بن الحسين: أمّه بنت يزيد كذا في الباب العاشر من ربيع الأبرار للزمخشري

راجع ج ٢ ورقة ٤٤، مصورة مكتبة أمير المؤمنين في النجف تسلسل ٢٠٥٩، أدب. وماتت في نفاسها

به، فكفله بعض أمهات ولد أبيه، وزوجها علي بن الحسين بعد أبيه (عيون أخبار الرضا ١٢٨/٢)

ويبدو أنّها كانت تسمى غزاة. توفي علي بن الحسين بالمدينة سنة خمس وتسعين. وروى عنه أصحاب

الصحيح بعض الأحاديث واستشهاده بآية التطهير جاء في تفسير الآية بتفسير الطبري.

ترجمته بوفيات الأعيان ٤٢٩/٢. وتاريخ اليمقوبي ٣٠٣/٢.

(١٦) رواية ابن عباس في تفسير الآية وآية ﴿وأمر اهلك﴾. من الدر المنثور.

(١٧) أبو الحمراء: مولى رسول الله، اسمه هلال بن الحارث أو ابن ظفر، والحديث بترجمته

في الاستيعاب ٥٩٨/٢. وأسد الغابة ١٧٤/٥. ومجمع الزوائد ١٦٨/٩.

وقال أبو برزة: إنه صلى مع رسول الله سبعة أشهر، فإذا خرج من بيته أتى باب فاطمة... (١٨).
وعن أنس بن مالك ستة أشهر (١٩). وروى - أيضاً - غيرهم في ذلك.

٢ - آية المباهلة:

قال الله سبحانه في سورة آل عمران:

﴿إِنْ مَثَلٌ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (الآية/٥٩)

﴿فَمَنْ حَاجَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ
وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى
الْكَاذِبِينَ﴾ (الآية/٦١)

تفصيل الخبر:

في السنة العاشرة من الهجرة كتب رسول الله (ص) الى نصارى نجران يدعوهم الى الإسلام (٢٠).

قال المقرئ:

وأرسل نصارى نجران العاقب والسيد في نفر، فأرادوا مباهلة رسول الله (ص)، فخرج معه فاطمة وعليّ والحسن والحسين - عليهم السلام - فلما

(١٨) أبو برزة الأسلمي: اختلفوا في اسمه. توفي في البصرة سنة ستين أو أربع وستين. روى عنه أصحاب الصحاح ٢٠ أو ٤٦ حديثاً. ترجمته بأسد الغابة وجوامع السيرة ص ٢٨٠ و ٢٨٣. وحديثه المذكور في مجمع الزوائد ١٦٩/٩، لفظه: سبعة عشر شهراً ونزاه من غلط النسخ.
(١٩) رواية أنس بيسند أحمد ٢/٢٥٢. والطيالسي ٧/٢٧٤. ح ٢٥٠٩. وأسد الغابة ٥٢١/٥. وتفسير الآية عند ابن جرير والسيوطي.

(٢٠) تاريخ ابن كثير ٥/٥٣ - ٥٤. ط سنة ١٣٥١هـ. ط. السعادة.

رأوهم قالوا: هذه وجوهٌ لو أقسمت على الله أن يزيل الجبال لأزالها!!
ولم يباهلوا، وصالحوا على ألفي حلة: ثمن كل حلة أربعون درهما،
وعلى أن يضيفوا رسل رسول الله (ص). وجعل لهم - عليه السلام - ذمّة الله
وعهده على ألا يفتنوا عن دينهم، ولا يعشروا، ولا يُحشروا، ولا يأكلوا الرّبا ولا
يتعاملوا به^(٢١).

وفي صحيح مسلم وسنن الترمذي ومستدرک الحاكم بسندهم عن سعد بن
ابي وقاص قال:

ولما نزلت هذه الآية ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ دعا رسول
الله (ص) علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: اللهم هؤلاء أهلي.
وفي مسند أحمد أهل بيتي^(٢٢).

شرح الكلمات:

نجران: من بلاد اليمن.

وابتهل الى الله: تضرع واجتهد في الدعاء.

ولا يُعشروا: لا يؤخذ عشر أموالهم في التجارات.

ولا يحشروا: لا يؤخذوا الى المغازي.

وفصل الخبر ابن كثير في تاريخه^(٢٣).

(٢١) امتاع الاسماع للمقرئزي ص ٥٠٢ العاقب والسيد من رؤساء نصارى نجران. ط.

القاهرة ١٩٤١م.

(٢٢) صحيح مسلم ١٢٠/٧ وسنن الترمذي ط. المدينة ١٩٣/٤ ومسند احمد ١٨٥/١

ومستدرک الحاكم ١٥٠/٣ وراجع حوادث السنة العاشرة في تاريخ ابن الاثير ١١٢/٢ واسد الغابة

٢٦/٤ وفي تفسير الآية في تفسير ابن كثير عن جابر ٣٧٠/١.

(٢٣) تاريخ ابن كثير ٥٤/٥ - ٥٥.

٣ - الآيات الأولى من سورة براءة و خبر تبليغها:

قال الله سبحانه:

﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ * وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَنَشَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابِ آلِيمٍ * إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ * فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (الآيات/١ - ٥)

كيفية تبليغ الآيات لكفار قريش :

في سنن الترمذي وتفسير الطبري وخصائص النسائي ومستدرک الصحيحين وغيرها عن أنس وابن عباس وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر وأبي سعيد الخدري وعمر بن ميمون وعلي بن أبي طالب^(٢٤)، وأبي بكر. ونختار هنا ذكر موجز رواية الامام علي الواردة في مسند أحمد، قال:

دعا النبي أبا بكر فبعثه براءة لأهل مكة، لا يحد بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، ومن كان بينه وبين

(٢٤) سنن الترمذي ١٦٤/١٣ - ١٦٥. ومسند احمد ١٥١/١، و٢٨٣/٣، وراجع ١٥٠/١.

وخصائص النسائي ص ٢٨ - ٢٩. وتفسير الطبري ٤٦/١٠. ومستدرک الصحيحين ٥١/٣ و٥٢.

وجمع الزوائد ٢٩/٧، و١١٩/٩.

رسول الله (ص) مدّة فأجله إلى مدّته، والله بريء من المشركين ورسوله.
قال: فسار بها ثلاثاً ثم قال لعليّ: «الحقّه فردّ عليّ أبا بكر وبلغها أنت.»
قال: ففعل. فلما قدم على النبيّ (ص) أبو بكر بكى وقال: يا رسول الله
حدث فيّ شيء؟

قال: « ما حدث فيك إلّا خير، ولكنّي أمرت أن لا يبلغه إلّا أنا أو رجل
منيّ » (٢٥).

وفي رواية عبد الله بن عمر: «ولكن قيل لي: أنّه لا يبلغ عنك إلّا أنت أو
رجل منك» (٢٦).

وفي رواية أبي سعيد الخدري: « لا يبلغ عني غيري أو رجل مني » (٢٧).
تدلّنا القرائن الحالية والمقالية في المقام، أن القصد من التبليغ في هذه
الروايات وما شابهها تبليغ ما أوحى الله إلى رسوله من أحكام إلى المكلفين بها في
بادىء الأمر، وهذا ما لا يقوم به إلّا الرسول أو رجل من الرسول.

ويقابل هذا التبليغ الذي يقوم به المكلفون بتلك الأحكام بعد ما
بلغوا بها بواسطة الرسول أو رجل من الرسول، فإنّ لهم عند ذلك أن يقوموا
بتبليغها إلى غيرهم، ويطرّد جواز هذا التبليغ ورجحانه ويتسلسل مع كلّ من بلغه
الحكم إلى أبد الدهر.

وواضح أنّ الرسول (ص) عنى بقوله: «لا يبلغ عني غيري أو رجل مني»
التبليغ من النوع الأوّل.

(٢٥) مسند أحمد ٣/١، ح ٤ من مسند أبي بكر وقال أحمد شاكر: (استاده صحيح). وراجع

كنز العمال ط: ٢، ٢٦٧/٢ و٢٧٠ وذخائر العقبى ص ٦٩.

(٢٦) في مستدرک الصحيحين ٥١/٣.

(٢٧) في الدر المنثور بتفسير: «براءة من الله».

٤ - آية ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ... ﴾

روى الحاكم الحسكاني:

(عن ابن عباس وجابر قالا: أمر الله محمداً (ص) أن ينصب علياً للناس ليخبرهم بولايته، فتخوف رسول الله (ص) أن يقولوا حابئى أبى عمه، وأن يظعنوا في ذلك عليه، فأوحى الله إليه:

﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ (المائدة/٦٧).

فقال رسول الله (ص) بولايته يوم غدير خم^(٢٨).

وروى عن زياد بن المنذر أنه كان يقول: (كنت عند أبي جعفر محمد بن عليّ (ع) وهو يحدث الناس إذ قام إليه رجل من أهل البصرة يقال له عثمان الأعشى - كان يروي عن الحسن البصري - فقال له: يا ابن رسول الله، جعلني الله فداك، إن الحسن يخبرنا أن هذه الآية نزلت بسبب رجل، ولا يخبرنا من الرجل ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ...﴾. فقال: لو أراد أن يخبر به لأخبر به، ولكنه يخاف.

إن جبرئيل هبط إلى النبيّ (ص) - إلى قوله - فقال: إن الله يأمرك أن تدلّ آمتك على وليهم على مثل ما دللتهم عليه من صلاتهم وزكاتهم وصيامهم وحجهم، ليلزمهم الحجّة من جميع ذلك، فقال رسول الله (ص): ياربّ إن قومي

(٢٨) المحافظ عبيد الله بن عبد الله بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني، الهذاه الحنفي النيسابوري، من أعلام القرن الخامس الهجري، ترجمته في تذكرة الحفاظ ط. الهند ٣٩٠/٤، وط. مصر ١٢٠٠/٣، بأخر الطبعة ١٤. وقد رجعنا إلى كتابه شواهد التنزيل لقواعد التفصيل في الآيات النازلة في أهل البيت، تحقيق محمد باقر المحمودي ط. بيروت عام ١٣٩٣هـ. والحديث في ١٩٢/١ ورقم الحديث ٢٤٩.

قريبو عهد بالجاهلية، وفيهم تنافس وفخر، وما منهم رجل إلا وقد وتره وليهم، وإني أخاف - أي من تكذيبهم - فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ - يريد فما بَلَّغْتَها تامة - وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ ﴿ فلما ضمن الله له بالعصمة وخوفه أخذ بيد علي... ﴾ (٢٩).

وروى الحاكم الحسكاني:

عن ابن عباس في حديث المعراج، أن الله - عزَّ اسمه - قال لنبيه في ما قال: «وإني لم أبعث نبياً إلا وجعلت له وزيراً، وإنك رسول الله (ص) وإن علياً وزيرك».

قال ابن عباس: [فهبط] (*) رسول الله (ص) فكره أن يحدث الناس بشيء منها إذ كانوا حديثي عهد بالجاهلية - إلى قوله: - فاحتمل رسول الله حتى إذا كان اليوم الثامن عشر أنزل الله عليه: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ...﴾ - إلى قوله: - فقال: «يا أيها الناس، إن الله أرسلني إليكم برسالة، وإني ضقت بها ذرعاً، مخافة أن تتهموني وتكذبوني، حتى عاتبني ربي فيها بوعيد أنزله علي...» (٣٠).

وروى الحسكاني وابن عساکر: عن أبي هريرة: أنزل الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ - في علي بن أبي طالب - وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ...﴾ (٣١).

قصد أبو هريرة أن المقصود أن يبلغ ما نزل في علي.

(٢٩) شواهد التنزيل ١/١٩١، وراجع تفسير الآية في أسباب النزول للواحدي، ونزول القرآن لأبي نعيم.

(*) كذا جاءت.

(٣٠) شواهد التنزيل للحسكاني ١/١٩٢ - ١٩٣، وفي ص ١٨٩ منه نزول الآية فقط.

(٣١) شواهد التنزيل للحسكاني ١/١٨٧، ورواها ابن عساکر بترجمة الإمام علي من

تاريخ دمشق بطرق كثيرة في الحديث ٤٥٢.

روى المسكاني: (عن عبد الله بن أبي أوفى، قال: سمعت رسول الله (ص) يقول يوم غدير خمّ وتلا هذه الآية: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ... ﴾ ثم رفع يديه حتى يرى بياض إبطيه، ثم قال: «ألا من كنت مولاه...»^(٣٢).

وروى الواحدى فى أسباب النزول والسيوطى فى الدر المنثور عن أبى سعيد الخدرى قال: نزلت هذه الآية فى على بن أبى طالب:

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾^(٣٣).

وفى تفسير السيوطى: (عن أبى مسعود قال: كنّا نقرأ على عهد رسول الله (ص) يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك - أن علياً مولى المؤمنين - وإن لم تفعل فما بلغت رسالته...)^(٣٤).

قصد أبى مسعود أنهم كانوا على عهد رسول الله يقرؤون فى تفسير الآية هكذا.

وكان نزول هذه الآية فى غدير خمّ، وفى ما يلى تفصيل الخبر.

(٣٢) المسكاني ١٩٠/٨.

وعبد الله بن أبى أوفى: علقمة بن خالد الحارث الأسلمى. صحابى شهد الحديبية، وعمر بعد النبى (ص)، مات سنة ست أو سبع وثمانين، وهو آخر من مات بالكوفة من الصحابة. وأخرج حديثه جميع أصحاب الصحاح. ترجمته بتقريب التهذيب ٤٠٢/٨. وأسد الغابة ١٢١/٣.

(٣٣) أسباب النزول ص: ١٣٥. والدر المنثور ٢٩٨/٢، وأراه هو الحديث الرقم ٢٤٤ من شواهد التنزيل، وراجع فتح القدير ٥٧/٢، وتفسير النيسابورى ١٩٤/٦.

الواحدى، هو أبو الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى (ت: ٤٦٨هـ)، ورجعنا إلى كتابه أسباب النزول ط. بيروت سنة ١٣٩٥هـ.

(٣٤) الدر المنثور ٢٩٨/٢.

خبر الغدير:

لما صدر رسول الله من أحجة الوداع^(٣٥) نزلت عليه في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة^(٣٦) آية ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ...﴾^(٣٧). فنزل غدير خم من الجحفة^(٣٨) وكان يتشعب منها طريق المدينة ومصر والشام^(٣٩) ووقف هناك حتى لحقه من بعده وردّ من كان تقدّم^(٤٠) ونهى أصحابه عن سمرة متفرقات بالبطحاء أن ينزلوا تحتهم، ثم بعث إليهم فقمّ ما تحتهم من الشوك^(٤١) ونادى بالصلاة جامعة^(٤٢) وعمد إليهم^(٤٣) وظلّل لرسول الله (ص) بثوب على شجرة سمرة من الشمس^(٤٤)، فصلى الظهر بهجير^(٤٥)، ثم قام خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، وذكر وعظ، وقال ما شاء الله أن يقول، ثم قال: «إني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني مسؤول وأنتم مسؤولون، فإذا أنتم قائلون؟»

(٣٥) مجمع الزوائد ١٠٥/٩ - ١٦٣ - ١٦٥. وأنقل عن هذه الصفحات في ما يأتي من هذا

البحث.

(٣٦) رواه الحاكم المسكاني في ١٩٢/١ - ١٩٣.

(٣٧) سبق ذكر مصادره.

(٣٨) مجمع الزوائد ١٦٣/٩ - ١٦٥. وابن كثير ٢٠٩/٥ - ٢١٣.

(٣٩) مادة (الجحفة) من معجم البلدان.

(٤٠) في تاريخ ابن كثير ٢١٣/٥.

(٤١) مجمع الزوائد ١٠٥/٩ والسمر: نوع من الشجر، وقمّ: كُنس. وقريب منه لفظ ابن

كثير ٢٠٩/٥.

(٤٢) مسند أحمد ٢٨١/٤. وسنن ابن ماجه باب فضل علي، وتاريخ ابن كثير ٢٠٩/٥.

٢١٠/٥.

(٤٣) مجمع الزوائد ١٦٣/٩ - ١٦٥.

(٤٤) مسند أحمد ٣٧٢/٤. وابن كثير ٢١٢/٥.

(٤٥) مسند أحمد ٢٨١/٤. سنن ابن ماجه باب فضل علي. وابن كثير ٢١٢/٥.

قالوا: نشهد أنك بلغت ونصحت فجزاك الله خيراً.
قال: «أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن الجنة حق وأن النار حق؟».

قالوا: بلى نشهد ذلك.

قال: «اللهم أشهد».

ثم قال: «ألا تسمعون؟».

قالوا: نعم.

قال: «يا أيها الناس إني فرط وأنتم واردون عليّ الحوض وإن عرضه ما بين بصري إلى صنعاء^(٤٦) فيه عدد النجوم قدحان من فضة، وإني سأئلكم عن الثقلين، فانظروا كيف تخلفوني فيهما».

فنادى مناد: وما الثقلان يا رسول الله؟

قال: «كتاب الله، طرف بيد الله وطرف بأيديكم، فاستمسكوا به، لا تزلوا ولا تبدلوا، وعترتي أهل بيتي، وقد نبأني اللطيف الخبير أنها لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض، سألت ذلك لهما ربي، فلا تقدموهما فتهلکوا، ولا تقصروا عنها فتهلکوا، ولا تعلموهما فهم أعلم منكم»^(٤٧).

ثم قال: «ألستم تعلمون أيّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟».

قالوا: بلى يا رسول الله^(٤٨).

قال: «ألستم تعلمون - أو تشهدون - أيّ أولى بكلّ مؤمن من نفسه؟»

(٤٦) كانت بصرى اسماً لقرية بالقرب من دمشق، وأخرى بالقرب من بغداد.

(٤٧) مجمع الزوائد ١٦٢/٩ - ١٦٣ - ١٦٥، وبعض ألفاظه في روايات الحاكم ١٠٩/٣ -

١١٠، وابن كثير ٢٠٩/٥.

(٤٨) مسند أحمد ١١٨/١، ١١٩، ٢٨١/٤، وسنن ابن ماجه ٤٣/١ ح ١١٦، وجاء (نعم)

في مسند أحمد ٢٨١/٤، ٣٦٨، ٣٧٠، ٣٧٢، وابن كثير ٢٠٩/٥، ولدى ابن كثير ٢١٠/٥: (ألست

أولى بكلّ امرئ من نفسه).

قالوا: بلى يا رسول الله^(٤٩).

ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب بضبعيه، فرفعها، حتى نظر الناس إلى بياض إبطيها^(٥٠)، ثم قال: «أيها الناس! الله مولاي وأنا مولاكم^(٥١)؛ فمن كنت مولا، فهذا علي مولا. اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه^(٥٢)، وأنصر من نصره، وأخذل من خذله^(٥٣)، وأحب من أحبه، وأبغض من أبغضه^(٥٤)».

ثم قال: «اللهم أشهد»^(٥٥).

ثم لم يتفرقا - رسول الله وعلي - حتى نزلت هذه الآية:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة/٣).

(٤٩) مسند أحمد ٤/٢٨١ و٣٦٨ و٣٧٠ و٣٧٢، وابن كثير ٥/٢٠٩ و٢١٢.

(٥٠) في رواية الحاكم الحسكاني ١/١٩٠، فرفع يديه حتى يرى بياض إبطيه. وفي ص ١٩٣ منه: حتى بان بياض إبطيها. وضعا: الضبع بسكون الباء: وسط العضد بلحمه. لسان العرب مادة: (ضبع).

(٥١) الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ١/١٩١، وعند ابن كثير ٥/٢٠٩: وأنا مولى كل مؤمن.

(٥٢) في جميع المصادر التي ذكرناها إلى هنا في جميع روايات الباب.

(٥٣) مسند أحمد ١/١١٨ و١١٩ و٤/٢٨١ و٣٧٠ و٣٧٢ و٣٧٣ و٣٤٧/٥ و٣٧٠. ومستدرك الحاكم ٣/١٠٩. وسنن ابن ماجه، باب فضل علي. والحاكم الحسكاني ١/١٩٠ و١٩١. وتاريخ ابن كثير ٥/٢٠٩ و٢١٠ - ٢١٣، وقال ابن كثير في ٥/٢٠٩: فقلت لزيد: هل سمعته من رسول الله؟ فقال: ما كان في الدوحات أحد إلا رآه بعينه وسمعه بأذنيه. ثم قال ابن كثير: قال شيخنا أبو عبد الله الذهبي: وهذا حديث صحيح.

(٥٤) مسند أحمد ١/١١٨ و١١٩. وجمع الزوائد ٩/١٠٤ و١٠٥ و١٠٧. وشواهد التنزيل ١/١٩٣. وتاريخ ابن كثير ٥/٢١٠ و٢١١.

(٥٥) شواهد التنزيل للحسكاني ١/١٩١. وتاريخ ابن كثير ٥/٢١٠.

(٥٦) شواهد التنزيل ١/١٩٠.

فقال رسول الله (ص): الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة، ورضا
الربّ برسالي والولاية لعلي^(٥٧).

وفي باب ما نزل من القرآن بالمدينة من تاريخ يعقوبي:
(إنّ آخر ما نزل عليه: ﴿اليوم أكملت...﴾ وهي الرواية الصحيحة
الثابتة، وكان نزولها يوم النصف على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب - صلوات
الله عليه - بغدير خم^(٥٨).

فلقيه عمر بن الخطاب بعد ذلك، فقال له:
هنيئاً لك يا ابن أبي طالب، أصبحت وأمست مولى كل مؤمن ومؤمنة^(٥٩).
وفي رواية قال له: بنح بنح لك يا ابن أبي طالب^(٦٠).
وفي رواية أخرى: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب، أصبحت وأمست مولى
كل مؤمن ومؤمنة^(٦١).

٥ - آية الولاية:

قال الله سبحانه في سورة المائدة
﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ
وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ (الآية/٥٥)
في تفسير الطبري، وأسباب النزول للواحدي وشواهد التنزيل للحاكم

(٥٧) رواه الحاكم الحسكاني عن أبي سعيد الخدري ١/١٥٧ - ١٥٨ ح ٢١١ و ٢١٢، وعن
أبي هريرة ص ١٥٨ ح ٢١٣، وفي تاريخ ابن كثير ٥/٢١٤ بإيجاز.
(٥٨) يعقوبي ٢/٤٣.
(٥٩) مسند أحمد ٤/٤٨١. ولفظ (بعد ذلك) من تاريخ ابن كثير ٥/٢١٠.
(٦٠) شواهد التنزيل ١/١٥٧ و ١٥٨.
(٦١) مسند أحمد ٤/٢٨١، وسنن ابن ماجه باب فضائل علي، والرياض النضرة ٢/١٦٩،
ولفظ (بعد ذلك) في تاريخ ابن كثير ٥/٢١٠.

المسكافي وأنساب الأشراف للبلاذري وغيرها^(٦٢): عن ابن عباس وأبي ذر
وأنس بن مالك والإمام علي وغيرهم ما خلاصته:

(إن فقيراً من فقراء المسلمين دخل مسجد الرسول (ص) وسأل، وكان
علي راکعاً في صلاة غير فريضة، فأوجع قلب عليّ كلام السائل، فأوماً بيده
اليمنى إلى خلف ظهره، وكان في إصبعه خاتم عقيق يمني أحمر يلبسه في الصلاة،
وأشار إلى السائل بنزعه، فنزعه، ودعا له ومضى، فما خرج أحد من المسجد
حتى نزل جبرئيل (ع) بقول الله عزوجل: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ...﴾ الآية.
فأنشأ حسّان بن ثابت يقول أبياتاً منها قوله:

أبا حسن تفديك نفسي ومهجتي
وكلّ بطيء في الهدى ومسارع
فأنت الذي أعطيت إذ أنت راکع
فدتك نفوس القوم يا خير راکع
فأنزل فيك الله خير ولاية
فأثبتها في محكمات الشرائع

٦ - آية النجوى:

قال الله سبحانه في سورة المجادلة/١٢.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ﴾

(٦٢) تفسير الطبري ١٨٦/٦. وأسباب النزول للواحي ص ١٣٣ - ١٣٤، وفي شواهد
التنزيل ١٦٦/١ - ١٦٤ خمس روايات عن ابن عباس وفي ص ١٦٥ - ١٦٦ روايتان عن أنس بن
مالك، وست روايات أخرى في ص ١٦٧ - ١٦٩. وأنساب الأشراف للبلاذري ح ١٥١ من ترجمة
الإمام ١/ الورقة ٢٢٥. وغرائب القرآن للنيسابوري بهامش الطبري ١٦٧/٦ - ١٦٨. وأخرج
السيوطي كثيراً من روايتها في تفسيره ٢٩٣/٢ - ٢٩٤، وقال في لباب النقول في أسباب النزول
ص ٩٠ - ٩١ بعد إيراد الروايات: (فهذه شواهد يقوي بعضها بعضاً).

قال الطبري: (نهوا عن مناجات النبي (ص) حتى يتصدقوا، فلم ينجاه أحد إلا علي بن أبي طالب)^(٦٣).

وفي أسباب النزول للواحد وغيره عن الإمام علي: (كان لي دينار فبعته وكنت إذا ناجيت الرسول (ص) تصدقت بدرهم حتى نفد)^(٦٤).

وفي رواية: (كان عندي دينار فصرفته بعشر دراهم فكنت إذا جئت إلى النبي (ص)...) ^(٦٥).

وروى الزمخشري في تفسير الآية: (أنه تصدق في عشر كلمات سأهّن رسول الله (ص)).

وفي رواية عن الإمام: إن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي:

آية النجوى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم...﴾ الآية، كان عندي دينار - إلى قوله: - ثم نسخت فلم يعمل بها أحد، فنزلت: ﴿أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ...﴾ (المجادلة/١٣)^(٦٦).

٧ - آية سورة براءة:

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ *
الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ
وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (الآيات/١٩ - ٢٠)

(٦٣) تفسير الطبري ١٤/٢٨ - ١٥. والدر المنثور ١٨٥/٦.

(٦٤) أسباب النزول للواحد ص ٣٠٨. والطبري في تفسير الآية.

(٦٥) تفسير الآية في الدر المنثور ١٨٥/٦. والرياض النضرة ٢/٢٦٥.

(٦٦) تفسير السيوطي ١٨٥/٦. والرياض النضرة ٢/٢٦٥. والكشاف ٤/٧٦.

(أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس (رض) في قوله ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ...﴾ الآية.

وذلك أن المشركين قالوا: عمارة بيت الله، وقيام على السقاية، خير ممن آمن وجاهد، فكانوا يفخرون بالحرم ويستكبرون به من أجل أنهم أهله وعماره، فذكر الله استكبارهم واعراضهم، فقال لأهل الحرم من المشركين... الى قوله: ﴿لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس (رض) قال: قال العباس (رض) حين أسر يوم بدر: إن كنتم سبقتمونا بالاسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعلم المسجد الحرام، ونسقي الحاج، ونفك العاني، فأنزل الله ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ...﴾ الآية. يعني أن ذلك كان في الشرك فلا أقبل ما كان في الشرك.

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس (رض) ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ...﴾ الآية. قال: نزلت في علي بن أبي طالب والعباس (رض).

وأخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي (رض) قال: افتخر طلحة ابن شيبه، والعباس، وعلي بن أبي طالب، فقال طلحة: أنا صاحب البيت معي مفتاحه.

وقال العباس (رض): أنا صاحب السقاية والقائم عليها.

فقال علي (رض): ما أدري ما تقولون: لقد صليت الى القبلة قبل الناس، وأنا صاحب الجهاد فأنزل الله ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ...﴾ الآيات العشر.

وأخرج أبو نعيم في فضائل الصحابة وابن عساكر عن أنس (رض) قال: قعد العباس وشيبه صاحب البيت يفتخران، فقال له العباس (رض): أنا أشرف منك، أنا عم رسول الله (ص) ووصيي أبيه، وسأقي الحجيج، فقال شيبه: أنا

أشرف منك، أنا أمين الله على بيته وخازنه، أفلا ائتمنك كما ائتمني؟ فاطلع عليهما عليّ (رض) فأخبراه بما قالوا. فقال علي (رض) أنا أشرف منكما، أنا أول من آمن وهاجر. فانطلقوا ثلاثتهم إلى النبي (ص) فأخبروه. فبأجابههم بشيء، فانصرفوا فنزل عليه الوحي بعد أيام، فأرسل إليهم فقرأ عليه ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ...﴾ إلى آخر الآيات.

وأخرج مسلم وأبو داود وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان والطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه عن النعمان بن بشير (رض) قال: كنت عند منبر رسول الله (ص) في نفر من أصحابه، فقال رجل منهم: ما أبالي إن لا أعمل لله عملاً بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج.

وقال آخر: بل عمارة المسجد الحرام.

وقال آخر: بل الجهاد في سبيل الله خير مما قلت.

فجزهم عمر (رض) وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله (ص) - وذلك يوم الجمعة - ولكن إذا صليتم الجمعة دخلت على رسول الله (ص) فاستفتيته فيما اختلفتم فيه، فأنزل الله ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ﴾ إلى قوله ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٦٧).

ب - آيات تخصّ زوجات الرسول (ص):

آيات سورة التحريم.

قال الله سبحانه في سورة التحريم:

﴿وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ

(٦٧) الدر المنثور للسيوطي ٢/٢١٨ - ٢١٩.

الْخَبِيرُ * إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ
 وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ * عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَقَكُنَّ أَنْ
 يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَاتِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ
 وَأَبْكَارًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ
 عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ * يَا أَيُّهَا
 الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَدُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا
 إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُم سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي
 مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
 وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا لَنَا نُورَنَا وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * يَا أَيُّهَا
 النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفْرَانَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ *
 ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتِ نُوحٍ وَامْرَأَتِ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ
 عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ
 الدَّاخِلِينَ * وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتِ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ
 بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَمَرْيَمَ ابْنَتَ
 عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ
 وَكَانَتْ مِنَ الْمُقَاتِلِينَ * (الآيات/ ٢ - ١٢)

أخرج البخاري ومسلم عن ابن عباس انه قال: كنت أريد أن أسأل
 عمر عن المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله فمكثت سنة لم أجد له موضعاً
 حتى خرجت معه حاجاً فلما كنا بمر الظهران ذهب عمر لحاجته، فقال: أدركني
 بالوضوء.

فأدركته بالادائة، فجعلت اسكب عليه الماء، ورأيت موضعاً، فقلت: يا
 أمير المؤمنين من المرأتان اللتان تظاهرتا؟

قال ابن عباس «فما أتممت كلامي حتى قال: عائشة وحفصة»^(٦٨).
ولفظ الحديث في مسند الطيالسي: (فقلت: يا أمير المؤمنين أريد أن
أسألك عن حديث منذ سنة فمنعتني هيبتك أن أسألك.
قال: لا تفعل، إذا علمت أن عندي علماً فسلي
قال: قلت أسألك عن حديث المرأتين، قال: نعم حفصة وعائشة...)
الحديث^(٦٩).

وفي مسند أحمد: أردت أن أسأل عمر فمكثت سنتين... الحديث^(٧٠).
ولفظ الحديث في رواية أخرى عن ابن عباس قال: لم أزل حريصاً على
أن أسأل عمر بن الخطاب عن المرأتين من أزواج النبي اللتين قال الله - تعالى -
﴿ إِنْ تَوَلَّيْنَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ حتى حجَّ وحججت معه... - الى
قوله - قال عمر: واعجبا لك يا ابن عباس هما عائشة وحفصة... الحديث^(٧١).

(٦٨) البخاري كتاب التفسير تفسير سورة التحريم باب تبغي مرضاة أزواجك ١٣٧/٣
- ١٣٨، وكتاب اللباس باب ما كان النبي يتجوّز من اللباس والبسط ٢٢/٤، ومسلم كتاب الطلاق
١١٠٨/٢ و١١١١.

مرّ الظهران: الظهران واد قرب مكة وعنده قرية يقال لها مر تضاف إلى هذا الوادي ويقال
مرّ الظهران. الحموي، معجم البلدان.

الاداة: إناء صغير من جلد.

(٦٩) مسند الطيالسي الحديث ٢٣.

(٧٠) مسند أحمد ٤٨/١.

(٧١) البخاري باب موعظة الرجل ابنته لحال زوجها ١٧٢/٣ وكتاب المظالم باب العرفة
والعلية ٤٧/٢ والنسائي كتاب الصوم باب كم الشهر ٣٠٢/١، وطبعة تصحيح محمد فؤاد عبيد
الباقي ١٣٧/٤، والترمذي سورة التحريم من كتاب التفسير ٤٠٩/٢ ط. الهند وطبعة مصر سنة
١٣٥٣ هـ ٢٠٩/١١ وابن سعد في الطبقات ١٨٢/٨ و١٩٠، وراجع تفسير القرطبي ١٨٩/١٨
وطبعة أخرى افست على طبعة مصر سنة ١٣٩٢ ١٠٢/٢٨، ومسلم ط. بيروت ١١٠٨/٢ كتاب
الطلاق، كنز العمال ٣٣٢/٢ كتاب التفسير تفسير سورة التحريم ط. حيدرآباد سنة ١٣٦٤ هـ.

ج - في ما يخص الصحابة:

مما نزل في شأن الصحابة في مكة

قوله تعالى في سورة النمل :

﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (الآية/١٠٦)

(أخرج عبد الرزاق وابن سعد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم وصححه، والبيهقي في الدلائل من طريق أبي عبيدة بن محمد بن عمار عن أبيه قال: أخذ المشركون عمار بن ياسر، فلم يتركوه، حتى سب النبي (ص) وذكر آهتهم بخير، ثم تركوه، فلما أتى رسول الله (ص) قال: ما وراءك شيء؟ قال: شر ما تركت حتى نلت منك وذكرت آهتهم بخير.

قال: كيف تجد قلبك؟ قال: مطمئن بالايان.

قال: إن عادوا فعد. فنزلت: ﴿ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾

وأخرج ابن سعد عن محمد بن سيرين «إن النبي (ص) لقي عماراً وهو يبكي، فجعل يمسح عن عينيه ويقول: أخذك الكفار فغطوك في الماء فقلت كذا وكذا... فإن عادوا فقل ذلك لهم».

وأخرج ابن جرير وابن عساكر عن قتادة قال: ذكر لنا أن هذه الآية ﴿ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾ نزلت في عمار بن ياسر، أخذه بنو المغيرة فغطوه في بئر وقالوا: اكفر بمحمد (ص) فاتبعهم على ذلك وقلبه كاره فنزلت (٧٢).

(٧٢) السيوطي ١٣٢/٤.

مما نزل في شأن الصحابة في المدينة

١ - آية: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ (الحجرات/٢).

في صحيح البخاري في سورة الحجرات عن عبد الله بن الزبير، أخبرهم أنه قدم ركب من بني تميم على النبي (ص)، فقال أبو بكر: أمر القعقاع بن معبد. وقال عمر بل أمر الاقرع بن حابس. فقال أبو بكر: ما أردت إلى أو إلا خلافي. فقال عمر: ما أردت خلافاً، فتباريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزل في ذلك يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله، حتى أنقضت الآية. ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴾ (٧٣).

وفي حديث قبله:

كادالخيران ان يهلكا: ابا بكر وعمر.

٢ - آية: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (آل عمران/١٥٥).

في تفسير الآية بتفسير الطبري والسيوطي عن ابن اسحاق انه قال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ﴾. فلان، وسعد بن عثمان، وعقبة بن عثمان الانصاريان، ثم الزرقيان.

وقد كان الناس انهزموا عن رسول الله (ص) حتى انتهى بعضهم إلى المنقى دون الأغوص، وفر عقبة بن عثمان، حتى بلغوا الجلعب - جبل بناحية المدينة مما يلي الأغوص - فأقاموا به ثلاثاً، ثم رجعوا إلى رسول الله (ص)،

(٧٣) صحيح البخاري كتاب التفسير تفسير سورة الحجرات ٣/١٩٠ - ١٩١.

فزعوا أن رسول الله (ص) قال: «لقد ذهبتُم فيها عريضة»^(٧٤).

وفي تفسير السيوطي: أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن عبد الرحمن ابن عوف ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ قال: هم ثلاثة. واحد من المهاجرين، واثنان من الانصار^(٧٥).

وأخرج ابن جرير عن عكرمة في قوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ قال: نزلت في رافع بن المعلّى وغيره من الانصار، وأبي حذيفة بن عتبة، ورجل آخر^(٧٦).

وأخرج عبد بن حميد عن عكرمة قال: كان الذين ولوا الدبر يومئذ: عثمان بن عفان، وسعد بن عثمان، وعقبة بن عثمان، أخوان من الأنصار من بني زريق.

وكان فرار عثمان يوم أحد مما يعاب عليه كما عابّ عليه عبد الرحمن بن عوف فاجاب عثمان كيف يعيرني وقد عفا الله عني فقال ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ...﴾^(٧٧).

وقال الرازي في تفسير الآية: واعلم أن المراد: أن القوم الذين تولوا يوم أحد عند التقاء الجمعين وفارقوا المكان، وانهمزوا قد عفا الله عنهم.

اختلفت الأخبار فيمن ثبت ذلك اليوم وفيمن تولى، فذكر محمد بن اسحاق أن ثلث الناس كانوا مجروحين، وثلثهم انهزموا، وثلثهم ثبتوا، واختلفوا في المنهزمين، فقيل: ان بعضهم ورد المدينة وأخبر أن النبي (ص) قتل، وهو سعد ابن عثمان، ثم ورد بعده رجال دخلوا على نساءهم، وجعل النساء يقلن: عن رسول الله (ص) تفرون!

(٧٤) تفسير الطبري ٩٦/٤، والسيوطي ٨٩/٢.

(٧٥) الدر المنثور للسيوطي ٨٨/٢ - ٨٩.

(٧٦) تفسير الطبري ٩٦/٤.

(٧٧) الدر المنثور للسيوطي ٨٨/٢ - ٨٩.

وكن يخبثن التراب في وجوههم، ويقلن: هاك المغزل اغزل به، ومنهم قال:
ان المسلمين لم يعدوا الجبل.

قال القفال والسذي تدل عليه الأخبار في الجملة أن نفرا منهم تولوا
وأبعدوا، فمنهم من دخل المدينة، ومنهم من ذهب الى سائر الجوانب، وأما
الاكثرون فانهم نزلوا عند الجبل واجتمعوا هناك ومن المنهزمين عمر، إلا أنه لم
يكن في أوائل المنهزمين ولم يبعد، بل ثبت على الجبل الى أن صعد النبي (ص)،
ومنهم أيضاً عثمان انهزم مع رجلين من الانصار يقال لهما سعد وعقبة، انهزموا حتى
بلغوا موضعا بعيداً، ثم رجعوا بعد ثلاثة أيام، فقال لهم النبي (ص) «لقد ذهبتم
فيها عريضة» (٧٨).

دراسة الخبر:

في الرواية الاولى فلان و سعد وعقبة الانصاريان.

وفي خبر ما كان يعييه عبد الرحمن بن عوف على عثمان نفهم انه كان
عثمان الذي أصبح بعد ذلك خليفة، ولم يستحسنوا ذكر اسمه.
٣ - آية: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا
قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِيبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ (الآية ٦/)

في تفسير الآية بتفسير الطبري والسيوطي عن أم سلمة (رض) قالت:
بعث النبي (ص) الوليد بن عقبة إلى بني المصطلق يصدق أموالهم، فسمع بذلك
القوم فتلقوه يعظمون أمر رسول الله (ص)، فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله،
فرجع الى رسول الله (ص)، فقال: إن بني المصطلق منعوا صدقاتهم، فبلغ القوم
رجوعه، فأتوا رسول الله (ص) فقالوا: نعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله
بعثت إلينا رجلاً مصدقاً، فسررنا لذلك، وقرت أعيننا ثم إنه رجع من بعض

الطريق فخشينا أن يكون ذلك غضباً من الله ورسوله، ونزلت ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ...﴾ الآية (٧٩).

٤ - آية: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ (الأنعام/٩٣).

أخرج السيوطي عن أبي خلف الأعمى قال: كان ابن أبي سرح يكتب للنبي (ص) الوحي، فأتى أهل مكة، فقالوا: يا ابن أبي سرح كيف كتبت لابن أبي كبشة القرآن؟

قال: كنت أكتب كيف شئت، فأنزل الله ﴿ومن أظلم ممن أفترى على الله كذباً﴾ (٨٠).

وفي المستدرک عن شرحبيل بن سعد قال: نزلت في عبد الله بن أبي سرح ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ الآية.

فلما دخل رسول الله (ص) مكة فرأى إلى عثمان أخيه من الرضاة، فغيبه عنده حتى اطمأن أهل مكة، ثم استأمن له (٨١).

٥ - آية: ﴿...وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ (الاسراء/٦٠).

وفي تفسير الطبري والسيوطي بسندهما عن سهل بن سعد قال: رأى رسول الله (ص) بني فلان ينزون على منبره نزو القردة، فسأه ذلك، فما

(٧٩) تفسير الطبري ٧٨/٢٦، وتفسير السيوطي ٨٨/٦ - ٩٢.

(٨٠) الدر المنثور للسيوطي ٣٠/٣.

(٨١) المستدرک للحاكم ٤٥/٣ - ٤٦.

أستجمع ضاحكاً حتى مات، وأنزل الله ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً
لِّلنَّاسِ ﴾ (٨٢).

وفي تفسير السيوطي عن ابن أبي حاتم بسنده عن يعلى بن مرة قال:
قال: رسول الله (ص): أريت بني أمية على مناير الأرض وسيتملكونكم
فتجدونهم أرباب سوء.

وأهتّم رسول الله (ص) لذلك: فأنزل الله ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي
أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾ (٨٣).

وفي تفسير السيوطي عن ابن مردويه بسنده عن الحسين بن علي: ان
رسول الله (ص) أصبح وهو مهموم، فقيل: مالك يا رسول الله؟ فقال: «إني أريت
في المنام كأن بني أمية يتعاورون منبري هذا».

فقيل: يا رسول الله، لا تهتم فإنها دنيا تنالهم. فأنزل الله: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا
الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾ (٨٤).

وفي تفسير السيوطي عن ابن أبي حاتم بسنده عن ابن عمر: أن
النبي (ص) قال: رأيت ولد الحكم بن أبي العاص على المناير كأنهم القردة وأنزل
الله في ذلك ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ ﴾
يعني: الحكم وولده (٨٥).

وفي تفسير السيوطي عن ابن عساكر وغيره بسندهم عن سعيد بن
المسيب قال: رأى رسول الله (ص) بني أمية على المناير، فساءه ذلك، فأوحى الله
إليه (إنما هي دنيا أعطوها)، فقرت عينه، وهي قوله: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي

(٨٢) تفسير الطبري ٧٧/١٥ والدر المنثور للسيوطي ١٩١/٤.

(٨٣) تفسير السيوطي ١٩١/٤.

(٨٤) تفسير السيوطي ١٩١/٤.

(٨٥) تفسير الدر المنثور للسيوطي ١٩١/٤.

أَرْتَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ﴿٨٦﴾.

وفي تفسير السيوطي عن ابن مردويه بسنده عن عائشة. أنها قالت
لمروان بن الحكم: سمعت رسول الله يقول لأبيك وجدك: إنكم الشجرة الملعونة
في القرآن (٨٧).

دراسة الخبر:

في الرواية رأى رسول الله (ص) بني فلان ينزون على منبره. فمن هم
بنو فلان؟
هم بنو أمية الذين أصبحوا بعد الرسول ولاية المسلمين ولذلك لم يصرح
الراوي بذكرهم.

(٨٦) تفسير الدر المنثور للسيوطي ١٩٩/٤.

(٨٧) تفسير الدر المنثور للسيوطي ١٩٩/٤.

خلاصة بحث أخبار سيرة الرسول في القرآن الكريم ونتائجها وآثارها:

جاء في تفسير الآيات:

أن آية ﴿إنا يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت﴾ هم الرسول وعلي وفاطمة والحسن والحسين.

وأن تفسير أبناءنا في آية المباهلة هما الحسن والحسين وأنفسنا علي بن أبي طالب ونساءنا فاطمة.

وفي خبر إرسال الآيات الأولى من سورة البراءة إلى المشركين أن رسول الله بعثها مع الصحابييين أبي بكر وعمر ثم أمر الله رسوله أن يبعثها مع علي ففعل ذلك.

وفي تفسير ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته...﴾ أن الرسول جمع الحجيج، وأخذ بيد علي وقال: من كنت مولاه فهذا مولاه ... الحديث.

وفي تفسير ﴿إنا وليكم الله ورسوله والذين آمنوا﴾ هو الامام علي.

وفي تفسير آية النجوى الذي دفع الصدقة وناجى الرسول (ص) بين الصحابة هو الامام علي.

وفي تفسير آية ﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله...﴾ هو الامام في مقابل العباس عم النبي الذي تفاخر بسقاية الحاج وطلحة الداري الذي تفاخر بعمارة البيت.

وفي تفسير آية: ﴿ان تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما﴾ أنّها أم المؤمنين عائشة وأم المؤمنين حفصة.

وفي تفسير آية: ﴿الآن من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾ أنّه الصحابي عمار

ابن ياسر.

وفي تفسير آية: ﴿لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾ ان المقصود به الصحابييان أبي بكر وعمر.

وفي تفسير آية: ﴿ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان﴾ ان المقصود به الخليفة عثمان ومن فرّ معه يوم أحد.

وفي تفسير آية: ﴿ان جاءكم فاسق بنبأ...﴾ انه الوليد بن عتبة.

وفي تفسير آية: ﴿وقال أوحى اليّ ولم يوح اليه﴾ هو عبد الله بن أبي

سرح.

وفي تفسير آية: ﴿والشجرة الملعونة في القرآن﴾ انهم بنو أمية.

* * *

كان ذلكم خلاصة البحث أما نتائج وآثاره، فسوف ندرسها في بحث اختلاف المصاحف وزيادة القرآن ونقصانه ان شاء الله تعالى، وكان كل ما أوردناه الى هنا من بحوث قرآنية تخص عصر الرسول وفي ما يأتي ندرس باذنه تعالى المصطلحات القرآنية.

بحوث تمهيدية

«٣»

مصطلحات اسلامية قرآنية

- أ - الوحي ونزوله.
- ب - القرآن والكتاب والمصحف.
- ج - السورة والآية.
- د - الجزء والحزب.
- هـ - التلاوة والقراءة.
- و - الجامع والحافظ.
- ز - الترتيل والتجويد.
- ح - النسخ.
- المختصة.

توليفات

« ٧ »

توليفات في علم الفلك

١ - علم الفلك

٢ - علم الفلك

٣ - علم الفلك

٤ - علم الفلك

٥ - علم الفلك

٦ - علم الفلك

٧ - علم الفلك

٨ - علم الفلك

٩ - علم الفلك

مقدمة البحث:

لعلوم الاسلام كسائر العلوم مصطلحات بها تفتح أبوابها وتدرك بحوثها ومع الأسف الشديد لم يعن العلماء منذ قرون بدراسة مصطلحات علوم القرآن كما عنوا - مثلاً - بمصطلحات علوم الفقه، وعلى أثرها عرف المسلمون أحكام الاسلام مدى القرون.

ولعدم عنايتهم بدراسة مصطلحات علوم القرآن التبس أمر مصطلحات الاسلام في علوم القرآن بمصطلحات المسلمين فيها، ولم تفهم معنى الروايات التي رويت في شأن النسخ والقراءة والمصاحف وامثالها من بحوث علوم القرآن، وأدى ذلك الى القول بعدم ثبوت النص القرآني الذي أوحى الى الرسول (ص) في عصرنا - معاذ الله - واخطاء كبيرة أخرى تعرضنا لدراستها خلال بحوث هذا الكتاب، ويتوقف فهم المصطلحات القرآنية على استيعاب معاني المصطلحات التي شرحناها في الجزء الأول من كتابنا «قيام الأئمة باحياء السنة».

وفي البحوث الآتية محاولة متواضعة لتعريف المصطلحات الاسلامية ومصطلحات المسلمين في علوم القرآن، فإن أصبت فيها فمن الله، وإن اخطأت فمني وحسبي نجاحاً ان أوفق لجلب نظر الباحثين في هذه العلوم إلى ضرورة القيام بدراسة تلك المصطلحات وعدم الركون الى بحوث السلف الصالح في شأنها وتقليدهم فيها والله المسؤول ان يأخذ بأيدينا في سلوك هذا الطريق إنه نعم المولى ونعم النصير.



أولاً - الوحي ونزوله:

أ - الوحي في اللغة والمصطلح الاسلامي:

في اللغة:

أوحى إليه وله: أشار وأومأ، وكلمه بكلام خفي يخفى على غيره، وأمره، وأهمه، وأوحى فلان الكلام إلى فلان: ألقاه إليه^(١).

في المصطلح الاسلامي:

الكلمة الالهية التي يلقبها الى أنبيائه ورسله بواسطة ملك يشاهده الرسول ويسمع كلامه، كتبليغ جبرئيل لخاتم الأنبياء (ص) أو سماع كلام الله من غير معاينة، كسماع موسى كلام الله.

أو بالرؤيا في المنام كما أخبر الله عن قول إبراهيم لابنه اسماعيل في سورة الصافات:

﴿ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ (الآية/١٠٢)

أو بأنواع أخرى من الوحي يعلمه الله وتدركه رسله صلوات الله عليهم

(١) مصدرنا في ما نذكر من معاني المصطلحات:

أ - مفردات القرآن للأصبهاني ب - معجم ألفاظ القرآن الكريم.

أجمعين.

ومن موارد استعماله في المصطلح الإسلامي في القرآن الكريم قوله تعالى:

أ - في سورة النساء/١٦٣:

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ ﴾

ب - في سورة الشورى/٧:

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾

ج - في سورة المؤمنون/٢٧:

﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوْحَيْنَا ﴾

د - في سورة الاعراف:

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾

(الآية/١١٧)

﴿ ... وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ... ﴾

(الآية/١٦٠).

ب - نزول الوحي وتنزيله:

١ - نزل نزولاً:

انحطّ من علو الى سفلى مكاناً أو معنى، ونزول الكتب السماوية بلوغها الى من أنزلت عليه.

٢ - تنزل تنزلاً:

نزل في تمهل وتدرج.

٣ - أنزله نزولاً ونزله تنزيلاً:

جعلله ينزل والفرق بين الإنزال والتنزيل في وصف القرآن والملائكة ان
التنزيل يخصّ بالموضع الذي يشير إلى إنزاله ويكون التنزيل تدريجياً بينما
الإنزال عام.

ومثال النزول من الأعلى مكاناً إلى الأسفل قوله - تعالى - في سورة
النحل/٦٥.

﴿ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ ﴾

ومثال النزول المعنوي وبلوغ الكتب السابوية الى من أنزلت عليه قوله

تعالى:

أ - في سورة الشعراء/١٩٣ - ١٩٤:

﴿ نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ * عَلَيَّ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾

ب - في سورة طه/٢:

﴿ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴾

ومثال التنزل في تمهل وتدرج قوله تعالى في سورة فصلت/٣٠:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا

وَلَا تَحْزَنُوا ﴾

ومثال الاختصاص بالموضع الذي يشير إلى إنزاله قوله تعالى:

أ - في سورة الانعام/٧:

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرطاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ

هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾

ب - في سورة الانعام/١١١:

﴿ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ... ﴾

ومثال الانزال التدريجي قوله تعالى في سورة الاسراء/١٠٦:

﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكُتٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴾

وجاء في القرآن نزل وأنزل بمعنى أوحى في قوله تعالى:
أ - في سورة البقرة/٤:

﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾

ب - في سورة آل عمران:

﴿ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ * مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾

(الآيات/٣-٤)

ج - في سورة يوسف/٢:

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾

د - في سورة الإنسان/٢٢:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴾

هـ - و (نزل به) في قوله تعالى في سورة الشعراء:

﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ

مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ (الآيات/١٩٢ - ١٩٥)

كما جاء أوحى بمعنى نزل وأنزل في قوله تعالى:

أ - في سورة الشورى/٧:

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْعَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾

ب - في سورة الانعام/١٩:

﴿ وَأَوْحِيَ إِلَيْنِي هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾

و الوحي و الإنزال من الله قد يكون معناه ولفظه وكتابه من الله سبحانه
وينزله الله مرة واحدة على رسوله كما كان شأن التوراة حيث قال الله سبحانه في
سورة الأعراف:

﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَنْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً ﴾

وقد يكون لفظه ومعناه من الله وينزل متدرجاً على الرسول (ص) كما قال سبحانه في وصف القرآن:

أ - في سورة المزمل:

﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾

ب - في سورة الاسراء:

﴿ وَقَرَأْنَا فَرَقَانَهُ لِنَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنُنَزِّلُهَا تَنْزِيلًا ﴾

وقد يوحي الله المعنى الى رسوله ويبلغ الرسول (ص) المعنى بلفظه وهو بعض من سنة الرسول أي حديثه كما روى الدارمي بسنده وقال:

« كان جبريل ينزل على رسول الله بالسنة كما ينزل بالقرآن »^(٢).

وكذلك كان الله يوحي إلى الرسول (ص) ببيان الآيات مع إنزال الآيات

كما أخبر الله تعالى عن ذلك في سورة القيامة حيث قال تعالى:

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا

بَيَانَهُ ﴾

خلاصة البحث:

أولاً - الوحي:

الوحي في المصطلح الاسلامي: كلمة الله - جل اسمه - التي يلقيها الى أنبيائه ورسله بسماع كلام الله - جل جلاله - دونها رؤية الله - سبحانه - مثل تكليمه موسى بن عمران (ع)، أو بنزول ملك يشاهده الرسول ويسمعه مثل تبليغ جبرائيل (ع) لحاتم الأنبياء (ص)، أو بالرؤيا في المنام مثل رؤيا

(٢) سنن الدارمي ١/١٤٥ المقدمة باب السنة قاضية على القرآن.

إبراهيم (ع) في المنام أنه يذبح ابنه إسماعيل (ع)، أو بأنواع أخرى لا يبلغ إدراكها علمنا.

ثانيا - نزول الوحي:

أنزل الله وحيه وكتابه ونزله: جعله ينزل.

وانزال القرآن والملائكة الى محل نزوله مثل قلب النبي والتنزيل: إنزال

تدرجي للوحي أو الكتاب والإنزال عام.

والتنزل: نزول في تمهل وتدرج.

واستعمل نزل و أنزل في القرآن الكريم بمعنى أوحاه، وكذلك العكس .

ثالثاً - ما أوحى الله إلى رسله:

ينقسم ما أوحى الله إلى رسله إلى قسمين:

أ - ما أوحى إليهم لفظه ومعناه وكان ذلك شأن كتبه التي أنزلها إلى رسله

وآخرها القرآن الكريم .

ب - ما أنزل الله المعنى وبلغته رسله بلفظهم وهذا ما يسمى بالمصطلح

الإسلامي سنة الرسول ومن جملتها أحاديث الرسول (ص) في تفسير آي

القرآن وبيان مجملها ومتشابهها.

ثانياً - القرآن والكتاب والمصحف:

أ - القرآن:

القرآن: هو كلام الله الذي نزله نجوماً - في أوقاتها المعينة لانزالها - على خاتم أنبيائه محمد (ص)، بلسان العرب ولهجة قريش منهم، ويقابله الشعر والنثر في الكلام العربي.

وعليه فإن الكلام العربي ينقسم إلى قرآن وشعر ونثر. وكما أنه يقال لديوان الشاعر: «شعر»، وللقصيدة في الديوان: «شعر»، وللبيت الواحد فيه: «شعر» وللشطر الواحد أيضاً: «شعر»، كذلك يقال لجميع القرآن: «قرآن»، وللسورة الواحدة: «قرآن»، وللآية الواحدة: «قرآن»، وأحياناً لبعض الآيات: «قرآن»، مثل ﴿وَمَا رَزَقْنَاهُمْ﴾ في الآية الثالثة من سورة البقرة. والقرآن بهذا المعنى، مصطلح إسلامي وحقيقة شرعية. إن منشأ هذه الاستعمالات مجيئه في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

أسماء أخرى للقرآن^(١):

أستخرج العلماء من القرآن أسماء أخرى للقرآن الكريم مثل: (الكتاب) و(النور) و(الموعظة) و(كريم).

١ - الكتاب: لقوله تعالى في سورة البقرة:

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي ت: ٩٧٤هـ، ط. القاهرة. النوع الخامس عشر:

معرفة أسماه ٢٧٣/١ و ٢٧٦.

﴿ أَمْ ذَلِكِ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾

٢ - النور: لقوله تعالى في سورة النساء/١٧٤:

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴾

٣ - الموعظة: لقوله تعالى في سورة يونس/٥٧:

﴿ ... قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ... ﴾

٤ - كريم: لقوله تعالى في سورة الواقعة/٧٧:

﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾

وندرس من الاسماء الآتفة الكتاب فيما يأتي:

ب - الكتاب:

يظهر بأدنى تدبر في موارد استعمال الكتاب في القرآن الكريم بانها جاءت هي ونظائرها وصفاً للقرآن الكريم، وليست أسماء له، ماعدا الكتاب الذي ليس واضحاً أنه ليس اسماً للقرآن الكريم، ومن ثم ندرس موارد استعمال لفظ (الكتاب) في اللغة والقرآن الكريم في ما يأتي باذنه تعالى:

جاء استعمال الكتاب في اللغة والقرآن لمعان متعددة منها:

أولاً - في اللغة:

أ - كتب الكتاب كتباً وكتاباً.

أي دون حروف الهجاء على أشكال تكون فيها الكلمات والجمل مثل

قوله - تعالى - في سورة البقرة/٧٩:

﴿ قَوْلٌ لِلَّذِينَ يُكْتَبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَتُوا

بِهِ تَمَنَّا قَلِيلاً قَوْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾

ب - جاء الكتاب مصدراً سمي به المكتوب فيه، مثل قوله تعالى في حكاية

قول بلقيس في سورة النمل:

﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيْكِ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

ثانياً - في القرآن الكريم:

اطلق الكتاب في القرآن على التوراة والانجيل والقرآن وكل كتاب أنزله الله على رسله مثل قوله - تعالى - في سورة البقرة:

١ - ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ... ﴾ (الآية/٨٧) للتوراة.

٢ - ﴿ ... وَقَالَتِ الْنَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ﴾ (الآية/١١٣) للانجيل.

٣ - ﴿ أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (الآية/١ - ٢) للقرآن الكريم.

٤ - ﴿ ... فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ ... ﴾ (الآية/٢١٣) أي أنزل مع كلٍ منهم كتاباً.

وسمى اليهود والنصارى أهل الكتاب في قوله تعالى في سورة المائدة/٦٨:

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾

* * *

كان هذا معنى الكتاب الذي يساوي المصحف في المعنى في اللغة والقرآن الكريم واشتهر عند النحويين كتاب سيبويه في النحو بـ(الكتاب).

قال حاجي خليفة في باب الكتاب من كشف الظنون:

(كتاب سيبويه في النحو: كان كتاب سيبويه لشهرته وفضله علماً عند النحويين، فكان يقال بالبصرة: وقرأ فلان الكتاب، فيعلم أنه كتاب سيبويه، وقرأ نصف الكتاب، فلا يشك أنه كتاب سيبويه...).

وشرحه أبو الحسن علي بن محمد المعروف بابن خروف النحوي

الأندلسي الأشبيلي (ت: ٦٠٩هـ)، وسماه تنقيح الألباب في شرح غوامض الكتاب.

وشرح أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري البغدادي الحنبلي (ت: ٦١٦هـ) أبياته وسماه: لباب الكتاب.

ولأبي بكر محمد بن حسن الزبيدي الأندلسي الأشبيلي (ت: ٣٨٠هـ):
أبنية الكتاب^(٢).

إذا فليس (الكتاب) أسماً للقرآن في القرآن الكريم ولا في عرف المسلمين.

ونستنتج من هذا البحث ونقول:

إن العلماء أخطأوا إذ فسروا ما جاء من لفظ (الكتاب) أو (كتاب) في محاورات الصحابة بمعنى القرآن، في حين أنهم قصدوا من (الكتاب) ما فرض الله على عباده، كما درسناها مفصلاً في بحث روايات اختلاف المصاحف.

ج - المصحف:

١ - في اللفظة:

(الصحيفة: التي يكتب فيها، والجمع صحائف و صُحُف و صُحُف،
والمُصْحَف والمُصْحَف: الجامع للصحف بين الدفتين)^(٣).

(٢) كشف الظنون لماجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (ت: ١٠٧٦هـ)، تركيا، ١٤٢٧/٢

و١٤٢٨.

وسيبويه، أبو مبشر، أو بشر، عمرو بن عثمان بن قنبر البصري، مولى بني الحارث بن كعب. توفي سنة ١٨٠هـ.

(٣) راجع مادة (صحف) في الصحاح للجوهري، (ت: ٣٩٣هـ). والمحكم لابن سيده (ت: ٤٥٨هـ). والمفردات للراغب، (ت: ٥٠٢هـ). ولسان العرب لابن منظور (ت: ٧١١هـ). والقاموس المحيط للفيروزآبادي (ت: ٨١٦ أو ٨١٧هـ).

وقالوا في تفسير الدفتين، الدفة: الجنب من كل شيء وصفحته، ودفتا الطبل: الجلدتان اللتان تكتنفانه، ويضرب عليهما، ومنه دفتا المصحف، يقال: حفظ ما بين الدفتين^(٤) - أي حفظ الكتاب من الجلد إلى الجلد .
 وبناءً على ما ذكرنا، فإن المصحف: أسم للكتاب المجلد، وذلك لأنه إذا كانت الصحيفة هي ما يكتب فيها وجمعها الصحف، والمصحف: هو الجامع للصحف بين الدفتين والدفتان - هما جلدتا الكتاب - فالمصحف في كلامهم بمعنى الكتاب المجلد في كلامنا.
 وبناءً على ما ذكرنا، إن المصحف: أسم لكل كتاب مجلد قرآناً كان أم غير قرآن.

٢ - في مصطلح الصحابة:

استعمل المصحف بالمعنى اللغوي الذي ذكرناه في روايات (جمع القرآن) حتى عهد عثمان.

فقد روى البخاري عن الصحابي زيد بن ثابت ما ملخصه: أن الخليفة أبا بكر أمره بجمع القرآن. قال: «فتبعت القرآن أجمعه، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر في حياته، ثم عند حفصة بنت عمر (رض)».

وروى بعدها عن أنس ما ملخصه:

(أن عثمان عندما أراد أن يجمع القرآن أرسله إلى حفصة: أن أرسلني إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردّها إليك...) الخبر^(٥).

ومن الواضح أن الصحف والمصاحف ذكرا في الخبرين المذكورين آنفاً

(٤) راجع تاج العروس للزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ) والمعجم الوسيط، مادة (دفت).

(٥) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، ٣/١٥٠.

بنفس المعنى اللغوي: (الكتاب المجلد).

وأكثر تصریحاً بما جاء عند البخاري، ما جاء عند ابن أبي داود
السجستاني في باب: جمع القرآن في المصحف من كتابه: (المصاحف)، فقد روى
فيه:

أ - عن محمد بن سيرين، قال:

«لما توفي النبي (ص) أقسم عليٌّ أن لا يرتدي الرداء إلا الجمعة، حتى

يجمع القرآن في مصحف».

ب - عن أبي العالية:

(أنهم جمعوا القرآن في مصحف في خلافة أبي بكر).

ج - عن الحسين:

(أن عمر بن الخطاب أمر بالقرآن، وكان أول من جمعه في المصحف)^(٦).

استشهدنا بهذه الروايات الثلاث لأنها تدلّ على أن في عصر روايتها كان

المصحف في كلامهم أعمّ من القرآن، فقد جاء فيها على حسب التسلسل:

أ - (حتى يجمع القرآن في مصحف).

ب - (جمعوا القرآن في مصحف).

ج - وأمر بالقرآن فجمع، وكان أول من جمعه في المصحف).

ولو كان المصحف لديهم هو القرآن لكان تفسير الروايات كالآتي:

أ - حتى يجمع القرآن في القرآن.

ب - جمعوا القرآن في القرآن.

ج - وكان أول من جمع القرآن في القرآن.

(٦) كتاب المصاحف للحافظ أبي بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني (ت: ٣١٦هـ).

تصحیح الدكتور اثر جفري، ط. الأولى، القاهرة ١٣٥٥هـ. والروایتان: أ. وج. في ص ١٠ منه

والرواية: ب في ص ٩ منه.

٣ - في روايات أئمة أهل البيت (ع):
وقد جاء المصحف في روايات أئمة أهل البيت (ع) بنفس المعنى اللغوي
لمدرسة الخلفاء، فقد روى الكليني في باب (قراءة القرآن في المصحف):
الحديث الأول عن أبي عبد الله جعفر الصادق (ع)، قال:
من قرأ القرآن في المصحف متع ببصره، وخفف عن والديه، وإن كانا
كافرين.

وفي الحديث الرابع منه - أيضاً - عن أبي عبد الله (ع)، قال: «قراءة
القرآن في المصحف تخفف العذاب عن الوالدين، ولو كانا كافرين»^(٧).
وبناءً على ما ذكرنا ثبت أن المصحف كان يستعمل في كلام الصحابة
والتابعين والرواة بمدرسة الخلفاء ومدرسة أهل البيت (ع) ويراد به الكتاب
المجلد، أي: أن المصحف أستعمل في محاوراتها في عصر الإسلام الأول في معناه
اللغوي وأشتهر بعد ذلك في مدرسة الخلفاء تسمية القرآن المدون والمخطوط بين
الدفتين بـ (المصحف).

٤ - في أخبار مدرسة الخلفاء:
وقد سمي في مدرسة الخلفاء غير القرآن بالمصحف كالاتي:

مصحف خالد بن معدان:
روى كل من ابن أبي داود (ت: ٣١٦هـ) وابن عساكر (ت: ٥٧١هـ)
والمزني (ت: ٧٤٢هـ) وابن حجر (ت: ٨٥٢هـ) بترجمة خالد بن معدان
وقالوا:

أن خالد بن معدان كان علمه في مصحف له ازرار وعري^(٨).

(٧) أصول الكافي، ط. طهران، سنة ١٣٨٨هـ، ٦١٣/٢.

(٨) المصاحف، ص ١٣٤ - ١٣٥.

فمن هو خالد بن معدان صاحب المصحف؟
كان خالد بن معدان من كبار علماء الشام ومن التابعين، أدرك سبعين من
الصحابة، ترجم له أبين الأثير (ت: ٦٣٠هـ) في مادة الكلاعي^(٩)، وقال: توفي
خالد سنة ثلاث أو أربع أو ثمان ومائة هجرية.

٥ - اشتهار المصحف في كل ما كتب وجعل بين الدفتين: الكتاب

المجلد

كان استعمال المصحف في ما كتب وجعل بين الدفتين، أي الكتاب المجلد
مشهوراً ومتداولاً لدى العلماء والباحثين بمدرسة الخلفاء، وإليكم المثالين الآتيين
لذلك:

أ - عنون أبين أبي داود السجستاني من أعلام القرن الثالث الهجري في
كتابه المصاحف كالتالي:

١ - جمع أبي بكر الصديق (رض) القرآن في المصاحف بعد رسول

الله (ص).

٢ - جمع علي بن أبي طالب (رض) القرآن في المصحف.

٣ - جمع عمر بن الخطاب (رض) القرآن في المصحف^(١٠).

ب - ومن المعاصرين قال ناصر الدين الأسد في كتابه مصادر الشعر

→

وتاريخ دمشق مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق، مصورة المجمع العلمي الإسلامي؟

بطهران، ١٢٥٩/٢/٥.

وتهذيب الكمال، مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق، مصورة المجمع العلمي الإسلامي

بطهران، ١٧٠/٢.

وتهذيب التهذيب ج ١١٨/٣ - ١١٩.

(٩) اللباب في تهذيب الأنساب ٦٢/٣ - ٦٣. وراجع مصادر ترجمته في الهامش رقم ٨.

(١٠) كتاب المصاحف ص ٥ و١٠ منه، حسب التسلسل الذي أوردناه.

الجاهلي: وكانوا يطلقون على الكتاب المجموع: لفظ المصحف، ويقصدون به مطلق الكتاب، لا القرآن وحده، فمن ذلك ما ذكره...
ثم نقل خير مصحف خالد بن معدان من كتاب المصاحف لابن أبي داود السجستاني^(١١).

٦ - في مصطلح الامم السابقة:

تسمية الكتب الدينية للامم السابقة بالمصحف:
وكذلك سميت الكتب الدينية للأمم السابقة بالمصحف كما جاء في طبقات ابن سعد بسنده:

عن سهل مولى عتبية أنه كان نصرانياً من أهل مريس، وأنه كان يتيماً في حجر أمه وعمه، وأنه كان يقرأ الإنجيل، قال: فأخذتُ مصحفاً، لعمي فقرأته حتى مرّت بي ورقة، فأنكرت كتابتها حين مرّت بي ومسستها بيدي، قال: فنظرت فإذا فصول الورقة ملصق بغراء، قال: ففتقتها فوجدت فيها نعت محمد، (ص)، أنه لا قصير ولا طويل، أبيض، ذو ضفيرين، بين كتفيه خاتم، يكثر الاحتباء، ولا يقبل الصدقة، ويركب الحمار والبعير، ويحتلب الشاة، ويلبس قميصاً مرقوعاً، ومن فعل ذلك فقد برئ من الكبر، وهو يفعل ذلك، وهو من ذرية إسماعيل اسمه أحمد، قال سهل: فلما انتهيت إلى هذا من ذكر محمد (ص) جاء عمي، فلما رأى الورقة ضربني وقال: ما لك وفتح هذه الورقة وقراءتها؟ فقلت: فيها نعت النبي (ص) أحمد، فقال: إنه لم يأت بعد^(١٢).

* * *

وهكذا وجدنا المصحف اسماً عاماً للمصحف بين الدفتين وإن صح ما جاء

(١١) مصادر الشعر الجاهلي، الطبعة الخامسة، ص ١٣٩، وقد نقله من المصاحف

للسجستاني، ص ١٣٤ - ١٣٥.

(١٢) طبقات ابن سعد ط. بيروت ١/٣٦٣.

في رواية المصاحف لابن أبي داود أن الخليفة أبا بكر كان قد سمى القرآن بالمصحف فإن هذه التسمية لم تشتهر حتى عصر عثمان، كما يظهر ذلك من الخبرين اللذين نقلناها آنفاً من صحيح البخاري، وإنما اشتهرت تسمية القرآن بالمصحف بعد ذلك، وعند ذلك أيضاً لم تبق هذه التسمية منحصرة بالقرآن، بل سميت كتب أخرى في مدرسة الخلفاء ومدرسة أهل البيت بـ(المصحف). وكان منها مصحف فاطمة ابنة رسول الله (ص) كآلاتي خبره:

٧ - مصحف فاطمة ابنة الرسول (ص):

جاء في الروايات أن فاطمة ابنة رسول الله (ص) كان لها كتاب أسمه المصحف فيه إخبار بالمغيبات.

لقد جاء في بصائر الدرجات بأكثر من سند عن الامام الصادق (ع) قال: قال أبو عبد الله لأقوام كانوا يأتونه ويسألونه عما خلف رسول الله (ص) إلى عليّ (ع) وعما خلف عليّ إلى الحسن: لقد خلف رسول الله (ص) عندنا ما فيها كل ما يحتاج إليه حتى أرش الخدش والظفر، وخلفت فاطمة مصحفاً ماهو قرآن ... الحديث^(١٣).

اذن فقد كان لابنة رسول الله (ص) مصحف كما كان لخالد بن معدان كتاب اسمه المصحف فيه علمه.

وإن أئمة أهل البيت الذين انتشر منهم هذا الخبر نصوا على أنه ما هو بالقرآن وليس فيه شيء من القرآن، بل فيه أخبار بالحوادث الكائنة في المستقبل. ومع الأسف الشديد افتري بعض الكتاب في مدرسة الخلفاء وقال: إن مصحف فاطمة عند أتباع مدرسة أهل البيت، قرآن آخر !!! ولكن أتباع مدرسة أهل البيت لم يقولوا هذا القول في شأن مصحف خالد ولا الكتاب لسببويه.

(١٣) بصائر الدرجات ص ١٥٦. وأوردت موضع الحاجة من الحديث، وراجع تفصيل الخبر

٨ - مصاحف الصحابة:

مرّ بنا في بحث من تاريخ القرآن في المدينة ذكر مصاحف الصحابة ويأتي تفصيله - ان شاء الله تعالى - في بحث اختلاف مصاحف الصحابة في المجلد الثاني من هذا الكتاب.

انه كان لكثير من الصحابة مصاحف كتب كل منهم في مصحفه القرآن وما سمعه من رسول الله (ص) في تفسير بعض آيات القرآن إذا كان معنى مصاحف الصحابة في عصر الصحابة: القرآن المكتوب مع حديث الرسول في تفسير بعض آياته كما هو الحال في تفاسير القرآن بالمأثور مثل الدر المنثور في تفسير القرآن بالمأثور للسيوطي في مدرسة الخلفاء والبرهان في تفسير القرآن لدى اتباع مدرسة أهل البيت (ع).

مثالان لمصاحف الصحابة:

أ - مصحف أم المؤمنين عائشة:

رووا عن أبي يونس مولى عائشة أنه قال امرتني عائشة أن اكتب لها مصحفاً وقالت: إذا بلغت هذه الآية فأذني: ﴿حَافِظُوا عَلَيَّ الصَّلَاةِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى﴾ فلما بلغت أذنتها فاملت عليّ (حافظوا على الصلاة والصلاة الوسطى «وصلاة العصر» وقوموا لله قانتين) قالت عائشة سمعتها من رسول الله (ص).

ب - مصحف أم المؤمنين حفصة:

عن أبي رافع مولى حفصة أنه قال: استكثبتني حفصة مصحفاً، فقالت: إذا أتيت على هذه الآية، فتعال حتى أمليها عليك كما قرأتها، فلما أتيت على هذه الآية: ﴿حَافِظُوا عَلَيَّ الصَّلَاةِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى﴾ قالت: اكتب: ﴿حَافِظُوا عَلَيَّ الصَّلَاةِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى﴾ [وصلاة العصر] (١٤).

(١٤) سيأتي تفصيل اخبار مصاحف الصحابة باسنادها ان شاء الله تعالى في المجلد الثاني

من هذا الكتاب في بحث اختلاف مصاحف الصحابة.

ومصاحف أخرى سوف نذكرها في ما يأتي بإذنه تعالى.

٩ - مصحف الرسول (ص):

سيأتي في بحث من تاريخ القرآن على عهد الخليفة أبي بكر أن الرسول (ص) أوصى الإمام علياً أن لا يرتدي رداءه بعد وفاة الرسول (ص) حتى يجمع الصحف التي كانت في بيت الرسول (ص) التي كتب عليها القرآن بأمر الرسول (ص)، ولم تكن آي القرآن التي كتبت في تلك الصحف بدءاً عما كتبها الصحابة في صحفهم مما تعلموها من لفظ الآيات ومعانيها مما تلقاها الرسول (ص) جميعاً عن طريق الوحي، بل لا بد أن تكون مشابهة لمصاحف الصحابة في كتابة اللفظ والمعنى معاً ما عدا أمراً واحداً وهو أن كل صحابي كان يكتب مع ما يكتب من آي القرآن ما بلغه عن رسول الله (ص) في تفسير الآية، وكان رسول الله (ص) قد أمر الإمام علياً بكتابة كل ما يحتاجه المسلمون في تفسير الآيات مما تلقاه عن طريق الوحي^(١٥).



بناءً على ما سبق كانت المصاحف في صدر الإسلام مثل كتب التفسير في عصرنا تشتمل على القرآن وما بينه الرسول (ص) في تفسير الآيات. ولما اقتضت سياسة الخلفاء بعد الرسول (ص) تجريد القرآن من حديث الرسول (ص) جرى في هذا الشأن ما سنبينه في ما يأتي بإذنه تعالى.

سياسة تجريد القرآن من حديث الرسول (ص):

مرّ بنا في بحث المجتمع الذي نزل فيه القرآن وانتشر منه وبحث من

(١٥) كما برهننا عليه في بحث: (القرآن والسنة، هما مصدر التشريع لدى مدرسة أهل البيت (ع) من المجلد الثاني من معالم المدرستين.

تاريخ القرآن السابقين لهذا البحث آيات نزلت في ذم سادة قريش الذين خاصموا رسول الله وحاربوه وآيات أخرى في ذم قبائل بعض الصحابة من قريش مثل قوله تعالى: في سورة الإسراء:

﴿ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ﴾ (الإسراء/٦٠)

في بني أمية أو افراد من الصحابة مثل قوله في سورة التحريم:

﴿ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ (الآية/٤)

﴿ عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَاتِبَاتٍ عَاهِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ (الآية/٥).

والتي نزلت في أم المؤمنين عائشة وأم المؤمنين حفصة في مقابل آيات نزلت في مدح آخرين مثل آية التطهير في قوله تعالى في سورة الأحزاب:

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾
والتي نزلت في حق الرسول (ص) وعلي وفاطمة والحسن والحسين.

هذه الى كثير غيرها كانت تخالف حكومة الخلفاء الثلاثة، فرفعوا شعار حسينا كتاب، الله وجرّدوا القرآن من حديث الرسول وبدأ العمل به الخليفة الصحابي أبو بكر، وأمر بكتابة نسخة من القرآن مجردة عن حديث الرسول وانتهى العمل على عهد الخليفة عمر، فبدأ عمله بمنع نشر حديث الرسول، وبعد وفاته وقعت الخصومة بين بعض الصحابة والتابعين وبني أمية وعصبة الخليفة الثالث، وأخذ الخصوم يروون من حديث الرسول ما فهم ذم لعصبة الخلافة وكانت بأيدي الخصوم مصاحف فيها من بيان الرسول (ص) ما يستدل به الخصوم في مقابل عصبة الخلافة، فقام الخليفة الثالث بتنفيذ شعار جرّدوا القرآن من حديث الرسول (ص)، وأخذ نسخة المصحف المجرد من حديث

الرسول (ص) من أم المؤمنين حفصة، واستنسخ منها عدة نسخ من المصاحف المجردة عن حديث الرسول (ص)، ووزعها في بلاد المسلمين، وجمع مصاحف الصحابة اللاتي كان أصحابها قد دونوا فيها النص القرآني مع ما سمعوه من بيان الرسول في تفسير آياتها وأحرقها جميعاً، فاستنسخ المسلمون مصاحف من تلك المصاحف المجردة عن بيان الرسول (ص).

وأصبح المصحف بعد ذلك اسماً عاماً للقرآن المجرد عن بيان الرسول (ص)، ومع مرور الزمن لم يعرف المسلمون في القرون التالية أن مصاحف الصحابة كان فيها بيان الرسول (ص) مع النص القرآني.

وعندما حث الخليفة العباسي المنصور في سنة ثلاث وأربعين بعد المائة من الهجرة علماء المسلمين على تدوين العلوم، وكتب المتخصصون منهم بعلوم القرآن مع بيان آياته كما كان عليه الأمر على عهد الرسول سمي المصحف الذي دون فيه القرآن مع بيان آياته بالتفسير كما مرّ بيانه.

خلاصة البحث وخاتمه:

أولاً - القرآن: هو كلام الله الذي نزله نجوماً^(١٦) على خاتم أنبيائه محمد (ص) بلسان عربي مبين، وهو ليس بشعر ولا نثر، في حين أن جميع كلام بني آدم في جميع اللغات إما أن يكون شعراً أو نثراً، وهذا أحد وجوه إعجاز القرآن.

وقد سمي الله جميع القرآن بالقرآن، وكذلك سمي جزءاً منه بالقرآن، فهو مصطلح إسلامي.

ووصفه بالكتاب والذكر والنور، وامثالها، فقد العلماء تلك الصفات من أسماء القرآن، وليس للقرآن اسم غير القرآن.

(١٦) نجوماً أي في أوقاتها المعينة.

ثانياً - الكتاب:

أ - في اللغة:

كتب الكتاب كتباً وكتاباً: دَوَّنَ حروف الهجاء على اشكال تكوّن منها الكلمات والجمل.

والكتاب: مصدر سُمِّيَ به المكتوب مثل قول بلقيس: ﴿القي اليّ كتاب كريم وانه من سليمان﴾.

ب - في القرآن الكريم:

اطلق الكتاب في القرآن الكريم على كل كتاب انزله الله مثل التوراة والانجيل والقرآن.

ج - في اصطلاح النحويين:

اشتهر كتاب سيبويه في النحو باسم الكتاب.

ثالثاً - المصحف:

أ - في اللغة:

اسم للمصحف التي تجمع بين الدفتين - الجلدين -

ب - في مصطلح المسلمين:

استعمل المصحف الى عصر عثمان بهذا المعنى نفسه وكذلك في روايات

أئمة أهل البيت (ع) وفي أخبار مدرسة الخلفاء.

ج - سُمِّيَ كتاب خالد بن معدان من التابعين بمصحف خالد بن معدان

وكان قد جمع فيه علمه.

د - في مصطلح الأمم السابقة:

كان سهل مولى عتيبة قبل اسلامه نصرانياً له عم من علماء أهل الكتاب

له مصحف دون فيه اوصاف النبي (ص).

والمصاحف التي بلغنا أخبارها هي:

هـ - مصحف فاطمة بنت النبي (ص):

كان لفاطمة مصحف دون فيه أخبار مما يأتي به الزمان.

و - مصاحف الصحابة:

كان للصحابة مصاحف دون صاحب كل منها ما سمعه من الرسول (ص) في بيان آي من القرآن الكريم مثل:

مصحفاً أم المؤمنين عائشة وأم المؤمنين حفصة حيث أمرتا أن يكتب في مصحفها بعد آية ﴿ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى ﴾ وصلاة العصر، وكذلك كان لعدة من الصحابة مصاحف مثل:

مصحف عبد الله بن مسعود:

روي عن ابن مسعود أنه كان يقرأ (في مواسم الحج) بعد ﴿ رَبِّكُمْ ﴾ في قوله تعالى في سورة البقرة:

﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفْضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ ﴾

فان (في مواسم الحج) كان تفسيراً للآية وبيانا لزمان ابتغاء الفضيلة من الربّ تبارك وتعالى.

ز - مصحف الرسول (ص):

أوصى الرسول الإمام علياً أن يجمع الصحف المكتوب عليها القرآن وبيان الرسول ففعل فبقى ذلك المصحف عند الإمام علي، وورثه من بعده مع ما ورث من صحف العلم الإمام الحسن، وانتقلت بعد الإمام الحسن (ع) إلى الإمام الحسين (ع) ومن بعد إلى أولاده الأئمة كإبراهيم بعد كابر.

سياسة تجريد القرآن من حديث الرسول (ص):

اقتضت سياسة الخلفاء الثلاثة تجريد القرآن من حديث الرسول (ص) كي لا ينتشر بين المسلمين خارج الحرمين موقف سادة قريش عصبة الخلافة القرشية من الرسول (ص) والإسلام، ولا ينتشر بينهم من الشناء والنص في حق

غيرهم من مخالفهم فبنؤوا العمل بذلك على عهد الخليفة الأول ابي بكر حيث أمر بكتابة مصحف مجرد عن حديث الرسول (ص)، واستمر العمل على ذلك وانتهى في عصر الخليفة عمر، وأودعه عند أم المؤمنين حفصة، ثم استنسخ الخليفة الثالث عليها سبع نسخ ووزعها بين أمهات البلاد الإسلامية، فاستنسخ المسلمون منها مصاحفهم التي بقيت بأيدي المسلمين حتى اليوم مجردة عن حديث الرسول (ص)، وجمع ما عداها من مصاحف الصحابة اللاتي كتب فيها القرآن مع بيان الرسول (ص)، واشتهر بين المسلمين في قرون متعاقبة حتى اليوم أن المصحف اسم للقرآن الذي في متناول أيديهم.

وبذلك اصبح المصحف في مصطلح المسلمين اسماً علمياً للقرآن المجرد عن بيان الرسول حتى اليوم.

ولمّا حثّ الخليفة العباسي المنصور علماء المسلمين على تدوين العلوم فقام بذلك علماء المسلمين وكان من ضمنها ما القوا في تفسير القرآن جمعوا فيها بين النص القرآني وتفسير آياته وكان عملهم هذا مشابها لعمل الصحابة في كتابة مصاحفهم، فاشتهر بين المسلمين تسمية القرآن المجرد عن بيان وتفسير بالمصحف والمصحف الذي دون فيه القرآن مع بيان آياته بالتفسير.

ثالثاً - السورة والآية:

أ - السورة:

١ - في اللغة:

اختلفوا في أصلها لغة، منها قولهم: أنها من سور المدينة لإحاطتها بآياتها واجتماعها كاجتماع البيوت بالسور^(١).

٢ - في المصطلح الإسلامي القرآني:

جزء من القرآن يفتح بالبسملة ما عدا سورة البراءة، ويشتمل على أي ذوات عدد، وقد جاءت بالمعنى الاصطلاحي في القرآن الكريم بلفظ المفرد تسع مرّات، و بلفظ الجمع مرّة واحدة.

وإن أصغر سور القرآن الكوثر وأكبرها البقرة.

٣ - في القرآن الكريم:

نرى أن أسماء سور القرآن المنحصرة باسم واحد مثل (الرحمن) و(الانفال) و(الانعام) مصطلحات اسلامية نزلت عن طريق الوحي الى رسول الله (ص) وما اشتهر لها اسمان أو أكثر مثل سورة الاسراء التي تسمى ايضاً بني اسرائيل ينبغي أن ندرس الروايات المروية عن الرسول (ص) في شأن تعدد أسماء بعض السور لمعرفة المصطلح الإسلامي منها عن مصطلح المسلمين.

(١) راجع مادة (السورة) في معجم ألفاظ القرآن الكريم.

ب - الآية:

في اللغة:

أشهر معاني «الآية» في اللغة: العلامة الواضحة للشيء المحسوس، والامارة الدالة على المراد للأمر المعقول.

ومثال الأول قوله تعالى في سورة مريم في حكاية قول زكريا (ع):

﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ

سَوِيًّا ﴾ (الآية/١٠)

أي: قال اجعل لي علامة واضحة...

ومثال الثاني قوله تعالى في سورة يوسف:

﴿ وَكَسَائِنَ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا

مُعْرِضُونَ ﴾ (الآية/١٠٥)

أي كم من أمانة تدل على قدرة الله وحكمته، أو غيرها من صفاته يمررون

عليها وهم عنها معرضون.

وقول الشاعر:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

في المصطلح الاسلامي:

ما قاله الراغب في مفردات القرآن.

(ويقال لكل جملة من القرآن دالة على حكم: آية،

سورة كانت، أو فصولا، أو فصلاً من سورته.

وقد يقال لكل كلام منه، منفصل بفصل لفظي: آية.

وعلى هذا اعتبار آيات السورة التي تعد بها السورة)^(٢)

(٢) اخترنا ذكر أشهر معنى للآية في اللغة والتي تتناسب مع المعنى الاصطلاحي.

وتضاف إليه الحروف المقطعة المبدوء بها بعض سور القرآن مثل قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ...﴾ وفي سورة فصلت: ﴿حَمَّ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قال المؤلف:

إن الراغب وإن لم يفرّق بين المعنى اللغوي للآية والذي قدّم ذكره وبين معانيها في المصطلح الإسلامي والتي أخر ذكرها، غير أننا لما وجدنا المجموعة الثانية لم ترد عند العرب وإنما جاءت في الكتاب والسنة خاصة، وشاع فيها استعمال «الآية» في تلك المعاني، قلنا بأنها من معاني «الآية» في المصطلح الإسلامي، وكذلك القاعدة في معرفة المصطلح الإسلامي، مثل مصطلح الصلاة والزكاة والخمس في الشريعة الإسلامية.

وإن الراغب في تعريفه معنى «الآية» قسم ما وصفناه بالمصطلح الاسلامي إلى قسمين:

١ - ما اعتبر (الحكم) في التسمية، حيث قال:

﴿كَلَّ جَمَلَةٌ دَالَةٌ عَلَى حُكْمِ آيَةٍ، سُورَةٌ كَانَتْ أَوْ...﴾.

٢ - ما اعتبر (اللفظ) في التسمية، حيث قال:

﴿كَلَّ كَلَامٌ...﴾.

ونحن بعد البحث والفحص عن موارد استعمال (الآية) في القرآن الكريم وجدنا الراغب مصيباً في قوله، وإليك الدليل على ذلك:

أولاً - وجدنا من أمثلة القسم الأول:

١ - قوله تعالى في سورة البقرة:

﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِخْهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ (١٠٦).

٢ - قوله تعالى في سورة النحل / ١٠١:

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ﴾

٣ - وقوله تعالى في سورة الأحزاب في خطابه لأزواج النبي (ص):

﴿وَأذَكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ (الأحزاب/٣٤).
٤ - ومنها قوله تعالى في سورة القصص/٥٩:

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ
ءَايَاتِنَا﴾

وقوله تعالى في سورة الزمر في حكاية خطاب الملائكة لأهل جهنم:
﴿وَقَالَ لَهُمْ خُزِّنْتُمْ آلَمْ يَأْتِكُمْ رَسُولٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ
وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ (الآية/٧١).

٥ - وقوله تعالى في سورة آل عمران/١١٣:
﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ
اللَّيْلِ﴾

والمعنى في الآية الأولى:

ما ننسخ من حكم في فصل من كتاب الله أو ننسه نأت بخير منه أو بمثله.
وفي الآية الثانية:

وإذا بدلنا حكماً في فصل أو فصول من كتاب الله بحكم آخر في فصل
أو فصول من كتاب الله.

وفي الآية الثالثة:

وأذكرن يا أزواج النبي (ص) ما يتلى في بيوتكن من أحكام الله اللاتي
جاءت في فصول كتاب الله.

وفي الآية الرابعة:

حتى يبعث الله في أم القرى رسولا يتلو على أهلها أحكام الله في فصول
كتاب الله.

وفي الآية الخامسة:

ليس أهل الكتاب متساوين في أمر الدين، منهم أمة مستقيمة يتلون أحكاماً من فصول كتاب الله.

ثانياً - وجدنا من أمثلة القسم الثاني، قوله تعالى في سورة يوسف:

﴿الرَّتِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾

وقوله تعالى في سورة الرعد / ١ :

﴿الْمُرْتَلِكِ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ...﴾.

وكذلك جاء نظيرها في أول يونس والنمل، والثانية من الشعراء والقصص

ولقمان.

إن هذه الآيات ونظائرها تشير إلى الآيات التي تشخص في كل سورة بالعدد، ويقال مثلاً: سورة الحمد سبع آيات، كما جاء في حديث الرسول (ص) (٣).

والآية بهذا المعنى لم ترد في القرآن الكريم بغير لفظ الجمع، وقد قصد من (الآية) هنا ألفاظ الجملة القرآنية دون معناها.

ونضيف إلى ما سبق ما جاء في مادة الآية من معجم ألفاظ القرآن الكريم قولهم.

وسميت معجزات الأنبياء (آية)، لأنها علامة على صدقهم وعلى قدرة الله.

ونقول: إن منها قوله - تعالى - في حكاية قول صالح لقومه.

﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ﴾ (الأعراف/٧٣)، و(هود/٦٤).

وقوله تعالى في سورة النمل / ١٢ في خطابه لموسى بن عمران حين أرسله

إلى فرعون وقومه:

(٣) سيأتي نص الحديث وسنده في بحث البسمة إن شاء الله تعالى. وراجع أيضاً مادة (الآية) في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث.

﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتِ إِلَى
فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾

وبناءً على ما بيّناه فلفظ (آية) مشترك بين ثلاثة معانٍ في المصطلح
الإسلامي مضافاً إلى معانيها في اللغة العربية.
وقد استعملت (الآية) بكثرة في معانيها اللغوية والاصطلاحية جميعاً في
القرآن الكريم.

ولابدّ لنا في تشخيص المعنى المقصود أن نعمل بما قرره العلماء في علم
أصول الفقه من أن اللفظ المشترك إذا جاء في الكلام لابدّ أن تدلّ قرينة على
المعنى المقصود منه.

وعليه ينبغي لفهم المراد مما جاء من مادة (الآية) في القرآن، أن نبحث
عن القرينة الدالة على المعنى المقصود في التعبير القرآني.

الخلاصة:

السورة في المصطلح القرآني جزء من القرآن يفتح بالبسملة عدا سورة
براءة، كما يأتي بيانه في بحث البسملة من المجلد الثاني - إن شاء الله تعالى -
ويشتمل على آيات تميّز بالترقيم، ونرى أن الله قد سمّى كل سورة باسم واحد.
وما أشتهر لها أكثر من اسم واحد مثل سورة الإسراء و سورة بني إسرائيل ينبغي
أن يبحث في السنّة النبوية عن اسمها في المصطلح القرآني.

(الآية) في اللغة: العلامة الواضحة على شيء محسوس أو الأمانة الدالة
على شيء معقول.

وفي المصطلح الإسلامي قد تكون (الآية): معجزة من معجز الأنبياء أو
جملة من ألفاظ سورة قرآنية معينة بالعدد أو فصلاً أو فصلاً من كتب الله تبين
حكماً من أحكام شريعته.

ولا نقول: إن معنى الآية في المصطلح الإسلامي ينحصر بها ذكرناه، بل

نقول: هذا ما عرفناه من معاني الآية إلى اليوم، ولعلّ البحث يعرفنا بعد اليوم
غيرها من معاني الآية في المصطلح الإسلامي.
إذاً لفظ الآية مشترك في المصطلح الإسلامي بين عدّة معان، ولا يستعمل
اللفظ المشترك في الكلام دونها قرينة تعين المعنى المقصود.
ويأتي تمام بحث الآية في بحث النسخ من المجلد الثاني من هذا الكتاب
إن شاء الله تعالى.

رابعاً - الجزء والحزب:

قسّم المسلمون القرآن إلى ثلاثين قسماً وكل قسم سَمَّوه جزءاً^(١)، والجزء إلى أربعة أحزاب، وهما من مصطلح المسلمين، لعدم استعمالها بهذا المعنى في الكتاب والسنة.

(١) روي أن تقسيم القرآن إلى ثلاثين جزءاً كان في عصر الحجاج.

خامساً - التلاوة والقراءة:

أ - التلاوة:

يقال: تلا الكتاب تلاوة، إذا تلفظ بكلمات كتاب يجب اتباعه مثل التوراة والإنجيل والقرآن مع تدبر معاني جملاته. ولا يقال: تلوت كتابك في ما لا يجب اتباعه، وبهذا المعنى جاء في قوله تعالى:

١ - في سورة الكهف/٢٧:

﴿وَأْتَلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ...﴾

٢ - في سورة العنكبوت/٥١:

﴿أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾

جاء في سيرة ابن هشام وتاريخ الطبري عند ذكرهما خبر دعوة الرسول(ص) في موسم الحج رهطاً من الخزرج قالوا:
(فدعاهم الى الله - عز و جل - و عرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن)^(١).

(١) سيرة ابن هشام ط. الحجازي بالقاهرة ٢/٣٨. وتاريخ الطبري ط. مصر ٢/٣٥٣.

ب - القراءة و الإقراء:

١ - في اللغة :

قرأ الكتاب قراءة وقرآنا تتبع كلماته نظراً ونطق بها^(١).

٢ - في المصطلح الإسلامي:

لمعرفة معنى القراءة والاقراء في المصطلح الإسلامي نتدبر ما جاء من هذه المادة في القرآن الكريم وسنة الرسول (ص).

أما القرآن فقد قال الله سبحانه:

أ - في سورة العلق:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أقرأ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾.

ب - في سورة القيامة :

﴿ لَا تُحْرَكُ بِهِ لِسَانُكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾

ج - في سورة الاعلى:

﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾

د - في سورة الفرقان:

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾

هـ - في سورة الاسراء:

﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ... ﴾.

و - في سورة النحل/ ٤٤:

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾

(٢) المعجم الوسيط، مادة: قرأ.

- ج - جمعه في كلام الرسول (ص).
 د - جمعه حفظاً في صدور من حفظه من الصحابة.
 هـ - جمعه كتباً في ما كتبه الصحابة في مصاحفهم.

وفي السنة:

- أ - نقرأ في أخبار سيرة الرسول (ص) عندما آمن به من دعاهم من الخزرج في موسم الحج ما رواه ابن هشام:
 فلما انصرف عنه (ص) القوم بعث رسول الله (ص) معهم مُصعب بن عُمير بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار بن قصي، وأمره أن يُقرئهم القرآن، ويعلمهم الاسلام، ويفقههم في الدين، فكان يُسمى بالمدينة المقرئ^(٣).
 ب - نقرأ عن سيرة الرسول في إقرائه القرآن لأصحابه ما رواه أحمد وغيره واللفظ لأحمد.

قال: كانوا - أي الصحابة - يفترون من رسول الله عشر آيات عشر آيات، فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل^(٤).

تفسير الآيات:

- في سورة العلق أمر الله نبيه أن يقرأ وفي سورة القيامة بين كيفية القراءة والإقراء وقال: - جل اسمه - لا تعجل في القراءة ان علينا جمعه، أي: إن على الله جمع القرآن بكل ما للجمع من معنى أي جمع لفظ القرآن ومعناه.
 أ - جمعه في كلام جبرائيل للرسول (ص).
 ب - جمعه في صدر الرسول (ص).

(٣) سيرة ابن هشام ط. القاهرة ٧٦/٢.

(٤) مسند احمد ٤١٠/٥.

و- جمعه حفظاً في صدور بعض المسلمين.

ز- جمعه كتباً في ما يكتبه البشر وتسجيلاً على وسائل التسجيل في من سجله من البشر على الأشرطة إلى يوم الدين.

كل ذلك جمع للقرآن من قبل الله - تبارك وتعالى - وتحقيق لوعده، وذلك بقاعدة ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ (الانفال/١٧).

ويفهم من قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيِّنَاتِهِ ﴾ أنه - تبارك وتعالى - علم رسوله معاني القرآن مع تعليمه تلاوة الفاظه. إذاً فإن إقراء الله نبيه في قوله تعالى ﴿ سنقرئك... ﴾ كان بتعليمه تلاوة لفظ القرآن مع تعليمه معنى اللفظ في ما احتاج فهم معنى اللفظ إلى تعليم الله إياه^(٥). وتعليم معاني أي القرآن الكريم بما فيها آيات الاحكام كان بحاجة الى سعة في الوقت لاستيعاب المعنى، فكان من الحكمة ان ينزل القرآن متدرجاً، وليعلم الرسول (ص) المؤمنين كذلك تلاوة الفاظ القرآن مع ما تلقاه - ايضاً - عن طريق الوحي من معاني الآيات متدرجاً ليستوعبها ومن أجل ذلك لم ينزل الله القرآن مرة واحدة، بل أنزله على مكث، لينبت به فؤاد الرسول (ص) أولاً ثم يقرئ الرسول (ص) المؤمنين على مكث، إذاً فإن معنى ﴿ سنقرئك فلا تنسى ﴾ نعلمك تلاوة ولفظ القرآن مع بيان معناه وإنك لا تنسى ما علمناك من لفظ القرآن وبيان معانيه، وكذلك فعل الرسول (ص) في تعليم القرآن للصحابة فإنه (ص) كان يقرئ أصحابه عشر آيات عشر آيات على مكث يعلمهم في كل مرة تلاوة ألفاظ الآيات العشر مع تعليمهم ما فيه من العلم والعمل.

وكان الاصحاب الذين تعلموا لفظ القرآن ومعناه من الرسول على مكث يعلمون الآخريين تلاوة اللفظ والمعنى معاً وكذلك كان الجميع يتقارؤون القرآن

(٥) مرّ بنا في بحث (النظام الذي سنّه النبي (ص) في إقراء القرآن) ان النبي (ص) كان يتلقى عن طريق الوحي ما كان يعلم الناس .

على عهد الرسول (ص) مثل النفر الذين سمّوا بالقراء من أصحاب الرسول (ص) الذين بعث منهم سبعين شخصاً لتعليم القرآن، فاستشهدوا في بئر معونة.

وكان رسول الله (ص) عندما ينتخب الأقرأ من أصحابه، ليوليه على المسلمين مهما استطاع الى ذلك سبيلاً ينتخب الاكثر علماً بتلاوة لفظ القرآن مع فهم معناه.

ومن جملة ذلك انه (ص) بعث مع الأنصار بعد ما بايعوه في العقبة بمنى مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف، وأمره أن يقرئهم القرآن، ويعلمهم الاسلام، ويفقههم في الدين، فكان يسمى مصعب بالمدينة المقرئ^(٦).

وكذلك كان يفعل الصحابي الفقيه ابن مسعود الذي عينه عمر بن الخطاب، ليعلم أهل الكوفة القرآن في مسجد الكوفة عندما كان يقرئ القرآن فانه لم يكن معلّم كتاتيب يعلم الأطفال تلاوة الفاظ القرآن، بل كان مقرئاً يعلم طلاب علوم القرآن تلاوة لفظ القرآن مع بيان معانيه.

وبناء على ذلك كان معنى الاقراء على عهد الرسول الى سنوات قليلة من بعده تعليم تلاوة اللفظ مع تعليم معناه.

والمقرئ من يعلم تلاوة لفظ القرآن مع تعليم معنى اللفظ والقارئ وجمعه القراء من تعلم تلاوة لفظ القرآن مع تعلم معنى اللفظ.

وقد قال الراغب في مادة (قرأ) من مفردات القرآن (كل اسم موضوع للمعنيين معاً يطلق على كل واحد منها اذا انفرد كالمائدة للخوان وللطعام، ثم قد يسمى كل واحد منها بانفراده به) وكذلك جرى الأمر في استعمال مادة الإقراء فإنه كان في عصر الرسول (ص) يستعمل في المعنيين تعليم تلاوة اللفظ وتعليم معنى اللفظ وأصبح بعد انتشار تعلم القرآن يستعمل الإقراء في أحد المعنيين وهو

(٦) سيرة ابن هشام ٤٢/٢.

تعليم معنى الآيات التي تحتاج الى تفسير ومن تلك الموارد ما رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس أنه قال:

كنت أقرئ رجالاً من المهاجرين منهم عبد الرحمن بن عوف، فبينما أنا في منزله بمعنى وهو عند عمر بن الخطاب في آخر حجة حجّها... الحديث (٧).

وإذا علمنا أن إسلام عبد الرحمن بن عوف كان في السنة الثالثة من البعثة حسب ما يذكر ابن هشام من أخبار السابقين الى الإسلام من المهاجرين (٨).

وإن آخر حجة حجّها عمر كانت سنة ٢٣هـ وقتل في الشهر نفسه قتل في المدينة، عرفنا أن المدّة بين الزمانين أكثر من اثنتين وثلاثين سنة ولم يكن كبراء المهاجرين أمثال عبد الرحمن بن عوف أطفال كتائب ليقرئهم ابن عباس تلاوة ألفاظ القرآن وإنما كان يعلمهم تفسير القرآن .

ما يؤيد أن الصحابة كانوا يعنون بتعلّم معنى القرآن:

سيأتي في أخبار القرآن في عصر الخليفة عمر أنه كان يسأله عن معاني القرآن وأنه كان يقول في حقّه (نعم ترجمان القرآن عبد الله ابن عباس).

وكيف روض الخليفة عمر كبار الصحابة أن يقرؤوا القرآن من ابن عباس وكان الذين يفتون في عصر عمر هم الذين يقرؤون القرآن، أي لهم حق تعليم معنى القرآن كما سندرسه - بأذنه تعالى - بعد إيراد أخبار وروايات في شأن القرآن في ما يأتي.

(٧) صحيح البخاري ١١٩/٤ باب رجم الحبليل من كتاب الزنا إذا احصنت.

(٨) ذكر ابن هشام إسلام عبد الرحمن بن عوف وآخرين من المهاجرين قبل ميادة رسول الله (ص) قومة في السنة الثالثة من البعثة راجع سيرة ابن هشام ط. الحلبي بمصر سنة ١٣٥٥هـ .٢٦٨/١

أخبار وروايات في شأن القرآن:

١ - عندما حضر الرسول (ص):

في صحيح البخاري وغيره بسندهم الى ابن عباس أنه قال: (لما حضر النبي (ص) وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، قال: هلم أكتب كتابا لكم لن تضلوا بعده، قال عمر: ان النبي (ص) غلبه الوجع، وعندكم كتاب الله واختلف أهل البيت، واختصموا، فمنهم من يقول ما قال عمر.

فلما أكثروا اللغظ والاختلاف قال: قوموا عني ولا ينهني عندي التنازع). وفي لفظ بعض الروايات وما شأنه أهجر^(٩).

٢ - في أول عهد أبي بكر:

روى الذهبي أن الخليفة أبا بكر جمع الناس بعد وفاة نبيهم، وقال في ما حدثهم: «... فلا تحدثوا عن رسول الله (ص) شيئا فمن سألكم، قولوا: بيننا وبينكم كتاب الله، فاستحلوا حلاله، وحرموا حرامه»^(١٠).

٣ - على عهد عمر:

روى الطبري في سيرة عمر وقال: كان عمر إذا استعمل العيال خرج معهم يشيعهم فيقول: جردوا القرآن واقلوا الرواية عن محمد (ص) وأنا شريككم^(١١).

٤ - خبر صبيغ بن عسل:

كان صبيغ بن عسل يذهب إلى الأجناد أي البلاد التي يسكنها جنود المسلمين مثل البصرة والكوفة والإسكندرية وكان من ضمن اولئك الجنود

(٩) راجع مصادر الخبر في عبد الله بن سبأ، الجزء الأول، بحث: السقيفة ط، السادسة ص

(١٠) بترجمة أبي بكر من تذكرة الحفاظ للذهبي، ١/٢٢ - ٢٣.

(١١) تاريخ الطبري، طبعة مصر سنة ١٩٦٣، ٤/٢٠٤، وطبعة أوربا ١/٢٧٤١.

صحابة الرسول (ص) الذين أخذوا من الرسول تفسير القرآن فيسأل منهم عن معاني آي القرآن الكريم فأخبر الخليفة عمر بذلك فجلبه إلى المدينة وأحضر له عراجين النخل وضرب بها رأسه حتى أدماه وفي المرة الثانية ضرب بها على ظهره حتى ترك ظهره ذبرة أي على ظهره مثل قرحة الدواب، ثم تركه حتى برئ وأعاد ضربه ثالثة ثم نفاه إلى البصرة وحرمه عطاءه ونهى عن مجالسته فكان إذا حضر مجلساً في المسجد تفرقوا عنه وبقي كذلك حتى تشفع له الوالي أبو موسى عند الخليفة فرفع العقاب عنه^(١٢).



وبناءً على ما ذكرنا حصر الخليفة عمر تعليم معنى القرآن بعدد محدود، منهم ابن عباس ومنع الآخرين من البحث عن معاني القرآن، وأمرهم بالاختصار على تلاوة - لفظ - القرآن، وأنتج ذلك تبدل معنى القراءة والإقراء كالاتي بيانه بأذنه تعالى.

تبدل معنى القراءة والاقراء في مصطلح المسلمين:

مر بنا آنفاً أن الرسول (ص) كان يتلقى عن طريق الوحي تلاوة لفظ القرآن ويتعلم معناه في ما يحتاج معناه الى تعلم من جبرائيل: مثل آيات الاحكام في الرضوء والتيمم وركعات الصلاة وأذكارها وما شابهها وذلكم معنى ﴿سَنُقَرِّبُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ (الاعلى/٦).

وكان الرسول - أيضاً - كذلك يفعل في إقرائه القرآن للصحابة ويسمى عندئذ من تعلم شيئاً كثيراً من تلاوة لفظ القرآن مع تعلم معناه بالقارئ وإذا قام القارئ بإقراء الآخرين يسمى بالمقرئ.

(١٢) ترجمته بمصورة مخطوطة ابن عساكر (١/٨/ ١١٦ أ - ١١٨ أ)؛ وسنن الدارمي ٥٤/١، ٥٥ - ٥٦؛ وتفسير ابن كثير ٤/ ٢٣١ - ٢٣٢؛ وتفسير الدر المنثور ٦/ ١١١؛ وتفسير القرطبي ١٧/ ٢٩؛ والاكمال لابن ماكولا ٥/ ٢٢١. واخترنا لفظ ابن عساكر في المتن.

وبناء على ذلك كانت القراءة في عصر الرسول (ص) بمعنى تعلم تلاوة القرآن مع تعلم معناه والإقراء تعليم تلاوة لفظ القرآن مع تعليم معنى اللفظ الذي يحتاج الى تعلّمه.

وكان لمعنى مادة القراءة والإقراء في عصر الرسول (ص) جزئان:

أ- تعلم تلاوة اللفظ وتعليمها .

ب- تعلم معنى اللفظ وتعليمه .

إذاً فإن القراءة والإقراء كان في المصطلح الإسلامي في عصر الرسول (ص) بمعنى تعلم لفظ القرآن وتعلم معناه وتعليمهما معاً .

وبهذا المعنى استعمل في قوله تعالى ﴿ سَنُقَرِّبُكَ فَلَا تَنْسَى ﴾

وأيضاً استعمل في القرآن الكريم في معناه اللغوي أحياناً في مثل قوله

- تعالى - في سورة المزمل / ٢٠: ﴿ فَأَقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ﴾ وقوله تعالى في

سورة الحاقة / ١٩: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَذَا مَا أقرَأُ كِتَابِيهِ ﴾ .

كما أن لفظ الصلاة استعمل في المصطلح الإسلامي بمعنى الصلاة التي

تقرء سورة الفاتحة في الركعتين الأوليين منها.

وبهذا المعنى استعمل في قوله - تعالى - في سورة البقرة / ٢٣٨:

﴿ حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى ﴾

كما استعمل - أيضاً - في معناه اللغوي في مثل قوله تعالى في سورة النور

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَاتٍ كُلُّ

قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (الآية / ٤١).

واستعملت القراءة والاقراء بعد عصر الرسول (ص) غالباً في المعنى

الاصطلاحي، وأحياناً استعمل في أحد جزأي المعنى الاصطلاحي وهو تعليم

معنى القرآن أي تعليم تفسير القرآن.

وقد قال السراغب في مادة (قرأ) من مفردات القرآن:
(كل اسم موضوع لمعنيين معا يطلق على كل واحد منه إذا انفرد كالمائدة
للخِوان وللطعام، ثم قد يسمى كل واحد منها بانفراده به).

ونرى أن ما جاء في صحيح البخاري أن ابن عباس كان يقرئ في منى
في آخر سنة من خلافة عمر كبار الصحابة أمثال عبد الرحمن بن عوف القرآن
جاء بمعنى اقراءهم معنى الآيات أي أنه كان يقرئهم تفسير القرآن.
وكان المسلمون صحابة وتابعين يعنون بتعلم معاني القرآن بعد تعلم تلاوته
يسافرون من بلد الى بلد في سبيل ذلك كما فعل ذلك صبيغ بن عسل التميمي
وأخذ يسافر من بلد فيه جند من اجناد المسلمين الى بلد آخر، ويسأل من صحابة
الرسول بيان الرسول (ص) حول الآيات، وكانت الصحابة يومذاك في اجناد
المسلمين.

كان صبيغ يحاول أن يتعلم منهم ويقترئ عليهم ما خفي عليه من معاني
القرآن وكذلك كان يفعل المهاجرون الأولون أمثال عبد الرحمن بن عوف حين
كان يقرئهم ابن عباس في منى في آخر حجة حجّها عمر، أي: في شهر ذي الحجة
سنة ٢٣ للهجرة، فإنّ المهاجرين الأولين الذين كانوا قد أسلموا بمكة، ومضى
على إسلامهم أكثر من ربيع قرن لم يكونوا أطفال كتاتيب يحتاجون الى تعلم
تلاوة القرآن أضف اليه إنا رأينا الخليفة عمر يسأله عن تفسير القرآن بمحضر
الصحابة.

وبذلك كان قد رشحه لتعليم تفسير القرآن كما سيأتي في بحث من تاريخ
القرآن على عهد الخليفة عمر.

وكذلك نفسّر ما جاء من مادّة (قرأ) في حديث الخليفة عمر في الشهر
نفسه في آخر خطبة جمعة خطبها في مسجد الرسول قبل أن يطعن.

وكذلك نفسّر ما جاء عن أئمة أهل البيت (ع) أن المهدي إذا ظهر يأمر

بتعليم القرآن في مسجد الكوفة وسيأتي بيان كل ذلك كل في باب من البحوث الآتية ان شاء الله تعالى.

في مصطلح المسلمين:

وبناءً على ما ذكرنا آنفاً فإن مادة القراءة في المصطلح الإسلامي كانت تدل على تعلم لفظ القرآن مع تعلم معناه واستعمل في عصر الصحابة في المدينة بمعنى تعلم المعنى كما يظهر ذلك من كلام ابن عباس . ولما أمر الخليفة عمر بتجريد القرآن عن بيان الرسول (ص) ونهى عن السؤال عن معانيه، ونكّل بمن سأل عنه ونسخ الخليفة عثمان القرآن في مصاحف مجرداً عن حديث الرسول (ص) ووزعها في بلاد المسلمين وحرّق ما عداها انتشرت القراءة المجردة للقرآن.

وفي أخريات القرن الأول الهجري قام علماء العربية بتحريف القرآن وسمّوا كل تحريف (قراءة) وسمّوا كل من يعلم تلك التحريفات المقرئ وسمّوا بعضهم المقرئ الكبير وسمّوا الذي تعلم تلك التحريفات القارئ وجمعه القراء أي الذي يقرأ القرآن بتلك التحريفات.

واستمر الأمر على ذلك قروناً حتى نسي معنى القراءة والاقراء في المصطلح الإسلامي الذي كان تعلم اللفظ والمعنى معاً.

ونتيجةً لتبدل معنى القراءة والإقراء في محاوراتهم فسروا ما جاء منها في الكتاب والسنة ومحاورات الصحابة بالمعنى المتداول عندهم، أي: قراءة القراءات المختلفة كما سندرسها في بحث القراءات إن شاء الله تعالى.

نتيجة البحث:

يقال: تلا الكتاب لكتاب يجب العمل به مثل كتب الله المنزلة على رسله. ويقال في لغة العرب: قرأ الكتاب قراءة إذا تتبع كلماته نظراً ونطق بها.

وفي المصطلح الاسلامي:

يقال قرأ القرآن واقترأه فهو قارئ إذا تعلم تلاوة لفظ القرآن مع بيان معانيه ومعنى اقرأه ويقرئه: عُلِّم تلاوة لفظه مع تعليم معناه فهو عندئذ: مقرئ. ولما رفع الخلفاء الثلاثة شعار جردوا القرآن من حديث الرسول، وكتبوا نسخة من القرآن مجرداً عن حديث الرسول (ص)، ونسخوا عليها نسخاً، ووزعوها في بلاد المسلمين، وأحرقوا مصاحف الصحابة التي كان أصحابها قد دونوا فيها لفظ القرآن مع ما أخذوا من الرسول (ص) في بيان معاني آياته انتشر بين المسلمين نسخ القرآن بدون بيان الرسول (ص). وبعد ذلك التاريخ سُمي القرآن المجرد عن بيان الرسول (ص) بالمصحف.

إذاً فالمصحف قبل إحراق المصاحف كان اسماً للقرآن الذي كتب معه شيء من بيان الرسول (ص) وبعد احراق المصاحف أصبح اسماً للقرآن دون بيان الرسول (ص).

وبعد أن أصدر الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور في عام ١٤٣هـ أمراً بتدوين العلوم وبدأ العلماء يدونون النص القرآني مع بيان معانيه سميت تلك المدونات بالتفسير وبقي اسم القرآن المجرد عن بيان معاني الآيات بالمصحف، واشتهرت هذه التسمية على عهد الخلفاء العثمانيين بحيث أصبح القرآن والمصحف بعد ذلك كالإنسان والبشر لفظين مترادفين لمعنى واحد.

هذا ما كان من شأن تحول اسم المصحف منذ صدر الاسلام الى عصرنا الحاضر. وكذلك تبدل معنى القراءة والاقراء مما كان عليه في صدر الإسلام كالاتي بيانه:

بينما كان معنى القراءة والإقراء درس القرآن على المقرئ وتعلم اللفظ والمعنى وعلى عهد الصحابة استعملت القراءة والإقراء بمعنى تعلم معنى القرآن وتعليمه.

القراءات المختلفة في أخريات القرن الاول الهجري في مدرسة الخلفاء
فاستعملت القراءة والإقراء في تعلّم تلك القراءات المختلفة المختلفة، حتى
عصرنا الحاضر، كما سنبيّنه في بحث القراءات من المجلد الثاني من هذا الكتاب
ان شاء الله تعالى.

* * *

كان ذلكم تطور معنى القراءة والإقراء بالنسبة إلى القرآن الكريم وفي
ما يأتي ندرس باذنه تعالى استعمال القراءة في اصطلاح المحدثين بمدرسة أهل
البيت (ع) مدى القرون.

القراءة في مصطلح المحدثين بمدرسة أهل البيت مدى القرون:
استعمل المحدثون بمدرسة أهل البيت مدى القرون القراءة في تدريس
الاستاذ تلميذه الكتاب وتعلم التلميذ الكتاب من استاذه كما نجدتها في
الإجازات الآتية^(١٣):

أ - اجازة الشيخ فخر الدين محمد (ت: ٧٧١هـ) ابن العلامة الحلبي
الحسن بن يوسف بن علي بن مطهر، للشيخ محسن بن مظاهر، وأجزت له أيضاً
أن يروي عني مصنفات الشيخ ... أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، فمن
ذلك كتاب تهذيب الأحكام، فإني قرأته على والدي درساً بعد درس، وقمت قراءته
في جرجان سنة اثني عشر وسبعمائة عني عن والدي، ثم والدي قرأه على والده
أبي المظفر يوسف بن علي بن المطهر، وأجاز له روايته، ثم يوسف المذكور قرأه
على الشيخ معمر بن هبة الله بن نافع الوراق، وأجاز له روايته، ثم الفقيه معمر
المذكور قرأه على الفقيه أبي جعفر محمد بن شهرآشوب وأجاز له روايته، ثم
شهرآشوب قرأه على مصنفه أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، وقرأه جدي
مرة ثانية على الشيخ يحيى بن محمد بن يحيى بن الفرج السوراوي وأجاز له
روايته، والشيخ يحيى المذكور قرأه على الفقيه الحسين بن هبة الله بن رطبة،
وأجاز له روايته، والشيخ يحيى المذكور قرأه على المفيد أبي عبد الله محمد بن
الحسن الطوسي وأجاز له روايته، والمفيد قرأه على والده، وأجاز له روايته،
وعندي مجلد واحد من الكتاب الذي قرأه المفيد على والده وهو بخط المصنف
والده، وقرأت أنا هذا المجلد على والدي وباقي المجلدات في نسخة أخرى.
وأما كتاب النهاية والجمل، فإني قرأتها على والدي درساً بعد درس،
وأجاز لي روايتها بالطريق الثاني عن والده قرأه عليه عن باقي أهل السند

(١٣) لقد حذفنا من عبارات الاجازات الفاظ المدح والثناء والترحم روما للاختصار.

المذكور قراءة^(١٤). انتهى موضع الحاجة من الاجازة.

في هذا القسم من اجازة ابن العلامة للشيخ محسن بن مظاهر يقول المجيز وهو في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري، أنه قرأ تهذيب الشيخ الطوسي على والده العلامة درساً بعد درس، وإن والده العلامة كان قد قرأه على شيخه، وشيخه على شيخه.

وهكذا يذكر سلسلة القراءات، حتى ينهي تسلسل القراءات إلى قراءة على مؤلف التهذيب الشيخ الطوسي، ويقول: أن جزءاً من كتاب التهذيب الذي قرأه على والده كان بخط مؤلفه الذي توفي في النصف الأول من القرن الخامس الهجري.

ويقول في اجازته رواية كتاب النهاية: أنه قرأه أيضاً على والده العلامة درساً بعد درس، وبجيز الشيخ محسن روايته بطريق آخر أيضاً تسلسلت فيه قراءة شيخ على شيخ إلى أن ينهي القراءة إلى مؤلف الكتاب.

ب - اجازة الشيخ المجلسي (ت: ١١١١ هـ) بعد فقد قرأ عليّ وسمع مني المولى الفاضل... حاجي محمد الاردبيلي... كثيراً من العلوم الدينية... لا سيما كتب الاخبار الماثورة عن الأئمة الأطهار - صلوات الله عليهم أجمعين - ثم استجازني، فاستخرت الله - سبحانه - وأجزت له أن يروي عني... بحق روايتي واجازتي عن مشايخي الكرام... فمن ذلك ما أخبرني به عدّة... ممن قرأت عليهم أو سمعت منهم... منهم والدي العلامة وشيخه... مولانا حسن علي التستري و...

وهكذا سلسل المجلسي في هذه الاجازة سنده، حتى انتهى إلى فخر الدين محمد، عن والده العلامة الحلّي، ثم سلسل السند منه إلى الشيخ المفيد

(١٤) البحار ١٠٧ / ٢٢٣. وهذه الاجازة جاءت ضمن اجازة الشيخ علي بن محمد البياضي

(ت: ٨٢٧) للشيخ ناصر بن إبراهيم البرقي.

والكليني والصدوق.

ج - إجازة محمد تقي المجلسي (ت: ١٠٧٠هـ) لمرزا إبراهيم «فمنها ما أخبرني به قراءة وسامعاً وإجازة بهاء الملة... والدين محمد العاملي... عن الشيخ عبد العالي...

د - إجازة محمد بن الحسن الحر العاملي (ت: ١١٠٤هـ) للشيخ محمد فاضل المشهدي. وقد قرأ عندي ما تيسر قراءته وهو كتاب من لا يحضره الفقيه، من أوله إلى آخره، وكتاب الاستبصار أيضاً بتمامه، وكتاب اصول الكافي كله، وأكثر كتاب التهذيب، وغير ذلك، قراءة بحث وتنقيح وتدقيق، فأحسن وأجاد وأفاد أكثر مما استفاد بحيث ظهر جده واجتهاده وقابليته واستعداده... وأهليته لنقل الحديث وروايته، بل نقده ودرايته، وقد التمس مني الإجازة فبادرت إلى اجابته...

هـ - إجازات المجلسي الخمس لتلميذه محمد شفيع علي نسخ مخطوطة من مجلدات الكافي في مكتبة آستان قدس الرضوي بخراسان المرقمة (ع ٨٥٢٨)

إجازات المجلسي (ره) لمن قرأ كتاب الكافي عليه

الاجازة الأولى:

بسم الله الرحمن الرحيم

أنه المولى الفاضل محمد شفيح التويسركاني وفقه الله تعالى للارتقاء على أعلى مدارج الكمال في العلم والعمل ساعاً وتصحيحاً وتدقيقاً وضبطاً في مجالس آخرها خامس عشر شهر جمادى الأولى من شهور سنة ثلاث وثمانين بعد الألف من الهجرة.

وقول المجلسي في الاجازة (أنه)، أي: أنها تلميذه القراءة وهذه صورة الاجازة على صفحة من كتاب الكافي للكليفي:

اجازة المجلس الاول

بسم الله الرحمن الرحيم
 الحمد لله رب العالمين
 والصلاة والسلام على
 سيدنا محمد واله الطيبين
 الطاهرين
 وبعد
 انما اجازة المجلس الاول
 في تاريخ اول شهر ربيع
 الثاني سنة ١٢٠١
 حضره
 المشايخ
 والاعوان
 والطلاب
 والجمهور
 في دار
 المجلس
 في
 يوم
 الاثنين
 الثاني
 عشر
 من
 شهر
 ربيع
 الثاني
 سنة
 ١٢٠١
 حضر
 من
 المشايخ
 والاعوان
 والطلاب
 والجمهور
 في
 دار
 المجلس
 في
 يوم
 الاثنين
 الثاني
 عشر
 من
 شهر
 ربيع
 الثاني
 سنة
 ١٢٠١

بسم الله الرحمن الرحيم
 الحمد لله رب العالمين
 والصلاة والسلام على
 سيدنا محمد واله الطيبين
 الطاهرين
 وبعد
 انما اجازة المجلس الاول
 في تاريخ اول شهر ربيع
 الثاني سنة ١٢٠١
 حضره
 المشايخ
 والاعوان
 والطلاب
 والجمهور
 في دار
 المجلس
 في
 يوم
 الاثنين
 الثاني
 عشر
 من
 شهر
 ربيع
 الثاني
 سنة
 ١٢٠١
 حضر
 من
 المشايخ
 والاعوان
 والطلاب
 والجمهور
 في
 دار
 المجلس
 في
 يوم
 الاثنين
 الثاني
 عشر
 من
 شهر
 ربيع
 الثاني
 سنة
 ١٢٠١

الاجازة الثانية:

بسم الله الرحمن الرحيم

أنه المولى الفاضل البارع الذكي الألمي مولانا محمد شفيق التويسركاني أيده الله تعالى ساعاً وتصحيحاً وتدقيقاً وضبطاً في مجالس آخرها بعض أيام شهر ذي القعدة الحرام سنة ثلاث وثمانين بعد الألف من الهجرة وأجزت له دام تأييده أن يروي عني كلها صحت لي روايته وإجازته بأسانيد المتصلة إلى أصحاب العصمة صلوات الله عليهم أجمعين. كتب بيمناه الجانية أحقر عباد الله محمد باقر بن محمد تقي عفي عنها حامداً مصلياً مسلماً.

الاجازة الثالثة:

بسم الله الرحمن الرحيم

أنها المولى الفاضل البارع الذكي الأملحى اللوذعي مولانا محمد شفيح
أيده الله ساعاً وتصحيحاً وتدقيقاً وضبطاً في مجالس آخرها أواخر شهر ربيع
الثاني لسنة أربع وثمانين بعد الألف وأجزت له أن يروي عني كلما صحت روايته
بأسانيدي المتصلة إلى أرباب العصمة صلوات الله عليهم وكتب ... أحقر العباد
محمد بن محمد تقى المدعو باقر ...

الاجازة الرابعة:

بسم الله الرحمن الرحيم

أنها المولى ... محمد شفيع التويسركاني وفقه الله تعالى للعروج على أعلى مدارج الكمال في العلم والعمل، ساعاً وتصحيحاً وتدقيقاً وضبطاً في مجالس آخرها شهر محرم الحرام من شهور سنة سبع وثمانين بعد الألف الهجرية بعد أن قرأ عليّ وسمع مني.... فأجزت له أن يروي عني كلما صحت روايته وإجازته بأسانيدي المتصلة.... أصحابنا رضوان الله عليهم.

وكتب بيمناه ... أحقر العباد محمد بن محمد تقي عفي عنها حامداً
مصلياً مسلماً.

الاجازة الخامسة:

بسم الله الرحمن الرحيم

أنه المولى الفاضل الصالح التقى الذكي مولانا محمد شفيق وفقه الله تعالى للعروج على أعلى مدارج الكمال في العلم والعمل ساعاً وتدقيقاً وضبطاً في مجالس آخرها ثالث شهر جمادى الأولى من شهر سنة سبع وثمانين بعد الألف الهجرية فأجزت له دام تأييده أن يروي عني كلما صحت لي روايته واجازته بأسانيدى متصلة إلى أئمتنا صلوات الله عليهم أجمعين بشروط أجاز ... وكتبه بيمنه أحقر عباد الله محمد باقر بن محمد تقى ... حامداً مصلياً مسلماً.

نتيجة بحث القراءة في مصطلح المحدثين بمدرسة أهل البيت

في هذه الاجازات جاء في اجازة ابن العلامة الحلبي لتلميذه: (فمن ذلك كتاب تهذيب الأحكام فاني قرأته على والدي درساً بعد درس وتمت قراءته في جرجان ثم والدي قرأه على ...).

وجاء في إجازة المجلسي لتلميذه: وقد قرأعندي ما تيسر قراءته وهو كتاب من لا يحضره الفقيه من أوله إلى آخره وكتاب الاستبصار - أيضاً - بتامه وكتاب أصول الكافي كله وأكثر كتاب التهذيب وغير ذلك قراءة بحث و تنقيح وتدقيق...

وجاء في اجازات المجلسي الخمس لتلميذه محمد شفيع: أنه ساعاً وتصحيحاً وتدقيقاً وضبطاً و... وسمع مني كثير من العلوم العقلية والنقلية في مجالس آخرها ١١٨٣ وهكذا ذكر تاريخ انهاء القراءة إلى سنة ١١٨٧ أي ان مدة دراسة الكتاب على الاستاذ كانت أكثر من أربع سنوات وسمع من استاذه في تدريس الكافي كثيراً من الأمور العقلية والنقلية وينبغي أن تكون تلك الأمور ما كان يحتاجه شرح الأحاديث التي تدرس في تلك المجالس.

وبناء على ذلك فإن قرأ قراءة كان في اصطلاح المحدثين بمدرسة أهل البيت (ع) طوال القرون بمعنى درس الكتاب على استاذه درساً بعد درس وتعلمه منه تعلماً، مع ما تقتضيه شرح الأحاديث من ذكر الأمور العقلية والنقلية.

* * *

كان ذلك معنى قراءة الحديث وقرآؤه عند علماء مدرسة أهل البيت إلى عصر المجلسي المتوفى ١١١١هـ وبناء على ذلك فإن قراءة الحديث والسيرة أي السنة النبوية كانت لديهم بمعنى دراسة لفظ الحديث مع تعلم معناه وكان

معناه في نفس الزمان عند علماء مدرسة الخلفاء كالأتي بيانه بحوله تعالى:

معنى قراءة الحديث وقرائه في مدرسة الخلفاء

ان قراءة الحديث عند علماء مدرسة الخلفاء في القرون المتوالية كان
بمعنى سماع الحديث من الشيخ كما يدل على ذلك النصوص الآتية:
قال الحاكم النيسابوري (ت: ٤٠٥هـ):

(ذكر النوع الثاني والخمسين من معرفة علوم الحديث)

هذا النوع من هذه العلوم معرفة من رخص في العرض على العالم ورآه
ساعاً ومن رأى الكتابة بالإجازة من بلد إلى بلد إخباراً ومن أنكر ذلك ورأى
شرح الحال فيه عند الرواية. وبيان العرض أن يكون الراوي حافظاً متقناً،
فيقدم المستفيد إليه جزءاً من حديثه أو أكثر من ذلك فيناوله فيتأمل الراوي
حديثه فإذا أخبره وعرف أنه من حديثه قال للمستفيد قد وقفت على ما ناولتنيه
وعرفت الأحاديث كلها وهذه رواياتي عن شيوخي فحدث بها عني. فقال جماعة
من أئمة الحديث: إنه سماع. (١٥).

وقال الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣):

قلت وقد تقدمت منا الحكاية عن بعض أهل العلم أن السماع يصح
بمحصول التمييز والاصفاء حسب، ولهذا بكروا بالأطفال في السماع من
الشيوخ الذين علا اسنادهم.

أخبرنا علي بن المحسن القاضي ثنا محمد بن خلف بن محمد بن جيان
الخلال قال سمعت أبا بكر عبد الله بن محمد بن زياد النيسابوري يقول سمعت
إبراهيم الحريري يقول مات عبد الرزاق وللدبري ست سنين أو سبع سنين.

(١٥) كتاب معرفة علوم الحديث، ذكر النوع الثاني والخمسين من معرفة علوم الحديث ٢٥٦

قلت روى الدبري عن عبد الرزاق عامة كتبه ونقلها الناس عنه
وسمعوها منه.

سألت القاضي أبا عمر القاسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي قلت
له في أي سنة سمعت «كتاب السنن» من أبي علي اللؤلؤي؟ فقال سمعته منه
أربع مرات، فحضرت أول مرة وهو يقرأ عليه في سنة أربع وعشرين وثلثائة،
وكتب أبي في كتابه حضر ابني القاسم وقرأ عليه في السنة الثانية وكتب أبي
حضر ابني القاسم - وقرأ علي اللؤلؤي وأنا أسمع في السنة الثالثة وفي
الرابعة، وكتب أبي في كتابه سمع ابني القاسم، وكان مولد أبي عمر في رجب من
سنة اثنتين وعشرين وثلثائة فعلى التقدير أنه سمعه في آخر دفعة وله خمس سنين،
واعتمد الناس بذلك السماع، ونقل عنه الكتاب عامة أهل العلم من حفاظ
الحديث والفقهاء وغيرهم^(١٦).

وقال:

باب ما جاء فيمن سمع حديثاً فخفى عليه في وقت السماع حرف منه
لادغام المحدث اياه ما حكمه؟

وقال الحسين بن علي الطيبي (ت: ٧٤٣ هـ):

الطريق الثاني - القراءة على الشيخ

ويسمى أكثر قدماء المحدثين عرضاً لأن القارئ يعرضه على الشيخ
سواء قرأ هو أم غيره وهو يسمع، وسواء قرأ من كتاب أم حفظ، وسواء كان
الشيخ يحفظه أم لا إذا كان يمسك أصله هو أو ثقة غيره وهي رواية صحيحة
باتفاق خلافاً لبعض من لا يعتد به^(١٧).

واختلفوا في ان القراءة على الشيخ مثل السماع من لفظه في المرتبة أو

(١٦) كتاب الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ط. المدينة المنورة ص ٦٣ و ٦٤.

(١٧) في كتاب الخلاصة في أصول الحديث ط. العراق سنة ١٣٩١ ص ١٠٢ - ١٠٣.

فوقه أو دونه فنقل عن أبي حنيفة ومالك وغيرهما ترجيح القراءة على الشيخ، ويروى عن مالك وأصحابه وأشياخه من علماء المدينة اتها سواء وهو مذهب معظم علماء الحجاز والكوفة والبخاري، والصحيح ترجيح السماع من لفظ الشيخ وهو مذهب الجمهور من أهل المشرق.

وقال :

الثاني : يستحب أن يقول لهما سمعه وحده من لفظ الشيخ حدثني، وفيما سمعه من غيره حدثنا، وفيما قرأ عليه بنفسه: أخبرني وفيما قرئ عليه وهو يسمع: أخبرنا^(١٨).

وقال السيوطي (ت: ٩١١ هـ):

بيان أقسام طرق تحمل الحديث وبمجامعها ثمانية أقسام:

الأول: سماع لفظ الشيخ، وهو إسماء وغيره من حفظ ومن كتاب. وهو أرفع الأقسام عند الجاهلير. قال القاضي عياض: لا خلاف أنه يجوز في هذا للسماع أن يقول في روايته: حدثنا وأخبرنا وأنبأنا وسمعتُ فلاناً وقال لنا وذكر لنا قال الخطيب: أرفعها سمعتُ.

وقال ثم حدثنا وحدثني ثم أخبرنا، وهو كثير في الاستعمال^(١٩).

القسم الثاني: القراءة على الشيخ، ويُسميها أكثر المحدثين عرضاً. سواء قرأت أو غيرك وأنت تسمع من كتاب أو حفظ، حفظ الشيخ أم لا إذا أمسك أصله هو أو ثقة، وهي رواية صحيحة.

نتيجة بحث القراءة بمدرسة الخلفاء

عرّف الطيبي والسيوطي القراءة على الشيخ في مدرسة الخلفاء: أن يعرض القارئ الحديث أو الكتاب على الشيخ سواء قرأ هو أم قرأ غيره وهو

(١٨) الخلاصة في أصول الحديث ص ١٠٤.

(١٩) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ٨ / ٢ - ١٢.

- القارئ - يسمع وسواء قرأ من كتاب أم حفظ وسواء كان الشيخ يحفظه أم لا إذا كان يمسك أصله هو - أي إذا كان الاستاذ بيده كتابه في الحديث - أو ثقة غيره - أي ان كتاب الاستاذ يكون بيد ثقة غير الاستاذ وغير التلميذ القارئ - وهي رواية صحيحة ويسمى هذا النوع من قراءة الحديث عند العلماء عرضاً، وروى الخطيب البغدادي:

ان الدبري روى عن عبد الرزاق عامة كتبه ونقلها الناس عنه وسموها منه ومات عبد الرزاق وللدبري ست سنين أو سبع سنين.
وقال ما موجزه:

وسمع أبو عمر القاسم بن جعفر كتاب السنن من أبي علي اللؤلؤي أربع مرات وه - يقرأ عليه أولها سنة (٣٢٤ هـ) وكذلك في السنة الثانية بعدها وكذلك في السنة الثالثة والرابعة وكتب والده على الكتاب في كل مرة وحضر ابني وقرئ عليه - الكتاب - وسمع ابني ... وكان مولد أبي عمر في رجب من سنة (٣٢٢ هـ) (فعلى التقدير أنه سمعه في آخر دفعة وله خمس سنين واعتد الناس بذلك السماع ونقل عنه الكتاب عامة أهل العلم من حفاظ الحديث والفقهاء وغيرهم).

نتيجة المقارنة في معنى قراءة الحديث لدى المدرستين

أ - في مدرسة أهل البيت إلى القرن الثاني عشر

كانت قراءة الحديث بمعنى: قراءة الحديث من تلميذ بلغت مؤهلاته أن يقول استاذه في نعته وكيفية قراءته: (قرأ كتاب علي في بلدة قراءة بحث وتنقيح وتدقيق فأحسن وأجاد وأفاد أكثر مما استفاد بحيث ظهر جده واجتهاده وقابليته واستعداده ... وأهليته لنقل الحديث وروايته بل نقده ودرايته وقد التمس مني اجازة فبادرت إلى اجابته.
يقول الاستاذ الآخر في تلميذه وقراءته:

(أنهاه): أي أنهى قراءة الكتاب إلى الصفحة التي كتب الاجازة عليها (المولى الفاضل البارع الذكي الألمي اللوذعي ساعاً و تصحيحاً و تدقيقاً و ضبطاً) مع تعلّم ما ينبغي أن يتعلّمه (من الأمور العقلية و النقلية)، و الأمور العقلية: شرح ما في بعض الأحاديث ممّا يحتاج إلى استعمال العقل في دراسة ما يستنبط من الحديث من عقائد و أحكام و معرفة عامّة و خاصّة و جملة و بيّنة و مطلقة و مقيدة و ... و الأمور النقلية: دراسة أسناد الحديث و تفسير ألفاظه و ما شابهها (في مجالس آخرها ...) و بعد ذلك يميز الاستاذ تلميذه و يكتب له: (أن يروي عني ما صحت لي روايته) كان ذلك جارياً و سارياً إلى القرن الثاني عشر الهجري.

ب - في مدرسة الخلفاء إلى القرن الحادي عشر

كانت قراءة الحديث بمعنى سماع التلميذ قراءة استاذه عندما يقرأ الحديث أو عندما يقرؤه تلميذ آخر ثقة بمسمع من الاستاذ و ان كان التلميذ المستمع طفلاً صغيراً بلغ سن خمس سنوات و عندئذ يصحّ للاستاذ أن يكتب لتلميذه الطفل هذا اجازة برواية ما يسمعه من الاستاذ من حديث أو ما قرئ على الاستاذ من حديث و كتاب و سمعه هذا الطفل ثم يأخذ من هذا التلميذ بهذه القراءة و ينقله عنه عامّة أهل العلم من حفاظ الحديث و الفقهاء و غيرهم. كان ذلكم جارياً و سارياً في مدرسة الخلفاء إلى القرن الحادي عشر الهجري. و أخيراً فقد كان لا بدّ لنا من تقديم هذا البحث ضمن البحوث التمهيدية لمناقشة الروايات التي تزعم الثقة بثبوت النص القرآني في المجلد الثاني من هذا الكتاب.

سادساً - الجامع والحافظ:

أ - الجمع والجامع:

١ - في اللغة :

جاء الجمع في لغة العرب بمعنى ضم الشيء بتقريب بعضه الى بعض يقال: جمعته فاجتمع، وجمع متفرقاً؛ لَمَّ الأشياء المتفرقة، وضمَّ بعضها إلى بعض.

وجاء بالمعنى اللغوي الاول والثاني في قوله - تعالى - في سورة القيامة:

أ - ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ﴾ (الآية/٣).

ب - ﴿ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾ (الآية/٩).

وأكثر ما يستعمل (جمع) في الأعيان و(أجمع) في الآراء كما في قوله تعالى في

سورة يوسف/١٥:

﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ ﴾

٢ - جمع القرآن في المصطلح الاسلامي:

استعمل جمع القرآن جمع القرآن في كلام الله وحديث الرسول (ص)

ومحاورة الصحابة واريده به جمعه في الصدور.

أ - في القرآن الكريم:

قال سبحانه في سورة القيامة:

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَتَّبِعَلَ بِهِ﴾ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأَهُ قَاتِبٌ
قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿ (الآيات/١٦ - ١٩)

فقد قال ابن عباس في تفسيره ما موجزه:

(إِنَّ النَّبِيَّ كَانَ يَعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً، يَحْرِكُ لِسَانَهُ وَشَفْتَيْهِ - وَحَرَّكَ ابْنَ
عَبَّاسٍ شَفْتَيْهِ يَحَاكِي الرَّسُولَ (ص) - قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ - تَعَالَى - ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ...
إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾، أَي جَمَعَهُ فِي صَدْرِكَ ثُمَّ تَقْرَأُ ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ...﴾ أَي
فَأَسْتَمِعُ وَأَنْصِتُ، ثُمَّ أَقْرَأُ، قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ أَسْتَمَعَ
فَإِذَا أَنْطَلَقَ قَرَأَهُ كَمَا قَرَأَهُ جِبْرِيلُ^(١).

ب - في محاورات المسلمين:

استعمل (جمع القرآن) في عصر الصحابة: بكلام المعنيين جاء بمعنى
الجمع في الصدور في روايتي أنس بن مالك في صحيح البخاري:
١ - عن قتادة قال سألت أنس بن مالك (رض) من جمع القرآن على

عهد النبي (ص)؟

قال: أربعة كلهم من الانصار:

أبي بن كعب (ت: ٣٢هـ).

معاذ بن جبل (ت: ١٨هـ).

زيد بن ثابت (ت: ٥٥هـ).

وابو زيد - ثابت بن زيد بن النعمان .

٢ - قال أنس: مات النبي (ص) ولم يجمع القرآن غير أربعة:

(١) صحيح البخاري ٢٠١/٤ باب قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾ من كتاب التوحيد،
٢٠١/٤. وصحيح مسلم، كتاب الصلاة، الحديث: ١٤٧ و ١٤٨ ص ٣٣٠ - ٣٣١. ومسنند أحمد
٣٤٣/١. وسنن النسائي، كتاب الافتتاح، وتحريك ابن عباس لسانه في صحيح مسلم، الحديث:
١٤٧.

أبو الدرداء - عويمر بن زيد (ت: ٣٥ هـ).

معاذ بن جبل.

زيد بن ثابت.

أبو زيد^(٢).

وفي رواية أحمد وأبي داود: أن أم ورقة بنت عبد الله كانت قد جمعت القرآن وكان النبي (ص) قد أمرها أن تؤم أهل دارها... الحديث^(٣).

وقد جاء بنفس المعنى في فهرست النديم حيث قال:

(الجماع للقرآن على عهد النبي (ص)).

علي بن أبي طالب (رض) (ت: ٤٠ هـ).

سعد بن عبيد بن النعمان بن عمرو بن زيد (رض).

أبو الدرداء عويمر بن زيد (رض).

معاذ بن جبل بن أوس (رض) (ت: ١٨ هـ).

أبو زيد ثابت بن زيد بن النعمان.

أبي بن كعب بن قيس بن مالك بن امرئ القيس.

عبيد بن معاوية بن زيد بن ثابت الضحّاك (ت: ٣٤ هـ) وفي ترجمة عبادة

ابن الصامت بأسد الغاية ان عبادة وأبا أيوب - أيضاً - كانا ممن جمع القرآن على

عهد رسول الله (ص).

وكذلك جاء بمعنى جمع جميع آيات القرآن كتباً في سور القرآن ودون جميع

السور في مصحف واحد بعد أن كانت السور منتشرة عندهم في صحائف من

الجلد والخشب وما شابهها كما رووا وقالوا:

(٢) الروايتان متواليتان في صحيح البخاري ١٥٢/٣ باب القراء من أصحاب النبي. وأبو

زيد من عمومة انس كما في طبقات ابن سعد باب (ذكر من جمع القرآن... ٣٥٥/٢ - ٣٥٦.

(٣) تقدم ذكر مصادره في اخبار المصنف.

أ - (أقسم عليّ أن لا يرتدي الرداء حتى يجمع القرآن في مصحف).
 ب - (جمعوا القرآن في مصحف في خلافة أبي بكر).
 ج - (أن أبا بكر أمر زيدا بجمع القرآن، فجمعه في صحف، وأودعها عند حفصة. ولما أراد عثمان أن يجمع القرآن أخذها من حفصة، وأستنسخها في المصاحف)^(٤).



كان رسول الله (ص) أول من جمع القرآن حفظاً في صدره من البشر وسوف نرى في بحث جمع القرآن - إن شاء الله تعالى - أن رسول الله (ص) - أيضاً - كان أول من جمع القرآن، أي: أمر بكتابة جميع القرآن. كان ذلكم معنى جمع القرآن حفظاً في الصدور وكتبا في المصاحف، حتى عصر الصحابة، وسُمي بعدهم جامع القرآن في صدره بحافظ القرآن.

ب - حافظ القرآن:

يقال في اللغة: حفظ الشيء، أي: رعاه وصانه وحرسه^(٥).
 ويقال - أيضاً - الحفظ: لضبط في النفس، ويضادّه النسيان^(٦).
 والحفاظة والذاكرة: قوّة في الإنسان تحفظ معلوماته.
 وفي القرون الأخيرة قيل لمن يحفظ القرآن عن ظهر قلب: الحافظ.
 وكذلك يقال لمن يحفظ عدداً كبيراً من الأحاديث: الحافظ^(٧).
 بينما كان في صدر الإسلام يقال لمن حفظ القرآن عن ظهر قلب: الجامع

(٤) مسند أحمد ٤٠٥/٦ وسنن أبي داود كتاب الصلاة باب إمامة النساء.

(٥) مادة (حفظ) بماجم اللغة.

(٦) مادة (حفظ) بمفردات الراغب.

(٧) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث.

كما سبق بيانه، تمّ تغير معنى الجامع بعد القرن الأوّل، كما سنذكره في ما يأتي بحوله تعالى.

وعلى ما ذكرنا فإنّ تسمية من حفظ القرآن بالمحافظ من تسمية المسلمين ومصطلحهم، وليس من مصطلحات الشرع الإسلامي.

سابعاً - الترتيل و التجويد:

أ- الترتيل:

قال الراغب: الترتيل، إرسال الكلمة بسهولة وأستقامة.
وروى ابن الجزري عن الإمام علي أنه قال: الترتيل: تجويد الحروف
ومعرفة الوقوف^(١).

وفي معجم ألفاظ القرآن الكريم، رتل الكلام: أحسن تأليفه أو أبانه
وتمهّل في قراءته، وقال الله سبحانه: ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ (الفرقان/٣٢)، أي أنزلناه
على الترتيل وهو ضدّ العجلة، وبيناه ومكّناه.

وقال سبحانه: ﴿وَرَتَّلْ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ (المزمل/٤)، أي بينه تبييناً، وتمهّل
في قراءته. وليس هذا من المصطلح الإسلامي، وإنما هو معنى لغوي. وإنما ذكرناه
لصلته بعلم التجويد.

ب - التجويد:

التجويد في اللغة يقال: جوّد القول، أي: أتى بالقول الجيّد، وجوّد
القراءة: قرأ جيّداً.

(١) ابن الجزري: محمد بن محمد الشافعي (ت: ٨٣٣هـ) وروى الخبر في كتابه النشر في
القراءات العشر ط. المكتبة التجارية الكبرى بمصر، ١/ ٢٠٩.

وقال ابن الجزري : التجويد إعطاء الحروف حقوقها و ترتيبها مراتبها
ورّد الحرف إلى مخرجه وأصله وإلحاقه بنظيره وتصحيح لفظه وتلطيف النطق
به على حال صيغته وكمال هيأته من غير إسراف ولا تعسف ولا إفراط ولا تلف.

قال المؤلف:

هذا ما ذكره. ولا أرى التجويد إلا محاولة من مقرئ القرآن أن يؤدي
اللفظ باللهجة التي أداها رسول الله (ص). ثم تمرّن عليها قرّاء القرآن جيلاً
بعد جيل منذ عصر الرسول (ص) حتى اليوم.
ونرى التجويد تعبيراً عن الترتيل ومصادقاً له.

ثامناً - النسخ:

النسخ في اللغة: إزالة شيء بشيء يتعقبه، يقال: نسخت الشمس الظل^(١).

وفي المصطلح الاسلامي: نسخ أحكام في شريعة بأحكام في شريعة أخرى^(٢). مثل نسخ بعض أحكام الشرايع السابقة بأحكام في شريعة خاتم الأنبياء (ص)^(٣).

وكذلك نسخ حكم مؤقت بحكم أبدي في شريعة خاتم الأنبياء (ص)، مثل نسخ حكم توارث المتأخرين من المهاجرين والأنصار في المدينة قبل فتح مكة بحكم توارث ذوي الأرحام بعد فتح مكة. وقد صنّف أتباع مدرسة الخلفاء النسخ إلى ثلاثة أصناف:

أ - نسخ التلاوة والحكم: ويقصدون منه أن الله - سبحانه - كان قد أنزل من القرآن آياً أو سوراً على رسوله (ص) تضمن حكماً شرعياً ثم نسخ تلاوة ذلك

(١) مفردات الراغب والمعجم الوسيط مادة (نسخ).

(٢) قال أبو الوليد: (النسخ: إزالة الحكم الثابت بشرع متقدم بشرع متأخر عنه على وجه، لولاه لكان ثابتاً).

كتاب الأصول في الحدود، تأليف الحافظ أبو الوليد سليمان بن خلف الأندلسي، (ت: ٤٧٤هـ) ط. بيروت، سنة ١٣٩٢، ص ٤٩٠.

(٣) كما سيأتي بيانه في بحث النسخ في المجلد الثاني من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

القرآن، فلم يكتب في المصحف المتداول بين المسلمين ونسخ حكمه من شريعة الإسلام.

ب - نسخ التلاوة دون الحكم: ويقصد منه أن الله - سبحانه - كان قد أنزل من القرآن آياً أو سوراً على رسوله (ص) ثم نسخ تلاوتها، فلم يكتب في المصحف المتداول بين المسلمين، وأبقى حكمه في شريعة الإسلام.

ج - نسخ الحكم دون التلاوة: ويقصد منه أن الله - سبحانه - أنزل من القرآن آياً عمل بها المسلمون، ثم نسخ تلك الآيات بآيات أخرى، وبقيت الآيات المسماة منسوخة مكتوبة في المصحف ونسخ حكمها. وسيأتي بيان زيفها مفصلاً في بحوث النسخ إن شاء الله تعالى.

نتيجة البحوث:

أ - القرآن والسورة والآية والوحي من المصطلحات الاسلامية التي تستعمل في معانيها منذ عصر نزول القرآن حتى اليوم.
ب - الجزء والحزب والتجويد والحافظ من المصطلحات المستحدثة لدى المسلمين في العصور المتأخرة.

ج - لفظ (الكتاب) مشترك بين عدة معاني ولفظ (كتاب الله) يرد بمعنى الكتاب الذي أنزله على أنبيائه مثل التوراة والانجيل والقرآن ويرد بمعنى ما فرضه الله على عباده مثل ما جاء في قوله تعالى:

﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾

وبنفس المعنى جاء في قوله تعالى:

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾

واشتهر (كتاب الله) بعد عصر الصحابة في الكتب التي أنزلها الله وفسر العلماء كلها جاء من هذا اللفظ في محاورات الصحابة بمعنى كتاب الله وقد اخطأوا في بعض الموارد.

د - القراءة والقارئ والمقرئ:

استعمل القارئ في تعابير عصر نزول القرآن بمعنى من يتعلم القرآن مع معناه، والمقرئ من يعلم القرآن مع المعنى اذا كان معنى مادة (القراءة) يساوي تدارس التفسير في عصرنا اذ يدرسون آي القرآن مع تفسيره، وكان المقرئ من يدرس القرآن مع التفسير والقراء من تعلموا القرآن مع التفسير.

واقترضت سياسة حكم الخلفاء الثلاثة بعد الرسول (ص) تجريد القرآن عن بيان الرسول في تفسير القرآن ورفع هذا الشعار الخليفة الاول أبو بكر وتبدل معنى مادة (القراءة) بعد عصر الخليفة عثمان متدرجاً واصبحت بمعنى تبديل لفظ القرآن بالفاظ لغات القبائل العربية مثل تميم وهذيل والقراء الكبار من يبدلون الفاظ القرآن بلغات القبائل او باجتهاداتهم الخاصة ونسي المصطلح الإسلامي واندرس وسيأتي شرحه مفصلاً في بحث القراءات ان شاء الله تعالى.
هـ الترتيل:

كان الترتيل في عصر نزول القرآن بمعنى (تجويد الحروف وحفظ الوقوف) كما روى ذلك عن الإمام علي. وفي عصرنا يقال للقرآن المقروء بصفة خاصة: (المصحف المرتل).

يوجد الترتيل اليوم لدى القراء في ما سجل لهم باسم المصحف المزمل.
و- الجمع:

الجمع في اللغة ضم الشيء بتقريب بعضه إلى بعض وجمع الاشياء المتفرقة ضم بعضها الى بعض وجمع القرآن: حفظاً في الصدور، وكتابة آياته وسوره وضم بعضها الى بعض وهذا المعنى استعمل في القرآن ومحاورات الصحابة.

ز- النسخ في المصطلح الإسلامي نسخ أحكام شريعة بأحكام شريعة أخرى أو نسخ حكم مؤقت بحكم أبدي في شريعة خاتم الأنبياء. وقد التبس أمر النسخ على العلماء بسبب الاحاديث المختلقة التي سوف ندرسها في بحث النسخ ان شاء الله تعالى.

* * *

بعد أن درسنا في هذا المجلد خصائص المجتمع العربي الجاهلي الذي نزل فيه القرآن والمجتمع العربي الإسلامي الذي انتشر منه القرآن وبحوثاً من تاريخ القرآن ثم المصطلحات القرآنية يتيسر لنا دراسة الروايات التي رويت حول القرآن الكريم في المجلدين الآتيين من هذا الكتاب بحوله تعالى.

الفهرست

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٥
المقدمة	٩
مخطط البحوث	٢٣

بحوث تمهيدية

(١) ملامح المجتمع العربي الجاهلي الذي نزل فيه القرآن وخصائصه

أولاً - النظام القبلي	٢٧
ثانياً - الوضع الإقتصادي ومصادر الثروة في الجزيرة العربية	٣٢
أوب - التجارة والإيلاف	٣٢
ج ود - الضرع والزرع	٣٤
هـ - الربا	٣٤
خير الربا في العصر الجاهلي	٣٥
و - الاكتساب ببغى الجواري	٣٦
شظف العيش في الجاهلية	٣٧
وأد البنات	٤٤
الواد بداعي الحمية الجاهلية	٤٦

٥١ ثالثاً - النظم الاجتماعية
٥١ أ - حمية الجاهلية وحكمها
٥٢ ب - حكام العرب
٥٢ ج - شعراء العرب وأثر الشعر في الإنسان العربي
٥٩ د - الكهانة
٦٣ هـ - التفاؤل والتطير
٦٥ و - الأزلام والميسر
٧٠ ز - بيع الطعام عيب في الجاهلية
٧٠ ح - السرقة عيب والغارة فخر
٧٢ ط - الخصومات
٧٢ ي - السلب والنهب
٧٤ ك - القوي يأكل الضعيف
٧٦ ل - أسواق العرب
٧٧ رابعاً - أديان العرب في العصر الجاهلي
٧٧ أ - الوثنية
٧٩ ب - عقائد العرب في الجن والغول والسحابة
٨١ ج و د - اليهودية والمسيحية
٨٢ تشريع الجاهليين في الأطعمة
٨٥ الأتكة في الجاهلية
٨٩ الأشهر الحرم في الجاهلية
٩١ نتيجة البحث

بحوث تمهيدية

(٢)

من تاريخ القرآن

* الفصل الأول: أخبار القرآن في عصر نزوله بمكة

٩٥ على عهد الرسول (ص)
----	--------------------------

- أولاً - القرآن وما فيه ٩٧
- ثانياً - خصائص القرآن المكي وآثاره ٩٩
- أ - الخصائص الأدبية في القرآن المكي ٩٩
- تأثير القرآن المكي في قريش واستماعهم إليه سراً ١٠٢
- ب - الخصائص الفكرية في القرآن المكي ١٠٣
- قيام قريش لمقابلة الأثر الفكري للقرآن الكريم ١٠٦
- الأثر الفكري و الأدبي للقرآن المكي في الإنسان العربي
- من غير قريش ١٠٧
- قصة اسلام الطفيل بن عمرو والدوسي ١٠٧
- ثالثاً - بدء الدعوة ١١٠
- ١ - دعوة أقارب الرسول(ص) ١١٠
- ٢ - دعوته عامة قبائل العرب ١١٢
- رابعاً - مقابلة قريش للقرآن الكريم ١١٥
- أ - قريش تتشاور كيف تمنع تأثير القرآن في النفوس ١١٦
- ب - تعنت قريش برسول الله(ص) ١١٨
- اشتداد الخصومة الفكرية بين قريش والرسول(ص) ١٢٣
- مقابلات أخرى من قريش واستهزاء بالرسول(ص) ودعوته ... ١٢٧
- نهاية أمر المستهزئين ١٢٨
- خامساً - سياسة النبي في أمر القراءة والإقراء ١٣٠
- كيفية الإقراء ١٣١
- أ - اقراء الله جل اسمه لرسوله(ص) ١٣١
- ب - اقراء الرسول(ص) للناس ١٣٢
- خبر اقراء ابن مسعود بقراءة القرآن ١٣٥
- تبليغ الرسول القرآن بمكة والنظام الذي سنّه لإقراءه ١٣٧
- أولاً - شأن القرآن الذي نزل بمكة ١٣٧
- ثانياً - تبليغ الرسول والنظام الذي سنّه ١٣٧

١٣٩	سادساً - تدوين القرآن
١٣٩	أ - من كان يقرأ ويكتب في مكة
١٣٩	أمر الكتابة في مكة قبل نزول القرآن
١٤٠	ب - كيفية الإقراء
١٤٠	١ - ما يخص الرسول (ص)
١٤١	٢ - ما يعمّ المسلمين بمكة
١٤١	المسلمون والقرآن في الحبشة
١٤٣	سابعاً - خصائص المجتمع الإسلامي على عهد الرسول (ص)
١٤٤	أ - التعصب القبلي للصحابة المهاجرين من قريش
١٤٦	ب - التعصب القبلي في قبائل الأنصار
١٤٦	خبر مسجد ضرار
١٤٦	ج - خبر الشجار على ماء المريسيع
	* الفصل الثاني: أخبار القرآن في عصر نزوله في المدينة
١٥١	على عهد الرسول الأكرم (ص)
١٥٣	أولاً - القرآن المدني وما حواه
١٥٣	ما جرى مع أهل الكتاب
١٥٧	ثانياً - النظام الذي سنّه النبي (ص) في اقراء القرآن
١٦٥	ثالثاً - نظام المفاضلة بالقرآن
١٦٥	أ - تعيين الأكثر قراءة للقرآن اماماً للجماعة
١٦٧	ب - المفاضلة بعد الحياة وفي القبر
١٦٧	ج - يوم القيامة
١٦٨	د - في الجنة
١٧١	أثر كيفية اقراء الرسول (ص) في عصره
١٧١	اهتمام الرسول (ص) بالسور الطوال
	من قرأ القرآن على النبي ومن جمعه على عهده ومن
١٧٧	كتبه من الصحابة

	قول الصحابي أنس في من جمع القرآن على عهد
١٧٨	النبي (ص)
١٧٩	دراسة الحديث
	خبر القراء السبعين من أصحاب رسول الله (ص)
١٨٣	الذين استشهدوا
١٨٧	تراجم القراء من الصحابة
٢٠٥	رابعاً - تدوين القرآن في المدينة
٢٠٥	أ - أمر الكتابة في المدينة قبل الإسلام
٢٠٦	ب - أمر الكتابة في المدينة بعد الإسلام
٢٠٦	١ - من كان يقرأ ويكتب من الصحابييات
	٢ - اهتمام الرسول (ص) بتعليم الكتابة بين
٢٠٦	المسلمين
٢٠٧	ج - من كتب لرسول الله (ص)
٢٠٨	تعلم كتابة اليهود
٢١١	د - كيفية تدوين القرآن بأمر الرسول (ص)
٢١٣	هـ - نظام تدوين القرآن
٢١٤	و - القلم الذي خط به القرآن
٢١٦	كتاب النبي (ص) إلى المنذر بن ساوى
٢١٨	خامساً - أخبار السيرة في القرآن الكريم
٢١٨	أ - ما يخص الرسول (ص) وأهل بيته
٢١٨	١ - آية التطهير
٢٢٤	٢ - آية المباهلة
٢٢٦	٣ - الآيات الأولى من سورة براءة وخبر تبليغها
٢٢٦	كيفية تبليغ الآيات لكفار قريش
٢٢٨	٤ - آية ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك...﴾
٢٣١	خبر الغدير

٢٣٤ ٥ - آية الولاية
٢٣٥ ٦ - آية النجوى
٢٣٦ ٧ - آية سورة براءة
٢٣٨ ب - آيات تخص زوجات الرسول (ص)
٢٤١ ج - فيما يخص الصحابة
٢٤١ مما نزل في شأن الصحابة في مكة
٢٤٢ مما نزل في شأن الصحابة في المدينة
٢٤٨ خلاصة البحث

بحوث تمهيدية

(٣)

مصطلحات اسلامية قرآنية

٢٥٣ مقدمة البحث
٢٥٥ أولاً - الوحي و نزوله
٢٦١ ثانياً - القرآن و الكتاب و المصحف
٢٦١ أ - القرآن
٢٦٢ ب - الكتاب
٢٦٤ ج - المصحف
٢٧٢ سياسة تجريد القرآن من حديث الرسول (ص)
٢٧٤ خلاصة البحث و خاتمته
٢٧٨ ثالثاً - السورة و الآية
٢٨٥ رابعاً - الجزء و الحزب
٢٨٦ خامساً - التلاوة و القراءة
٢٩١ ما يؤيد ان الصحابة كانوا يعنون بتعلم معنى القرآن
٢٩٢ أخبار و روايات في شأن القرآن
٢٩٣ تبدل معنى القراءة و الاقراء في مصطلح المسلمين
٢٩٦ نتيجة البحث

القراءة في مصطلح المحدثين بمدرسة أهل البيت

٢٩٩ مدى القرون
٣٠٢ اجازات المجلسي (ره) لمن قرأ كتاب الكافي عليه
	نتيجة بحث القراءة في مصطلح المحدثين بمدرسة
٣١٢ أهل البيت
٣١٣ معنى قراءة الحديث و اقراءه في مدرسة الخلفاء
٣١٥ نتيجة بحث القراءة بمدرسة الخلفاء
٣١٦ نتيجة المقارنة في معنى قراءة الحديث لدى المدرستين
٣١٨ سادساً - الجامع والحافظ
٣٢٣ سابعاً - الترتيل والتجويد
٣٢٥ ثامناً - النسخ
٣٢٧ نتيجة البحوث
٣٢٩ الفهرس